

رواية

أوراق العمر تحترق

المسر-يناريو الأول

التوحيدي غريب في وطنه

رافت الدويري



المجلس الأعلى للثقافة





المشرف العام: د. أحمد مجاهد

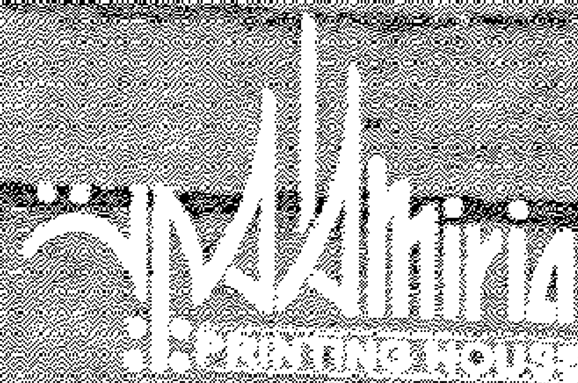
سكرتير التحرير الفنى: مكرم شحاته

أوراق العمر تحترق

رأفت الدويرى
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢

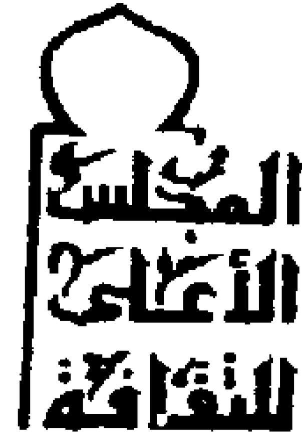
المجلس الأعلى للثقافة
١ شارع الجبلاية ، دار الأوبرا ، القاهرة
الرقم البريدى : ١١٢١١
تليفون : ٧٣٥٢٣٩٦
فاكس : ٧٣٥٨٠٨٤
بريد إلكترونى :
egypt council @ yahoo. com
رقم الإيداع : ١٧٠٤ / ٢٠٠٢

تصميم الغلاف للفنان
عدلى رزق الله



اهداءات ٢٠٠٤

المجلس الأعلى للتقافة
القاهرة



إبداعات التفرغ

[٥]

روايـــة

أوراق العمر تحترق

المسر - يناريو الأول

التوحيدي غريب في وطنه

رأفت الدويـرى

الإهـــــداء

إلى أجيال مستقبل أفضل أهدى رؤيتى الدرامية هذه

كشهادة

تستنكر نفى المبدعين فى أوطانهم بالتجــاهل
المتعمد لإبداعاتهم مع سبق الإصرار والترصد

كما تدين

قتلة الإبداع الأصيل فى كل زمان ومكان

«رأفـــت الدويـــرى»

شكـــر واجـــب .. وعتـــاب عابـــر

بالشكر والامتنان أتوجه إلى
أ.د. جابر عصفور
الذى أعارنى بعض مؤلفات
التوحيدى – النادر بعضها –
وإلى :
أ. فريـــــــدة مرعـــــــى
التى سهــلت لى استعارة مؤلفات للتوحيدى ودراسات حوله
فباسمها استعارت لى ما طلبته من مكتبة الجامعة الأمريكية
أما عتابى العابر
فأخــص به صديــق للتوحيــدى ضــن على بمـــا فى
مكتبته الخاصة من مؤلفات للتوحيدى بالرغم من وعوده

«رأفـــت الدويـــرى»

تنويه لابد منـــه

بالبحث اتضح لى :

أولا : ثــراء شخصية أبى حيان التوحيدى - إنسانيا ودراميا - مع تعدد وتعقد وتناقض جوانب هذه الشخصية الغنية.

ثانيا : إن دراما الحياة الطويلة التى عاشها التوحيدى عالم حافل بالشخصيات والمواقف الدرامية التى يصعب الاختيار من بينها أو المفاضلة بينها دون التضحية بثراء هذا العالم.

ثالثا : عاش التوحيدى فى القرن الرابع الهجرى الحافل بإنجازاته الفكرية والثقافية بالرغم من الصراعات السياسية والاجتماعية، الدينية والمذهبية، العنيفة إن لم تكن الدموية.

لهذه الأسباب وجدت عندما بدأت التناول الدرامى لهذه الشخصية الغنية المركبة أن مسرحية [أو مسر - يناريو] واحدة مهما طالت ليست بكافية لاستيعاب عالم التوحيدى الصاخب فى ثرائه وليست منصفة لشخصيته الغنية المركبة ولا مشبعة للقارئ أو المتفرج

ولهذا رأيت ضرورة كتابة ثنائية درامية بعنوان:

أوراق العمر تحترق

بطلها أبو حيان التوحيدى :

وهذه الثنائية الدرامية مع اتصالها العضوى إلا أن كل مسرحية [أو مسر- يناريو] منها يمثل عرضا دراميا مستقلا بذاته.

المسرحية [أو المسر – يناريو] الأولى بعنوان :

التوحيدى
غريـــب فـــى وطنـــه

وتتناول فترة ما قبل غربته الأولى خارج الوطن: فترة شبابه، فصباه، فطفولته.
وهى الفترة الثورية أو لنقل المتمردة فى شخصية التوحيدى
وهذه المرحلة من حياة التوحيدى غامضة ويندر أن يذكر التوحيدى عنها شيئا فى مؤلفاته؛ ولهذا كان لابد للكاتب من إعمال خياله محاولا سد الثغرات المجهولة من هذه المرحلة.
المسرحية [أو المسر يناريو] الثانية بعنوان :

التوحيدى
مـــن غربـــة إلى غربـــة

والـــتى تتـــناول المـــرحلة المعـــروفة مـــن حـــياة التوحيدى والواردة فى بعض مؤلفاتـــه – وهـــذه المرحلة تبدأ بعودة التوحيدى من غربته الأولى خارج العراق منفيا، ثم تتوالى غربته، غربة بعد غربة حتى ينتهى به الأمر إلى حرق مؤلفاته.

«المؤلـــــف»

إن اليقظـــة التـــى لنـــا بالحــــس
هـــى النـــوم

والحلـــم الـــذى لنـــا بالعقـــل
هـــو اليقظـــة

أبـــو حيـــان التوحيـــدى
المقابســـات
«المقابســـة ٢٦»

الديكــور

لا ديكــور ثابت، فقط ستائر سوداء تحيط بفراغ منطقة التمثيل المظلمة تماما فى البداية وكأنها صفحة سوداء، أو لنقل شاشة سينما مظلمة تماما.

وبالإضاءة

يشكل المخرج المبدع المشهد تلو المشهد داخل الفراغ المظلم.

مع استخدام

أبســط قطع المناظر والإكسسوارات، مجرد «موتيفات» موحيات بالمكان والزمان والجــو العــام للمشهد، تظهر القطع وتتلاشى فى سيولة وسهولة متدفقة تدفق الرؤى فى حلم أو الصور فى فيلم.

الجـــــــــــزء الأول

مدخـــــل كابوســــــى

داخلـــــــــــى **ليــــل شتـــــوى**

فراغ منطقة التمثيل مظلم تماما صفحة سوداء تدريجيا، وبمصاحبة

المؤثرات الصوتية المناسبة

تظهر فى بؤرة الصفحة السوداء، أو لنقل بؤرة الشاشة المظلمة تماما، تظهر **ألسنة نيران تلتهم كومة كتب.**

وبإضاءة المشهد كاملا

نكتشف أن كومة الكتب المشتعلة فوق سطح مكتب عصرى داخل قطاع لحجرة مكتب عصرية. أرفف المكتبة مزدحمة بالكتب حتى الاختناق.

وهناك سرير سفرى داخل قطاع حجرة المكتب كومة الكتب المحترقة المشتعلة فوق سطح المكتب تهتز بشدة من حين لأخر مصحوبة

بصرخات مخنوقة

لرجل يعيش كابوساً جحيميا مع ارتفاع وتوحش.

المؤثرات الصوتية للاحتراق.

من أرفف المكتبة خلف المكتب تتساقط **كتب سبعة** - الواحد بعد الآخر - وكأنها تتقافز إلى الأرض هربا من حريق، ثم تهب قافزة عن الأرض على هيئة

سبع بنات وأولاد

يرتدون أغلفة كتب تراثية مشتعلة بالنيران، **المحترقون** - **أولاد وبنات** - يلفون قفزا حول المكتب، وقد انطلقت صرخاتهم مستنجدة.

المحترقـــــــــــــــون

نحـــترق! النجدة! نحـــترق! النجدة!

من قلب كومة الكتب المحترقة فوق سطح المكتب تقفز رأس

كاتب معاصر

وقـد فغر فمه ذعرا، يهب الكاتب المعاصر واقفا خلف مكتبة... إنه يتجاوز الستين مـن عمـره كالمجـنون يلتقط من فوق سطح المكتب كتابا بعد آخر محاولا إطفاء النيران المشتعلة به.

الكاتب المعاصر

[صارخا بألم شديد]

البصائـــــر! **الذخائـــر!**

المحترقـــــون

نحـــــــــــــــــترق

الكاتب المعاصر

الصداقة! **الصديق!**

المحترقون

نحـــــــــــــــــترق

الكاتب المعاصر

الإمتـــــاع! **المؤانســــــة!**

المحترقـــــون

نحـــــــــــــــــترق

الكاتب المعاصر

الهوامل! **الشوامل!**

المحترقـــــون

نحـــــــــــــــــترق

الكاتب المعاصر

الإشـــارات الإلهيـــة

المحترقـــون

نحـــــــــــــــــترق

الكاتب المعاصر

الأنفاس الروحانية

المحترقون

نحترق، نحترق

الكاتب المعاصر فى ذروة هياجه وغضبه النارى

الكاتب المعاصر

[يصرخ مستنجدا]

أولاد عقل التوحيدى يحترقون!!

بنات قلب التوحيدى تحترقن!!

المحترقون

[فى ذروة صراخهم]

النجدة!! النجدة!! النجدة!!

الكاتب المعاصر

[فى تحد يصرخ]

أى ظلامى ظلوم هذا

الذى يحرق أولاد وبنات التوحيدى؟!!

المحترقون

التوحيدى يحرقنا، النجدة!

الكاتب المعاصر

التوحيدى يحرق أولاده وبناته؟!

المحترقون

النجدة! نحترق! النجدة! نحترق!

الكاتب المعاصر

لا، لا يا شيخنا التوحيدى

لا، لا تحرق أوراق عمرك

لا، يا عمنا أبا حيان لا

تحرق خلودك

[تلاشى سريع]

المشهـــــد الأول

خارجـــــى **ليل شتـــوى**

خلاء صحراوى ممتد خارج بغداد.. تقريبا فى العقد الأخير من القرن الرابع الهجرى.

شيخ عجوز تقريبا فى السبعين من عمره – يميل إلى الطول قليلا. يوما ما كان قوى البنيان.. لحيته بيضاء مشوشة – تحيط بوجه بات كالحا.. بصره أصبح كليلا وسمعه أصبح ثقيلا – عموما الشيخ مكدود مهدود القوى – مهزوم الروح يرتدى ملابس باليه مرقعة لفقير من فقراء التصوف. الشيخ العجوز يفترش الأرض الصخرية وأمامه حفرة عميقة تتصاعد منها ألسنة نيران تتراقص وهى تلعق الفراغ حولها فى انتظار المزيد من الوقود الورقى؛ ليزيد من شهوة سعارها. من «جراب» من القماش المرقع منتفخ ما يزال الشيخ العجوز يسحب قراطيس ولفافات مؤلفاته – الواحدة بعد الأخرى يتأملها لفترة بحسرة وحزن واضحين...

الشيخ العجوز

[من خلال حزنه وأساه يغمغم]

يا زماناً ألبس الأحرار ذلا ومهانة!!

يمد الشيخ العجوز يده المرتعشة ممسكة.. بقرطاس أو لفافة... مترددا لفترة ثم يلقيها فى حفرة النار، ثم يسحب لفافة أخرى من الجراب المنتفخ.. يتأملها لفترة من خلال دموعه.

الشيخ العجوز

[يغمغم من خلال دموعه منشدا]

دنيا تأبت على الأحرار عاصية

وطاوعت كل صفعان وضراط!!

ثم يلقى باللفافة لألسنة النيران.. ويعاود الكرة مع مؤلف آخر يسحبه من الجراب – يتأمله لفترة.

الشيخ العجوز

[من خلال دموعه ينشد ساخرا بمرارة]

بؤسا لهذا الزمان من زمن

كل تصاريف أمره عجب

أصبح حربا لكل ذى أدب

كأنما فسق بأمه الأدب

ثم يلقى الشيخ بمؤلفه لألسنة النار ثم يعاود دس يده فى جوف الجراب

هنا يندفع من الخلاء المحيط به

الكاتب المعاصر وقد ارتدى ملابس قاضى بغدادى من نهاية القرن الرابع الهجرى، بأنفاس لاهثة يلقى بنفسه على يد الشيخ العجوز ليمنعه؛ من إلقاء مؤلفه فى حفرة النار.

الكاتب المعاصر

[زاعقا فى ذعر واضح]

لا، لا، لا يا توحيدى لا تحرق أوراق عمرك!

لا، لا تحرق خلودك

الشيخ العجوز، يسرع بإلقاء مؤلفه فى حفرة النار.

التوحيدى

[بينما يصيح ساخرا]

باطل الأباطيل !! الكل باطل وقبض الريح!!

الكاتب المعاصر – وقد مد يده ليلحق بالمؤلف قبل أن يصل إلى ألسنة النيران – بلا جدوى مما يعرض أصابعه للاحتراق.

الكاتب المعاصر

[يصيح معترضا من خلال ألمه]

إن إعدام مؤلفاتك بالنار........!!

التوحيدى – وكان قد هب واقفا – يدير ظهره للكاتب المعاصر ويرفع طرف ردائه ليبول فى حفرة النار

التوحيدى

[من خلال ضحكات ساخرة يقاطعه]

بالنار احرقها... وبالماء أعمدها!!

التوحيدى وقد انتهى من تعميد محروقاته ببوله يعود ليواصل إلقاء بقية مؤلفاته **الكاتب المعاصر** بدوره يعاود محاولاته لإنقاذ المؤلفات قبل أو بعد إلقائها فى حفرة النار

الكاتب المعاصر

كيف يهون عليك حرق سنوات عمرك؟!!

التوحيدى

كل شىء هالك! [ثم يصيح ساخرا] **كل من عليها فان**

الكاتب المعاصر

ما تفعله جنون فى جنون

التوحيدى

إحراق كتبى أمر ما اجترأت على فعله

حتى استخرت الله فيه أياما وليال وحتى أوحى إلى فى المنام!

الكاتب المعاصر

[ساخرا بمرارة]

أوحى إليك بحرق وجودك؟

التوحيدى

[مؤكدا بهدوء]

مما بعث فى أعماقى راقد العزم على تنفيذ ما تراه

الكاتب المعاصر

وما حجتك أمام المستقبل؟!!

التوحيدى

[بمرارة يغمغم ساخرا]

المستقبل؟ أى مستقبل

لشيخ مهزوم بائس مثلى؟!!

الكاتب المعاصر

[يواصل تساؤله]

وما عذرك أمام ما يقدرون...؟

التوحيدى

[يقاطعه من خلال دموعه]

ما قدرنى أحد

الكاتب المعاصر

[يكمل سؤاله]

وما سيقدرون أدبك وعلمك؟!

التوحيدى

[بمعاناة شديدة يصرخ]

أعوذ بالله من أدب أورثنى ذلا

أعوذ بالله من علم صار فى رقبتى غلا

الكاتب المعاصر

ألا يكفى العالم أنه قد كتب ما كتب؟!!

ألا يكفى الأديب أنه قد أبدع ما أبدع؟!!

التوحيدى

فلأعترف لك يا أبا سهل يا صديقى لقد جمعت وكتبت أكثر ما كتبته للناس؛ لطلب المثالة منهم، لعقد الرياسة بينهم! لمد الجاه بينهم؛ فحرمت هذا كله!!!

الكاتب المعاصر

[باستنكار]

فتحرق قلبك على بنات قلبك؟!

التوحيدى

[يغمغم بأسى ممرور]

بناتى!!!

الكاتب المعاصر

وتحرق عقلك على أولاد عقلك؟!

التوحيدى

[بنفس المرارة]

أولادى!! لقد قتلت ذريتى

أولادى - وبناتى - فى ظهرى. لم أتزوج

كما تعرف يا صديقى أبا سهل

الكاتب المعاصر

[يجاريه بسرعة]

طبعا أعرف يا أبا حيان... أعرف أنك لم تتزوج

التوحيدى يشرد ذهنه مسترجعا ماضى بعيد

التوحيدى

ولعلك تذكر عودتى من مكة حيث قضيت فترة النفى القهرى - لقد عدت بوافر المال حصيلة دروس فى فقه اللغة والدين.. كان عمرى وقتها لم أكن قد تجاوزت الأربعين بعد فاخترت مسكنا فخيما فى محلة راقية.. محلة بين السورين.. وأثثتها بفاخر الأثاث والرياش. واقتنيت لنفسى جارية جميلة أحبتنى.. ومع الوقت أحببتها فمعها ذقت طعم السعادة والاستقرار لأول.. ولآخر مرة فى حياتى.. أوشكت أن أتخذها زوجة لى بعد أن أعتقها وفجأة لاحقنى النحس الأزلى بظله....انفجرت فى البلاد الفتنة الكبرى.

[[تلاشى بطىء]]

* * * * * * * * * * *

المشهـــــد الثانـــــــى

خارجــى **صيفــى**

ساحة فى أحد الأحياء الراقية.. أنه حى بين السورين بغداد حوالى ٣٦٢ هـــ

صوت التوحيدى

[يواصل الحكى مذعورا]

انتهكت البلاد، ملكت الحصون

أزيلت النعم، أريقت الدماء

فى الساحة صرخات بشرية - هرج ومرج مطاردات، نهب، سلب، انتهاك
حرمات البيوت يقوم بها حشد من العيارين يقودون الحرافيش والزعر والصعاليك فى النهب والسلب وانتهاك الحرمات واغتصاب النساء

صوت التوحيدى

[يواصل الحكى مذعورا]

حصل لنا من العيارين قادة وقواد لشن الغارات وحملات النهب والسلب

[[تلاشى سريع]]

****

المشهـد الثالـــث

داخلى **نهار صيفى**

داخــل غــرفة النوم بمسكن أبى حيان التوحيدى، الغرفة مطلة على الساحة التى تجرى فيها عمليات النهب والسلب

أبو حيان التوحيدى

عمره قد تجاوز الأربعين بقليل، يرتدى ملابس فاخرة، **جارية جميلة وصغيرة** فى العشرين من عمرها، بملابس منزلية فاخرة. الجارية خوفا وذعرا – تتعلق بعنق التوحيدى الذى يحاول تهدئة روعها وفزعها.... **معا – يتلصصان من خلال نافذة مقفلة** ومطلة على الساحة الخارجية، ومعا يشاهدان ما يجرى من عنف خارج مسكنهما.

صوت التوحيدى

[مذعوراً]

ها أنا أغرق فى أحداث الفتنة الكبرى

النهابة يقتربون من باب بيتى عنــوة

يقتحمون حرمة مسكنى العيارون شنوا الغارة داخل بيتى

يــندفع من باب غرفة النوم النهابة بقيادة أحد العيارين وبوحشية يبدأون نهب وسلب محــتويات الغرفة... الجارية يزداد ذعرها فتتعلق بعنق أبى حيان أكثر – أبو حيان يحاول التماسك وقد بدأ على وجهه الأسى والحزن لما يحدث أمامه من سلب ونهب.

صوت التوحيدى

[بأسى وحسرة]

شنوا الغارة، اكتسحوا ما وجدوا فى منزلى

من ذهب.. ثياب.. أثاث وما كنت قد ذخرته

من تراث العمر، فأمسيت وما أملك مع الشيطان

فجره ولا مع الغراب نقره

وقد **انتهى النهابة من النهب والسلب** وجردوا الغرفة.. من الأثاث وتركوها عارية تماما. **العيار يجرد سكينا طويلا** قاصدا الجارية الجميلة، **أبو حيان التوحيدى يدفع الجارية خلف** ظهره بالرغم من معارضتها ومقاومتها، العيار يتجه بسكينه ليخلص الجارية من خلف ظهر أبى حيان، **أبو حيان التوحيدى يستميت لحماية** الجارية مما يثير غضب العيار فيهم بطعن أبا حيان فى قلبه **وهنا تسرع الجارية لتتلقى الطعنة** فى قلبها حماية لأبى حيان. **تسقط الجارية مضرجة بدمائها. أبو حيان التوحيدى يركع ليحتضن الجارية** المحتضرة. **الجارية تموت بين ذراعية التوحيدى**

[من خلال دموعه]

العمر قصير!! الساعات طائرة!! الحركات قائمة!!

والفرص بروق تأتلق

[[تلاشى سريع]]

****

المشهـــد الرابـــــع

خارجى **ليل شتوى**

عودة إلى الخلاء الصحراوى الممتد خارج بغداد أبو حيان التوحيدى ما يزال_شارد الذهن. الكاتب المعاصر فى صمت يتابعه بإشفاق واضح

التوحيدى

[يأسى يغمغم]

بعد ما فقدت جاريتى... التى أحبتنى وأحببتها..
وأوشكت أن أتزوجها بعد عتقها قررت ألا
أتزوج، وهكذا [مازحا] قتلت ذريتى فى
ظهرى فحرمت من الولد والبنت

الكاتب المعاصر

[مشفقا ومتعاطفا]

كلنا - يا جدنا الأكبر - كلنا الناطقون والناطقات
بالعربية أولادك وبناتك أحفادك وحفيداتك

التوحيدى

[وقد خنقته الدموع]

افتقدت الولد النجيب والصديق الحبيب، الصاحب القريب والتابع
الأديب... والرئيس المنيب فشق على أن أدع مؤلفاتى
لقوم يتلاعبون بها ويدنسون عرضى إذا نظروا إليها ويشمتون

الكاتب المعاصر

رفقا يا شيخنا، رفقا بطينة البشر

التوحيدى

كيف أترك لأناس جاورتهم سنوات وسنوات فما صح
لى من أحدهم وداد ولا ظهر لى من إنسان منهم حفاظ؟!!

الكاتب المعاصر

يا أبا حيان.. قيمة الكاتب قيمتك.. يا شيخنا فى ذاتك

التوحيدى

[تخنقه الدموع]

لقد اضطررت بينهم – بعد الشهرة والمعرفة فى أوقات
كثيرة – إلى أكل العشب النابت شيطانيا فى الصحراء، أرغمت
إلى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة

الكاتب المعاصر

[بدوره تخنقه الدموع]

الجوع! الموت جوعا، لعنة! قبلك يا توحيدى قد أصابت، وبعدك، مازالت تصيب
الكثير من العلماء والأدباء والمبدعين الشرفاء.

التوحيدى

طلب القوت ليس إليه سبيل إلا ببيع الدين وأخلاق المروءة
وإراقة ماء الوجه وكد البدن وتجرع الأسى ومقاساة الحرقة
ومضغ الحرمان واستحلاب الصبر ألوان

الدموع تخنق التوحيدى لدرجة ينفجر بعدها باكيا فى ندم شديد

التوحيدى

[باكيا بندم شديد]

لقد اضطررت إلى بيع الدين والمروءة، اضطررت
إلى تعاطى الرياء والنفاق اضطررت إلى ما لا يحسن بالحر أن يفعله و...

[[تلاشى بطىء]]

****

المشهـــد الخامـــــس

خارجى **ما بعد ظهر يوم صيفى حار**

أمام منزل فخيم يرتفع عن سطح الأرض بسلاملك كثير الدرجات، فى أحد الأحياء الراقية - بغداد، فى الربع الأخير من القرن الرابع الهجرى - وقائعه تحدث قبل وقائع المشهد السابق بعدة سنوات، **أمام باب المنزل** - يقف... **أبو حيان التوحيدى** فى حوالى الستين من عمره - بزيه الصوفى المرقع وهيئته المهملة الزرية أنه يدق الباب بحلقة معدنية مصقولة ولامعة ومثبتة فى صدر الباب. على إحدى درجات السلاملك يجلس **الشيخ النصيبى** تقريبا فى نفس عمر التوحيدى، ونفس فقره وعوزه الواضحين من ملبسه الصوفى المرقع.

أبو حيان التوحيدى ما يزال يدق الباب ولا مجيب..

النصيبى

[ساخرا]

أمازلت تأمل خيرا

فى صديقك أبى الوفاء المهندس؟!!

أبو حيان التوحيدى.. يواصل الطرق

التوحيدى

[بثقة مهزوزة]

صديقى أبو الوفاء المهندس لا يرد سائليه لا.. يخيب آمليه

ويواصل الدق على الباب عدة مرات وأخيرا يفتح الباب بحذر واضح نصف وربما ربع انفراجه تطل منها رأس غلام جميل الوجه

التوحيدى

[مستبشرا]

فائق!

الغلام فائق

[بلا مبالاة]

الشيخ التوحيدى.. مرة أخرى؟

النصيبى

[ساخرا]

المرة الأخرى بعد المئة!

الغلام فائق

مولاى بالخارج

ثم يصفع الباب بعنف فى وجه التوحيدى

أبو حيان التوحيدى فى ذروة الخجل

التوحيدى

الحق معك يا نصيبى لقد تعبنا وتبذلنا على بابه

النصيبى

[يصبح مهللا]

أخيرا أيها الملحاح الملح إلحاحا ملحا، هيا بنا إذن

بلا رجعة فليس أمامنا إلا مهاجرة بابه أو الإعراض عنه

وقمع النفس الدنية بالطمع فى خيره، هيا بنا!

يتحرك النصيبى ومن خلفه التوحيدى..ولكن التوحيدى بعد عدة خطوات يتوقف

التوحيدى

ومع ذلك فالأعذار التى اتفقت ومنعت من رؤية أبى الوفاء

أعذار قد تكون

النصيبى ينفجر غاضبا ويهرول مبتعدا

النصيبى

والله والله لو قيل لى :إن دار صديقك الكريم

الأوحد هى الفردوس بعينه وإنها دار المعاد

بالخلود لما دخلتها – وهاأنا أذكرك يا ملحاح التوحيدى

بقول الشاعر : [ينشد]

طلب الكريم ندى يد المنكود

كالغيث يستسقى من جلمود

ويواصــل النصيبى هرولته بعيدا حتى يختفى.. التوحيدى فى ذروة ثورته الداخلية يســتدير فــى هياج مندفعا إلى باب المنزل وكالملتاث يدقه بذراعيه وبساقية وربما برأسه أيضا.. الغلام فائق بحذر شديد يفتح الباب مواربا فى انفراجه فقط تسمح له برؤية الطارق..

الغلام الفائق

مولاى، فى قصر مولانا الأمير صمصام الدولة... [ثم يهم الغلام
بسرعة ليقفل الباب فى وجه التوحيدى.. كثور هائج يدفع
أبو حيان التوحيدى الباب ليفتحه بالقوة ويدخل عنوة]

[[تلاشى سريع]]

****

المشهـــــد السادس

داخلى **بعد ظهر يوم صيفى حار**

داخل منزل أبى الوفاء المهندس وبالتحديد فى حجرة الطعام.... أبو الوفاء المهندس.. شيخ أصغر قليلا من عمر التوحيدى أنه جالس على مائدة حافلة بالعديد من الأطعمة الشهية، وببطء شديد يمارس طقوس تناول طعامه ومن حين لآخر يرتشف رشفة من كأس خمر على يمينه.

أبو حيان التوحيدى يندفع كسهم خاطف إلى حجرة الطعام يحركه بركان غضب يكاد ينفجر فتنطلق من فمه الكلمات بلا حساب لأية اعتبارات.

التوحيدى

تنكر نفسك عنى يا .. يا أبا الوفا؟!

وأنت هنا تأكل وتشرب و...

أبو الوفاء المهندس بهدوء ولا مبالاة يستمر فى تناول طعامه - ثم يرفع بصره بلا اهتمام إلى أبى حيان التوحيدى..

أبو الوفاء

من؟ أبا حيان؟!

التوحيدى

أبو حيان صديقك يا أبا الوفا، صديقك الذى لم ترع

مع ذمام الملح بينك وبينه..

أبو الوفاء يلتفت ناحية مدخل حجرة الطعام

أبو الوفاء

[مناديا]

فائق..

هنا يدخل الغلام فائق - صبى دون الخامسة عشرة من عمره - أنثوى الوجه والجسد مخنث شكلا وصوتا

الغلام

[بصوت غانج]

أمر مولاى

أبو الوفاء

[بحده]

كيف سمحت بإدخال هذا الـ........؟

الغلام فائق بسرعة ينقل يده إلى عجيزته ويبدو عليه الألم

الغلام

مولاى - كثور هائج دفع الباب عنوة اقتحمنى

أسقطنى على عجيزتى فأدماها يا مولاى

أبو الوفاء

فلتنصرف يا فائق - ولا تنسى تدليك موضع الألم..

ينصـــرف الغلام فائق بعد أن يصوب نظراته العاتبة إلى أبى حيان التوحيدى وهنا يصوب أبو الوفا نظره حادة إلى التوحيدى

أبو الوفاء

كيف تجرؤ على اقتحام بيتى هكذا؟

التوحيدى

[متراجعا عن حدته]

يا شيخ أبا الوفاء

أبو الوفاء

لعلك تذكر يا أبا حيان أنك قد انكفأت راجعا من الرى

التوحيدى

[يغمغم بأسى]

من غربة فظيعة

أبو الوفاء

[ساخرا وربما شامتا]

لقد عدت إلى بغداد من انتجاعاتك للوزير أبو الفضل ابن العميد ومن بعده ابنه أو الفتح ابن العميد

التوحيدى

[بمرارة]

ومن بعدهما الوزير الصاحب بن عباد

أبو الوفاء

عدت مغيظا، مقروح الكبد

التوحيدى

الحرمان المر والصد القبيح اللقاء الكريه والجفاء الفاحش. القدح المؤلم والمعاملة السيئة والتغافل عن ثواب خدمتى لهم وحبس أجرتى على النسخ والوراقة فضلا عن التهجم المتوالى عند كل لحظة وكل لفظة، وأكثر من هذا الكثير سأرصده فى كتابى.

أو الوفاء

كتابك؟!

التوحيدى

أخلاق الوزيرين

أبو الوفاء

وكعادتك طبعا ستعمل لسانك الشتام فى عرض الوزيرين وطولهما

التوحيدى

جرعة الحرمان أمر من جرعة الثكل! ضياع التأميل أمضى من الموت لا خدمة من لا يجعله الله أهلا أشد من الفقر.

أبو الوفاء

باختصار بعد عودتك من غربتك شكيت لى شقاء اتصل بك فى سفرك ذلك.

التوحيدى

لقد أذلنى السفر من بلد إلى بلد.. وخذلنى الوقوف على باب بعد باب وعندما عدت لى بغداد مقررا البقاء فى وطنى مسقط رأسى.. أنكرنى العارف بى تباعد عنى

القريب. بالنيافى عينى أصبحت مسودة! وأبواب الخير منسدة لثقل المؤنة وقلة المعونة هذا مع اشتعال الشيب وخمود النار وأفول شمس الحياة وسقوط نجم العمر – وقلة حصول الزاد ولم يكن أمامى سوى قبول ما سبق أن تعاليت عليه بعناد صبيانى بالرغم من نصح شيخوختى.. لم يكن أمامى سوى العمل فى حرفة الشؤم.. كناسخ فى وكالة الوراقين مع شيوخى وأساتذتى وقد تقدم بهم العمر

أبو الوفاء

لهذا ضمنت لك تلافى ذلك كله بصادق الشفقة وخالى الضمير ووعدتك صالح الحال

التوحيدى

فألحقتنى عاملا بالبيمارستان العضدى

أبو الوفاء

لتجد ما تعول به نفسك [مازحا] بدلا من الانتحار فى منامك

التوحيدى

واستنسختنى كتاب الحيوان للجاحظ

أبو الوفاء

أنى وجدتك معتن به ومتوفر على تصحيحه

التوحيدى

أنا خادمك يا شيخ أبا الوفاء خادمك الممتن الشكور

أبو الوفاء

ثم قدمتك للوزير ابن العارض وزير مولانا صمصام الدولة البويهى وأوصلتك لمجلس الوزير فماذا تريد منى من ولى نعمتك أكثر مما حققته لك بالجلوس إلى حضرة الوزير ابن سعدان – تؤانسه وتمتعه بأحاديثك ليال طوال؟

التوحيدى

أريد ما وعدتنيه من تكرمة الوزير الذى أشبع كل
جائع وكسا كل عار ولم يبق على فقره وبؤسه غيرى

أبو الوفاء

لعل سبب فقرك وبؤسك...

التوحيدى

مع خدمتى السالفة والآنفة وبذل كل مجهود

ونسخى كل عويصة أو قيامى بكل صعب...

أبـو الوفـاء لا ولـم يـتوقف لحظة عن ممارسة طقوس تناوله الطعام أثناء كلام التوحيدى المتدفق

أبو الوفاء

[بهدوء مختلقا المعاذير]

يا أبا حيان يا - يا صديقى كما تعلم........

التوحيدى

[مقاطعا]

دعنى من التعليل الذى لا مرد له.. والتسويف الذى

لا آخر معه.. ذكر الوزير أمرى. كرر على أذنه ذكرى

أبعثه على الإحسان إلى

أبو الوفاء

الوزير مشغول

التوحيدى

وماذا أصنع بالوزير إذا فرغ.. وما بال غيرى ينوله

ويموله مع انشغاله وأحرم أنا؟! فالوزير كما قال الشاعر :

برق أضاء الأرض شرقا وغربا

وموضع رجلى منه أسود مظلم

أبو الوفاء

ألا يكفيك من الوزير شرف مجالسته لإمتاعه ومؤانسته؟!

ألا يكفيك دسم وتنوع مائدته؟! أكثر من هذا فيما تطمع؟!

التوحيدى

إذا لم يجد بالمال فليجد بالجاه

أبو الوفاء

الجاه؟!!

التوحيدى

فليسرحنى حضرة الوزير رسولا إلى صاحب البطائح أو إلى
والى البصرة فإنى أبلغ فى تحمل ما أحمل وأداء ما أؤدى..

أبو الوفاء

[يقاطعه باستخفاف]

دعك من الجاه يا أبا حيان ولتكتفى بما يقوتك فى عيشك

التوحيدى

فلأدع الجاه - ودع لى ألف درهم

أبو الوفاء

ألف درهم؟!!

التوحيدى

رأس مال أشارك به كسج بقال المحلة فى درب الحاجب حتى
يستعين بى لأبيع الدفاتر..

وقد انتهى أبو الوفاء المهندس من الأكل يصفق.. فيظهر فى الحال خادم يحمل إبريقا وطشطا من النحاس لزوم غسل يدى أبى الوفاء.. يترك أبو الوفاء المائدة

التوحيدى

ماذا قلت يا شيخ أبا الوفاء؟!..

الخــدم يهمون برفع بقايا الطعام عن المائدة أبو الوفاء المهندس يشير لهم بالتوقف عن ذلك.

أبو الوفاء

أبا حيان، لعلك جائع فلتجلس لتأكل وبعدها الحق بى فى
حجرة مكتبى لنكمل حديثنا..

أبو الوفاء يتحرك خارجيا..

ويترك أبو حيان التوحيدى وحيدا أمام بقايا الطعام. فى داخله يدور صراع ما بين معدته الخاوية وبين كرامته كإنسان

صوت الكاتب المعاصر

[من خارج المشهد]

لا، لا يا أبا حيان لا تفعلها.. كرامتك، عزتك كإنسان

كأديب، لا، لا تفعلها يا أبا حيان...

أبـــو حـــيان التوحيدى ينهى الصراع بداخله لصالح معدته الخاوية. لا شعوريا – يجلس خلف المائدة وتمتد يده للطعام ويبدأ الأكل

التوحيدى

[يغمغم بخجل واضح]

الجوع كافر – خلاء الجوف وشهوة الطعام يقطعان

الحكيم من الحكمة!!..

بنهم جائع يتضور جوعا يلتهم التوحيدى الطعام

صوت التوحيدى

[وفمه محشو بالطعام]

إلى متى الكسيرة اليابسة والبقلة الزاوية؟ إلى متى؟!

التأدم بالخبز والزيتون؟ وعلى الدفتر؟

إلى متى؟! إلى متى القميص المرقع؟ إلى متى؟!

مسكنى درب الحاجب؟ إلى متى؟!

فجـــأة يـــتوقف التوحيدى عن الأكل – وبزهد واضح يزيح الطعام بعيدا عنه على المائدة.

التوحيدى

الفقر جالب الطمع والطبع [الدنس]. الفقر كاسب

الجشع والضرع [الهوان]. الفقر حائل بين المرء ودينه..

الفقر سد دون مروته وأدبه وعزة نفسه..

لا شعوريا تمتد يده إلى قطعة لحم باقية بسرعة يدفعها فى فمه ويمضغها

التوحيدى

[بفم محشو يصرخ فى تحد]

أيها الفقر – لو كنت رجلا لقتلتك

صوت الكاتب المعاصر

[يصرخ بمعاناه]

كفى – كفى يا شيخنا التوحيدى

[[تلاشى سريع]]

****

المشهـد السابـع

خارجي **ليل شتوى**

عودة إلى المشهد [١] – الخلاء الصحراوى – أبو حيان التوحيدى الدموع على خديه وذقنه تنهمر بغزارة ندماً

التوحيدى

[يجهش بندم عميق]

اضطررت إلى ما لا يحسن بالحر أن يفعله ويطرح فى
قلب صاحبه ألم الندم

الكاتب المعاصر بدوره يعانى داخليا

الكاتب المعاصر

[يصرخ بمعاناه]

الحريق يستعر فى صدرى – كفى! كفى يا أبا حيان..

التوحيدى يفيق لما يسمع فتبدو عليه الدهشة

التوحيدى

ليس فيما فعلته وقلته بخاف عليك يا صديقى أبا سهل..
مع عمق معرفتك وفطنتك ومع شدة تتبعك لأحوالى ولأحوال
البشر فى العراق كما أن تفرغك كقاضى لبغداد و.......

الكاتب المعاصر

تفرغت لأكتب عنك مسرحية..

أبـو حـيان التوحـيدى تتأكد دهشته بل وحيرته فيخطو عدة خطوات نحو الكاتب المعاصر

التوحيدى

كلامك اليوم غريب يا صديقى أبا سهل

الكاتب المعاصر

يا .. يا عمنا أبا حيان أنا...

أبـــو حيان التوحيدى يقترب أكثر فأكثر من وجه الكاتب المعاصر، ويلصق عينيه الكليلتين فى وجهه

التوحيد

من أنت يا .. يا هذا؟

الكاتب المعاصر

أأنا

التوحيدى

أنت لست صديقى القاضى أبا سهل كما كنت أظنك
وإن كنت تحاول محاكاة زيه وغطاء رأسه ككقاضى
لبغداد، آه لتنجح فى خداعى

الكاتب المعاصر

خداعك؟! لا يا شيخنا أبا حيان، أنا مريد من مريدينك

التوحيدى

[ينهره بحدة]

لا مريدين لى، لا تسخر منى يا هذا..

وفجـــأة يـــنقض على عنق الكاتب المعاصر وقد استجمع كل قواه المنهوكة يشحنها برغبته الكامنة فى الانتقام من مخادعه كرمز لكل مخادعينه وظالمينه ومحتقرينه

التوحيدى

[بكل حقد وكره متراكم]

لابد وأنك عين من عيون الوزير ابن يوسف..

الكاتب المعاصر يحاول بصعوبة تخليص عنقه من بين أصابع يد التوحيدى وأخيرا وقد خلص عنقه واستعاد تنفسه

الكاتب المعاصر

[يغمغم جانبا]

فلأجارى العجوز فى ظنه!! فلأكن عينا من عيون
الوزير ابن يوسف! حيلة درامية لأغوص فى أعمق
أعماق التوحيدى..

التوحـــيدى – كـــان قـــد بدأ يتحرك هربا.. الكاتب المعاصر بسرعة يقطع طريق هروب التوحيدى

الكاتب المعاصر

[بنبرة تهديد خفى]

ألا تكف يا ابن التوحيدى عن اغتياب مولاى

حضرة الوزير أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف؟

التوحيدى

[بصوت مرتعش]

أ .. أنا؟! حاشا لله

الكاتب المعاصر

دائما تشتم مولانا حضرة الوزير ابن يوسف بأقذع الشتائم..

التوحيدى

[يزداد رعبه]

أنا أشتم وزيرنا.. أدام الله دولته و...؟!

الكاتب المعاصر

[يذكره ببعض الشتائم]

الوزير ابن يوسف أقذر الناس؟!

الوزير ابن يوسف أنتن الناس؟!

التوحيدى

[يزداد رعبه]

أكاذيب ابتدعها الوشاه ضدى

الكاتب المعاصر

الوزير ابن يوسف أمه مغنية؟!

وأبوه من إسقاط الناس؟!

التوحيدى

ألفتراءات من صنع حسادى والحاقدين على!!

الكاتب المعاصر

بلسانك الشتام الهجام يا ابن التوحيدى، دائما كنت تردد هذه الشتائم فى مجلس الوزير السابق - الله يرحمه - ابن سعدان

التوحيدى

أنا؟! أنا لم

الكاتب المعاصر

لترضى حقد ابن سعدان - الله يرحمه - على منافسه القوى ابن يوسف.

[[تلاشى بطىء]]

****

المشهــد الثامـــــن

داخلى **ليل صيفى**

قاعة المجلس الأدبى قصر الوزير ابن سعدان وزير الأمير البويهى صمصام الدولة وذلك فى أواخر عام ٣٧٥ هـ قبل انقلاب الأمير على وزيره ابن سعدان بعدة شهور وسجنه ومصادرة أمواله ثم قتله فى
الوزير ابن سعدان
[٤٠ سنة] تقريبا – إنه يتوسط مجلسه الأدبى والذى يضم :
أبو الوفاء المهندس [حوالى ٥٥ سنة] – ابن زرعة الفيلسوف النصرانى حوالى [٦٠ سنة] – مسكويه الخازن حوالى [٥٠ سنه] – ابن الحجاج الشاعر الماجن [٦٥ سنة] – أبو حيان التوحيدى [٦٠ سنة] وتقريبا بنفس هيئته وزيه الصوفى قبل أن يبلى تماما.

الوزير ابن سعدان

[بضيق واضح]

قد والله ضاق صدرى بالغيظ لما يبلغنى عن العامة من خوضها فى سياستنا

الحضور

[بأصوات متداخلة]

– هون عليك يا وزيرنا الهمام **– إنهم غوغاء**

– انتفاضة عيارين! **– حرامية!**

الوزير ابن سعدان

أبا حيان، حدثنى عما تسمع من العامة فى سياستنا

التوحيدى

[مترددا يبحث عن الكلمات]

حضرة الوزير ابن سعدان! – أعلى الله كلمتك، وأدام غبطتك ووالى نعمتك – لقد سمعتهم بباب الطاق يقولون...

الوزير ابن سعدان

ماذا يقولون؟.. تكلم يا أبا حيان، ماذا يقولون؟!

التوحيدى

قالوا أو تقولوا أنه قد اجتمع الناس اليوم على الشط، فلما نزل الوزير ابن سعدان ليركب المركب؟! صاحوا وضجوا و....

أصوات جموع

غاضبة تتسلل تدريجيا إلى المشهد

[[تلاشى بطىء]]

****

المشـــهـــد التاســـــع

خارجى **نهار صيفى**

علـــى شط نهر دجلة حيث ترسو بعض المراكب جموع غاضبة من جميع الطبقات ترجم مركبا بعينها.

الجموع الغاضبة

[أصوات متداخلة]

- لقد أنسيتنا لين العيش - وطيب الحياة - فرحنا معدوم

- ضياعنا مسروقة - أموالنا مصادرة

- بيوتنا سكنها الأعاجم -حريمنا مستباح

- نعمنا مسلوبة - نقدنا عملتنا زائفة

- خراجنا مضاعف - البيمارستان بلا أطبة

- وبلا دواء - مساجدنا خربة

- لم لا تسمعنا يا ابن سعدان؟! صدورنا توشك على الانفجار

هنا يندفع من جميع الجهات عسكر الديلم يطاردون فى وحشية الجموع الغاضبة الجموع الغاضبة وقد قهرها عسكر الديلم بوحشية تجأر بالشكوى من خلال دموعها.

الجموع المقهورة

[من خلال دموعها وألمها]

بليتنا متصلة.. دموعنا سخينة!!

الوزيـــر ابـــن سعدان - وكان قد ظهر من داخل مركبه - يقف على سطحها يتابع بنشوة واضحة مطاردة العسكر للجموع الغاضبة حتى قهرها تماما.

الوزير ابن سعدان

[من خلال ضحكاته الشمته]

يا حثالة البقر، بعد لم تأكلوا النخالة!!

[مع ارتفاع ضحكاته]

صوت الوزير ابن سعدان

[من المشهد السابق]

والله ما قلت هذا

[[تلاشى سريع]]

****

المشهـــــد العاشـــــر

داخلى　　　　　　　　ليل صيفى

عودة إلى مجلس الوزير ابن سعدان نفس الحضور

الوزير ابن سعدان

[مكملا دفاعه]

والله ما قلت هذا. ولا خطر لى على بال! ولم أقابل عامة جاهلة ضعيفة جائعة بمثل هذه الكلمات الخشناء؟ هذا والله ما يقوله ويشيعه عنى من عشق الشر وأحب الفساد وقصد التشنيع على إنه هذا العدو -الكلب الطامع

التوحيدى

[يكمل مجاريا]

الطامع فى الوزارة - خيب الله أماله - أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف كاتب رسائل أميرنا صمصام الدولة - أطال الله عمر جلالته -

الوزير ابن سعدان

كفانى الله شر ابن يوسف لدى الأمير فهو دائما لصيق أذنيه يفح فيها بكيده لى..

التوحيدى

اللهم نكس كيده على رأسه

الوزير

والله لأنظرن للعامة وللفقراء بمال أطلقه من الخزانة وأرسم ببيع الخبز ثمانية بدرهم

التوحيدى

أحسن الله جزاء حضرة الوزير.. والله يزيدك ويزيدنا بك ولا يبتلينا بفقد ما ألفناه منك بمنة وجود

الوزير

ويصل ذلك إلى الفقراء.. فى كل محله على ما يذكر شيخها

التوحيدى

وهكذا ينتشر الدعاء لحضرة الوزير فى الجوامع والمجامع

الوزير

لعل هذا يخرس نباح ابن يوسف

التوحيدى

عندى حديث لا شك حضرة الوزير مطلع عليه وعارف له

الوزير

[مهموما يتنهد]

أى حديث تقصد يا أبا حيان؟!

التوحيدى

حديث يضحك حضرة الوزير اضحك الله سنه وحقق فى كل خير ظنه

الوزير

أى حديث هذا الذى يضحك سنى يا أبا حيان؟

التوحيدى

حديث ما حدث لابن يوسف فى همذان مع جلالة عضد الدولة برد الله مضجعه

الوزير

ابن يوسف كان حاجبا لعضد الدولة وهناك أحداث كثيرة دار حولها الحديث! أى حديث تعنى يا أبا حيان؟

التوحيدى

حديث الصفع يا حضرة الوزير

هنا ينفجر الوزير فى الضحك

الوزير

يا له من حديث يضحك أسنان الفم كلها يا أبا حيان.. ويسرى عن النفس المهمومة بمكائد ابن يوسف

التوحيدى

ابن جرنبار أحد ضحايا مكائد ابن يوسف يصر على الانتقام منه وفى حضرة

جلالة عضد الدولة

الوزير

انتقام مبتكر.. صفع ابن يوسف على الخدين بالتبادل

التوحيدى

وأن يقوم بالصفع بالتبادل الحارسان الذين أمرهما ابن يوسف بالقبض على ابن جرنبار بعد أن كاد له عند جلالة عضد الدولة

الوزير

ابن يوسف استنجد باكيا بعضد الدولة ليحميه من انتقام ابن جرنبار

التوحيدى

[مقلدا عضد الدولة]

أجل، أنت خادمنا يا ابن يوسف.. ومذهبك معروف فى الطمع والحيلة.. وجر النار إلى قرصك وليس الذنب ذنبك يا ابن يوسف ولكن ذنب من رآك إنسانا وأنت كلب.

هنا يضحك الوزير بأقصى قوته ومعه بقية الحضور...

التوحيدى

[من خلال ضحكاته]

ابن يوسف كلب - كلب مصفوع - صدق والله تاج الدولة جلالة عضد الدولة

فابن يوسف أخس خلق الله! أنتن خلق الله! أقذر خلق الله!!

أكلب خلق الله

ترتفع ضحكات الوزير وبقية المجلس وهنا تندفع من خلف الستر والأبواب مجموعة من البصاصين المسلحين ويحاصرون الوزير والذين فى مجلسه وقد أصابت الجميع المفاجأة بالذعر والرعب.

ثم يندفع من مدخل القاعة.

أبو القاسم عبد العزيز ابن يوسف أصغر سنا من الوزير ابن سعدان.

ابن يوسف

اقبضوا على الوزير ابن سعدان

المسلحون يقبضون على الوزير ابن سعدان

الوزير ابن سعدان

[يحاول التماسك]

ماذا هناك يا ابن يوسف؟!

أفـــراد المجلـــس وقـــد أصابهم الذعر والرعب وخاصة أبو حيان التوحيدى يحاول بعضـهم التسلل للخارج.

ابن يوسف

اقبضوا على مجلس النميمة

المسلحون يطاردون المتسللين ويقبضون عليهم الواحد بعد الآخر.

الوزير ابن سعدان

ستندم على فعلتك هذه يا ابن يوسف

يفرد ابن يوسف رقعة أسطوانية ليقرأها.

ابن يوسف

أمرنا نحن الأمير صمصام الدولة بسرعة إمساك الحوطة على موجود الوزير السابق ابن سعدان وعلى حواصله وأمواله وعلى حريمه وجواريه وغلمانه كما أمرنا بترسيم ابن سعدان فى محبس الجب حتى يكتشف أمره

التوحيدى

[يغمغم لنفسه]

الأيام ظهور وبطون

هنا يستدير ابن يوسف نحو التوحيدى

ابن يوسف

من أسمع؟! كلب بهبهان؟ التوحيدى؟ كلب يعض الجميع بلا تفريق من ضيف أو صاحب دار

التوحيدى

[يغمغم بصوت مرتعش]

أنا.....

ابن يوسف

أنت ابن بياع تمر التوحيد، عجوز هرار، كلب بهبهان النابح دوما، المعدم طوال حياتك، ليس لديك ما أصادره سوى روحك بعد قلمك البذىء يا أبا حيان.

يتوجه بحديثه إلى بقية أفراد المجلس

أما أنتم فمجرد أفواه وأشداق لكل العصور تمدح وتنادم لتأكل وتشرب. فقط، ستصادر أموالكم وممتلكاتكم، حريمكم وغلمانكم لحساب ديوان الإمارة وديوان الوزارة مناصفة.

ثم يعود بحديثه لأبى حيان التوحيدى

اسمع يا كلب بهبهان، أمامك ليل بنهاره لتنفذ بجلدك، فلتترك بغداد بل العراق كله بلا عودة

يوجه حديثه للمسلحين

اسحبوا ابن سعدان الوزير السابق إلى السجن

يخرج ابن يوسف منتفخ الأوداج ومن خلفه المسلحون وقد سحبوا معهم ابن سعدان في قيوده.

التوحيدى

[يغمغم بمرارة]

الأيام ظهور وبطون.. وكما يسقط الفاضل إذا عانده الحظ كذلك يرتفع الساقط إذا ساعده الحظ فهذا هذا

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الحادى عشر

خارجى **ليل شتوى**

عودة إلى الخلاء الصحراوى خارج بغداد كما فى المشهد [١] دخان الكتب المحترقة ما يزال يتصاعد من حفرة محرقة الكتب

التوحيدى فى ذروة رعبه وذعره يحاول الهرب.

التوحيدى

[يصرخ منكرا]

لا - لا - أنا لم أشتم الوزير ابن يوسف! كيف لى أن أشتم وحيد زمانه بين الأدباء؟!

الكاتب المعاصر يلتقط قرطاسا من الجراب، يفرده، ويعرضه أمام عينى التوحيدى.

الكاتب المعاصر

بقلمك البذىء سجلت فى كتابك الإمتاع والمؤانسة فى الليلة الثامنة والثلاثين سجلت نفس الشتائم.ولعلك خففت من بذاءتها عندما سجلتها بقلمك لتكسب ود أبى الوفاء المهندس ولى نعمتك ولتتحاشى وعيده وتجنى الكسب من وعده

أبو حيان التوحيدى، ينهار متكوما على الأرض، وجسده يرتعش خوفا وذعرا ويجهش بالبكاء.

الكاتب المعاصر، يفيق لقسوته مع الشيخ العجوز، فيبدو عليه الندم على فعلته.

الكاتب المعاصر

[يغمغم جانبا]

لقد قسوت على الشيخ العجوز! لأحقق غاية درامية؛ لجأت إلى وسيلة حقيرة؛ فلأصلح حقارتى الدرامية.

تبدو على الكاتب المعاصر حيرة واضحة.. يستغرق فى تفكير عميق.

التوحيدى، مهزوما.. يقف بصعوبة قبل أن يأخذ طريقه للخارج ويفرغ محتوى جرابه فى حفرة النار وقد أوشكت أن تنطفئ، ويتصاعد منها دخان بسيط.

الكاتب المعاصر بسرعة يعترض طريق التوحيدى.

الكاتب المعاصر

[معتذرا بإشفاق واضح]

عمنا أبا حيان - أعتذر لك عن قسوتى معك

التوحيدى

لا داع للاعتذار يا هذا أنت عبد المأمور تقوم بواجبك

الكاتب المعاصر

أنا لست عونا للوزير ابن يوسف

التوحيدى

حضرة الوزير ابن يوسف، أدام الله دولته وكمد عدوه مشكورا قد منحنى فسحة من الوقت

الكاتب المعاصر

لكى تصدقنى.. أحتاج إلى وقت أطول لكى أقنعك بحقيقتى.

التوحيدى

شمس الغد لن تشرق على بغداد إلا وكلب بهبهان خارج بلاد الوزير مسافرا بلا زاد كعادتى طوال حياتى - إلى غربة بلا عودة هذه المرة

الكاتب المعاصر

عمنا أبا حيان.. أنا لست

التوحيدى

الرحمة يا جلاوذة الوزير

الكاتب المعاصر

أقسم لك يا عمنا - أنا - أنا كاتب

مثلك و........

التوحيدى

ومثل وزيرك ابن يوسف فتح الله عليكما وأكثر من أمثالكما

الكاتب المعاصر

معك حاكيت عين من عيون الوزير ابن يوسف

التوحيدى

[ساخرا]

حاكيت؟!

الكاتب المعاصر

أجل حاكيت، مثلما سبق وحاكيت أنت شخصية أبى القاسم البغدادى فى رسالتك البغدادية – وسيلة، حيلة قلم؛ لأتعرف عليك لأكتبك من الداخل

التوحيدى

لتكتبنى من الداخل، تجعل من نفسك عينا من عيون الوزير أبى القاسم ابن يوسف وتفزعنى، وترعبنى؟!

الكاتب المعاصر

حاكيت معك أحقر المهن لأحقق ككاتب غاية درامية عظيمة! أعتذر لك يا عمنا عن قسوتى

التوحيدى صامتا يواصل طريق خروجه

الكاتب المعاصر

مازلت تشك فى حقيقتى؟!

التوحيدى

أشك أو لا أشك.. ما شأنى وشأنك؟!

الكاتب المعاصر

شأنك شأنى يا عمنا أبا حيان

التوحيدى

شأنى شأنك؟! من أنت يا هذا؟

الكاتب المعاصر

أنا .. أنا كاتب مصرى

التوحيدى

مصرى فى بغداد؟!

الكاتب المعاصر

[مازحا]

والتوحيدى فى مصر المحروسة

التوحيدى

[تعاوده الريبة]

حضرة الوزير ابن يوسف يريد نفى من العراق إلى مصر المحروسة؟!

الكاتب المعاصر

ها أنت يا عمنا ما تزال تشك فى حقيقتى؟

التوحيدى

وما هى حقيقتك يا .. يا هذا؟

الكاتب المعاصر

أنا كاتب مصرى و......

التوحيدى

[يكمل بسخرية خفية]

وهارب إلى بغداد من جنون الحاكم بأمر الله الفاطمى

الكاتب المعاصر

بإرادتى قادم لك من مصر نهاية القرن العشرين

التوحيدى

القرن العشرين الهجرى؟!

الكاتب المعاصر

القرن العشرين الميلادى.. من القرن الخامس عشر الهجرى إلى القرن الرابع الهجرى أنا قادم لك

التوحيدى

عائد من المستقبل إلى...

الكاتب المعاصر

من حاضرى عائد إلى...

التوحيدى

إلى الماضى

الكاتب المعاصر

إلى حاضرك يا عمنا أبا حيان

التوحيدى

من حاضرك إلى حاضرى؟!! يا لها من رحلة خيالية!

الكاتب المعاصر

على البساط الطائر لأحلامى

التوحيدى

مناماتك! يا لها من رحلة

الكاتب المعاصر

[مزهوا]

من الحاضر إلى الحاضر وبالعكس

التوحيدى

أضغاث أحلام

الكاتب المعاصر

[مذكرا اياه بكلماته]

أن الحلم الذى لنا بالعقل... هو اليقظة

التوحيدى

[يكمل]

واليقظة التى لنا بالحس هى النوم

الكاتب المعاصر

أليست هذه كلماتك فى إحدى مقابساتك يا عمنا أبا حيان؟!

التوحيدى

وما غايتك من رحلة عودة من حاضرك إلى حاضرى؟!

الكاتب المعاصر

لأعيش حاضرك؛ أعايش عصرك. أعرف أتنفس كل صغيرة وكبيرة عن عصرك ومعاصريك، وعنك يا عمنا أبا حيان

التوحيدى

[باكتئاب واضح]

أنا .. أنا منذ قرون وقرون ميت [ساخرا] وهاأنت ببساط مناماتك الطائر توقظنى من الموت

الكاتب المعاصر

أنت حى يا عمنا

التوحيدى

[يقاطعه بمراره]

حى ميت

الكاتب المعاصر

حى ترزق على صفحات كتبك

التوحيدى

كتبى – كما ترى – احترقت

الكاتب المعاصر

العنقاء تحترق لتبعث من جديد جديدة متجددة

التوحيدى

[بمرارة يغمغم]

عنقاء! هيهات! أنعقد لسانى! جمد خاطرى! ذهب بيانى، ملكنى الوسواس، غلبنى اليأس من جميع الناس

الكاتب المعاصر

مؤلفاتك يا عمنا خالدة، مازالت تحتل وستحتل مكان الصدارة فى المكتبات والعقول المستنيرة، والقلوب الخضراء.

التوحيدى

[يغمغم بمرارة]

الخضراء؟ بعد الكبرة والعجز هل لنا أمل فى حياة لذيذة أو رجاء لحال جديدة؟! لم يبق لى إلا الصمت والــ.... الصبر إلى أن يوارينى ويسترنى قبرى

الكاتب المعاصر

يا عمنا أنت عائش معنا حتى الآن حتى نهاية القرن العشرين الميلادى، وإلى قرون وقرون قادمة ستعيش

التوحيدى

أضغاث أحلام

الكاتب المعاصر

إذن فهى اليقظة أبشر يا عمنا - منذ سنوات قليلة مضت احتفلنا فى مصر بألفيتك الأولى

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الثانى عشر

داخلى **شتوى**

مشـــهد وثائقى تسجيلى داخل قاعة الندوات، مكتبة القاهرة الكبرى الزمالك القاهرة عـــام ١٩٩٥م جمادى الأول ١٤١٦ هـــ فى صدر القاعة منصة المتحدثين وخلفهم على الحائط لوحة كبيرة مكتوب عليها

المجلس الأعلى للثقافة
الذكرى الألفية
للعالم الفقيه

أبو حيان التوحيدى
١٤-١٧ جمادى الأولى ١٤١٦ هـ
٩-١٢ أكتوبر ١٩٩٥ م
مكتبة القاهرة الكبرى ١٥ ش محمد مظهر القاهرة

قاعـــة الـــندوات محتشـــدة بجمـــع كبير من المثقفين والمثقفات ومن بينهم الكاتب المعاصـــر بملابســـه المعاصـــرة يـــتابع المتحدثين ومن حين لآخر يسجل بعض الملاحظـــات علـــى أوراق معه. أكثر من كاميرا تليفزيونية وسينمائية تسجل وقائع الـــندوة. علـــى المنصة بعض المتكلمين يتوسطهم أمين عام المجلس الأعلى للثقافة أ.د. جابر عصفور فى جلسة الافتتاح

أ.د. جابر عصفور

[يرتجل حديثه]

ونحن العرب المحدثين عندما نحتفى بأبى حيان التوحيدى بعد ألف عام و... وعامين ونعتذر لروحه عن هذا التأخير الاضطرارى، فإنما نحتفى بميراثنا الخلاق الذى لا يزال متصلا ولا يزال يمتلك قدرة العطاء والإلهام وفى نفس الوقت نحتفى بسؤال المستقبل.

صوت الكاتب المعاصر

[تدريجيا يرتفع ليغطى على الكلمات الأخيرة للمتحدث]

وبسؤالك الأبدى يا شيخنا أبا حيان التوحيدى ستعبر بعدنا إلى قرون وقرون قادمة

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الثالث عشر

خارجى **ليل شتوى**

عودة إلى الخلاء الصحراوى إلى المشهد [١]

التوحيدى

حديث خرافة يا أم قعشم

الكاتب المعاصر

مؤلفاتك مازالت.....

التوحيدى

[يقاطعه بحدة]

مؤلفاتى أصبحت رمادا كما ترى

الكاتب المعاصر - بسرعة - يفتح حقيبة كتب عصرية - تظهر فجأة فى المشهد مثلما يحدث فى الأحلام - يفتحها ليخرج منها عدة مؤلفات لأبى حيان التوحيدى فى طبعات فاخرة الطباعة والتجليد ويعرضها الواحدة بعد الأخرى أمام عينى التوحيدى.

الكاتب المعاصر

ها هى يا شيخنا مؤلفاتك، الإمتاع والمؤانسة، المقابسات، أخلاق الوزيرين والرسالة البغدادية.

التوحيدى - فى انبهار واضح ودهشة متصاعدة - يقلب مؤلفاته

التوحيدى

مؤلفاتى..!!

الكاتب المعاصر

مازالت تعيش بيننا فى طبعات فاخرة وغالية الثمن

التوحيدى

[يغمغم بمرارة]

غالية الثمن ومعدتى خاوية؟!!

الكاتب المعاصر

وغالية القيمة الأدبية طبعا يا أديب الفلاسفة

التوحيدى

[ساخرا بمرارة]

أديب الفلاسفة؟!!

الكاتب المعاصر

وفيلسوف الأدباء وواحد زمانه

التوحيدى

[ينفجر ضاحكا بمرارة]

وواحد زمانى؟!!

التوحيدى وقد ازدادت دهشته وانبهاره.. غير مصدق يواصل تقليب مؤلفاته.

التوحيدى

مؤلفاتى أحرقتها بنفسى وأمامك

التوحيدى – يضم مؤلفاته بين ذراعيه كمن يحتضن حسناء جميلة.

التوحيدى

[بمعاناة لا تخلو من ندم]

أحرقتها حتى كدت أحترق بها

الكاتب المعاصر

أسفنا لاحتراق ما أحترق من مؤلفاتك وحمدنا الله على ما وصلنا منها رغم أنف تجاهلك المتعمد

التوحيدى

[يغمغم بمرارة]

لقد تجاهلونى وأنا أعيش بينهم وأى تجاهل!!

الكاتب المعاصر

تجاهلك حسادك، ولكن لماذا يتجاهلك غالبية المؤرخين لتاريخ النثر الفنى العربى؟!

التوحيدى

[مازحا بمرارة]

لعلى كنت طائر شؤم لمن يعرفوننى!! وخيرا لك يا هذا أن أبتعد عنك لكيلا يصيبك شؤمى

التوحيدى يبدأ فى التحرك للخارج

الكاتب المعاصر يلحق به وقد جمع مؤلفات التوحيدى الحديثة الطباعة يقدمها له.

الكاتب المعاصر

منذ اكتشافنا لك - مؤلفا وكاتبا - ونحن نفخر بك، ونحتفى بمؤلفاتك ونحتفى بك

يا عمنا أبا حيان التوحيدى

التوحيدى، يعاود تقليب الطبعات الفاخرة لمؤلفاته.

التوحيدى

[بشك واضح]

لا، لابد وأننى نائم أحلم

الكاتب المعاصر

أنت القائل: الحلم الذى لنا بالعقل هو اليقظة

التوحيدى

لا، أنا فى نوم لا يقظة منه

الكاتب المعاصر

يا عمنا أنت فى علم لا حلم

التوحيدى، ينظر إلى الكاتب المعاصر بريبة ثم يلقى بمؤلفاته وكأنها أرواح شريرة.

التوحيدى

سحر.. شعبذه.. شياطين يسلطها ضدى.. الوزير ابن يوسف

الكاتب المعاصر

عدت للشك فى من جديد

التوحيدى هاربا للخارج

التوحيدى

تريدون أن أفقد عقلى هذا إن لم أكن قد فقدته بالفعل

الكاتب المعاصر يلحق به

الكاتب المعاصر

انتظر يا عمنا أبا حيان.. لا تخف أنا لست من جلاوذة الوزير ابن يوسف أنا، أنا كاتب مثلك، صاحب قلم مثلك أنا الدويرى.. فلتصدقنى أنا كاتب مثلك قادم لك من نهاية القرن العشرين!!!

[[تلاشى سريع]]

* * * * * * * * * * *

المشهد الرابع عشر

داخلى **شتوى**

عودة لأول مرة، إلى قطاع حجرة المكتب العصرية، فوق السرير السفرى ينام الكاتب المعاصر يحلم تحت الغطاء.

صوت الكاتب المعاصر

[مناديا]

أنتظر يا عمنا، أنا كاتب مثلك صاحب قلم مثلك، فلتصدقنى أنا الدويرى

من مدخل حجرة المكتب العصرية يظهر شاب، فى بداية الحلقة الثالثة من عمره.

الكاتب المعاصر يهب من نومه مزيحا الأغطية أنه بملابس نومه العصرية.

الكاتب المعاصر

[ما بين النوم واليقظة]

أنا الدويرى - كاتب مثلك قادم لك من نهاية القرن العشرين

الشاب

[مازحا]

من ذا الذى لا يصدق أنك كاتب حتى فى نومك يا دويرى؟!

الدويرى

[يفيق تدريجيا]

ياه! حلم! كابوس!

الشاب

أبو حيان التوحيدى يطاردك حتى فى نومك يا والدى

الدويرى

أنا الذى أطارد التوحيدى ليل نهار يا طارق يا ابنى

طارق

لتكتب مسرحية التفرغ

الدويرى

[شارد الذهن يغمغم]

لأكتشف سر مأساة الحياة التعيسة للتوحيدى [لنفسه] لعلى أجد فى مأساته العزاء لنفسى ولأمثالى!!

الدويرى لا شعوريا ينظر إلى أصابع يده ويقلبهما..

طارق

ماذا أصاب أصابع يديك يا والدى؟!

الدويرى

لا، مجرد لسعات. تحرقات من محرقة كتب

طارق

محرقة كتب؟!!

الدويرى

مؤلفات التوحيدى، حاولت إنقاذها من الحريق، فتحرقت أصابع يدى

طارق، يسحب بعض مسرحيات يعرف مكانها على أحد أرفف المكتبة.

طارق

الحرق. الاحتراق. صور درامية دائما تلح عليك يا والدى، دائما تتكرر فى مسرحياتك السابقة

الدويرى

الماء لم يعد كافيا للتطهر من دنس الحياة يا ولدى

طارق

وهاأنت تكتب

الدويرى

أوراق العمر تحترق

طارق

وبطلها التوحيدى البائس العظيم يحرق مؤلفاته

الدويرى

الاحتراق صورة درامية دائما تطاردنى ولعل مشهد حرق التوحيدى لمؤلفاته هو سر اختيارى له بطلا لدراما أكتبها

طارق

وها هو التوحيدى يطاردك ليل نهار حتى فى نومك

الدويرى

[بينما ينظر فى ساعة يده يضحك]

ومع ذلك التوحيدى يعتقد أننى بصاص مخبر أطارده ليل نهار كعين من عيون الوزير ابن يوسف

طارق

[مازحا فى أسلوب هاملتى]

التوحيدى طريد الدويرى.. أم الدويرى طريد التوحيدى.. تلك هى المشكلة يا أبتاه

يضـــحك الدويرى مع ولده ثم فى عجله واضحة يستلقى على السرير ويغطى رأسه لينام

الدويرى

فلألحق بالتوحيدى - قبل أن يهرب

من بغداد

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الخامس عشر

داخلى **ما بعد منتصف ليل شتوى**

غرفة جرداء.. فى دار قديمة متهالكة توشك على الانهيار.. فى حى شعبى من أحياء بغداد، فى الربع الأخير من القرن الرابع الهجرى.

التوحيدى، يكتب على نضد منخفض أمامه على ضوء سراج قديم زبالته ضعيفة خافتة.

صوت التوحيدى

[يغمغم بكلمات تتدفق فى سيولة على سن ريشته]

يا هذا، اعلم أن صحبة الملوك والأمراء والوزراء والرؤساء أمر لا تناله إلا باجتراع العلقم والوجه متهلل

[طرقات على باب غرفته]

صوت التوحيدى

[بينما هو مستغرق تماما فى الكتابة]

وإلا بشرب السم والوجه ضاحك

[يرتفع الطرق على الباب]

صوت التوحيدى

وإلا بنحر النفس والقلب راض

[يتواصل الطرق بشدة على الباب من الخارج]

صوت الدويرى

[مناديا بإلحاح]

يا شيخنا أبا حيان.. افتح

التوحيدى مرغما يكف عن الكتابة يبدو عليه القلق المتصاعد إلى خوف.

كلما تصاعد الدق على الباب على إطراق أصابع قدميه يتجه إلى الباب ليلصق أذنيه – ومن خلال ثقوب وشقوق فى الباب الخشبى المتفسخ – يختلس النظر

صوت الدويرى

أراك يا عمنا - ملتصق بأذنيك خلف الباب افتح لا تخف يا شيخنا الطيب

التوحيدى

[بصوت مرتعش]

مع نور الفجر سأرحل عن بغداد كما وعدت حضرة الوزير ابن يوسف أطال الله عمره وعمر وزارته

صوت الدويرى

فلتثق فى كلامى يا شيخنا أبا حيان أنا لست من جلاوذة الوزير ابن يوسف.. أقسم لك

التوحيدى

قبل الفجر سأرحل.. سأهجر الوطن بلا عودة

[من خلال دموعه المخنوقة ينشد]

إذا نبت بك أوطان نشأت بها

فارحل فكل بلاد الله أوطان

[يرتفع الدق الشديد على الباب]

[[تلاشى سريع]]

* * * * * * * * * * *

المشهد السادس عشر

داخلى **بعد منتصف ليل شتوى**

خـــارج غرفة التوحيدى مدخل الدار القديمة - الدور الأرضى هناك بابان - على اليميــن وعلى اليسار وبينهما باب ثالث منخفض مكتوب عليه بخط ردىء «كنيف مشترك»

الدويرى - بملابسه العصرية - يقف أمام باب غرفة التوحيدى يدقه بعنف من حين لأخــر، وتــتدلى مــن يده الأخرى لفافة ضخمة مكتوب عليها اسم حلوانى قاهرى معاصر مشهور.

الدويرى

يا شيخنا أبا حيان، أقسم لك بشرفى

صوت التوحيدى

[مصحوبا بضحكات]

شرفك كبصاص؟!!

الدويرى يواصل الدق، وهز الباب.

الدويرى

لك أن لا تثق فى كلامى يا عمنا ولكن فقط اعطنى فرصة فقط. افتح و...

صوت التوحيدى

لن أفتح لك أو لغيرك يا هذا

الدويــرى، يواصــل الدق بعنف أكثر يهز الباب محاولا فتحه.. وإذا بالباب المقابل يفتح محدثا صريرا حادا؛ لتخرج منه رأس امرأة عجوز..

صوت المرأة العجوز

من يدق باب ولدنا أبا حيان فى هذا الوقت المتأخر من الليل؟

الدويرى

معذرة يا خالة، أريد أن أقابل أبا حيان فى أمر هام

المرأة العجوز مستندة على عصى طويلة تتحسس طريقها خارج الباب متجهة إلى

باب التوحيدى، من الواضح أنها عمياء وعمرها يتجاوز المئة فظهرها مقوس تماما.

العجوز العمياء

[فى طريقها إلى باب التوحيدى]

ولماذا لا يفتح لك يا ولدى؟!

الدويرى

[بحيرة واضحة]

إنه............

العجوز العمياء

[بسخرية خفية]

لعله سهران فى مجلس وزير أو أمير ليمتعه - كعادته بطرائفه ويؤنسه بأحاديثه

الدويرى

بل هو بالداخل! من خلال شروخ بابه أراه داخل غرفته

العجوز العمياء بعصاها الطويلة تدق باب غرفة التوحيدى

العجوز العمياء

أبا حيان ولدى! أنا خالتك حلاجة

الدويرى

[هامسا لنفسه]

حلاجة! يا له من اسم

العجوز العمياء

أبا حيان ولدى، رد على خالتك حلاجة! لا تخف

[بيأس بعد عدة دقات]

ألم أقل لك يا هذا، أبو حيان ليس بالداخل، وإلا فتح لخالته حلاجة..

[ساخرة بمرارة] **لعله هرول إلى الوزير ابن يوسف مهنئا بالوزارة وليمتعه بطرائفه ويؤنسه بأحاديثه**

العجوز العمياء، تعود إلى بابها تدخل وبسرعة تقفل على نفسها.

الدويرى، يتابعها باهتمام لا يخلو من انبهار خفى.

الدويرى

خالة حلاجة! يا لها من امرأة أسطورية ولا فى الأحلام

الدويرى يقف لفترة أمام باب حجرة التوحيدى، تبدو عليه الحيرة ما بين مواصلة الدق على الباب أو الرحيل ونفض يده من مقابلة التوحيدى

الدويرى

الوقت قد تجاوز منتصف الليل بكثير. مواصلة الدق إزعاج إقلاق لراحة الجيران فى نومهم.. قد أتعرض لمشاكل معهم [مازحا] **قد يطلبون لى بوليس النجدة.. فلأصرف نظر عن مقابلة التوحيدى. وماذا عن أوراق العمر تحترق؟!! فلأكتف بما عرفته وقرأته عن التوحيدى!! وهل المعلومات تغنى عن المقابلة الشخصية للتوحيدى؟؟ عن معايشته؟ أذناى تسمعانه يتحدث.. عيناى تريانه يتحرك أمامى لحما ودما** [بصوت منخفض ينادى]

عمنا أبا حيان ماذا لو قدمت لك أمارة - إشارة تجعلك تثق أننى رسول لصديق لك.. صدوق

صوت التوحيدى

[من الداخل]

لا صديق لى، ولا شبه صديق

الدويرى

أحمل لك منه طعاما ومالا

صوت التوحيدى

ارجع بطعامك ومالك إلى سيدك الوزير ابن يوسف

الدويرى

إمارتى لك من ثقة موثوق، إشارتى لك لمريد من مريدينك يستزيدك من إشاراتك الإلهية وأنفاسك الروحانية

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد السابع عشر

داخلى **ما بعد منتصف ليل شتوى**

عودة إلى داخل حجرة التوحيدى

التوحيدى بهمة وحماس يحركهما الخوف والرعب يجمع فى جراب من الخيش أغراضه من كتب وأوراق وأقلام وأحبار.. وقطع قليلة من ملابس ومنقولات ضرورية لحياته.

صوت التوحيدى

[يغمغم لنفسه]

الغربة اللعينة اقل خطرا من الوجود تحت سماء بغداد الوزير ابن يوسف

صوت الدويرى

فلتصدقنى يا عمنا أبا حيان أنا رسول من حبيبك فلان

التوحيدى مستمر فى جمع حاجياته باحثا عنها بالانتقال من مكان لأخر بخطوات متعثرة وهو صامت تماما.

صوت التوحيدى

فلان ألصق بكبدى وأعرق فى كمدى [ساخرا] من أن يكون بصاص مثلك رسوله لى..

صوت الدويرى

إليك إمارتى، إشارة لصدقى لتطمئن لى، حبيبك فلان

التوحيدى مستمر فى الانتقال من مكان لآخر لجمع حاجياته فى صمت.

صوت التوحيدى

فلان أقرب إلى سرى وأقدر على نفعى وضرى [ساخرا] من أن يكون بصاص مثلك دليله لى

صوت الدويرى

الإمارة يا أبا حيان أنك نشرت على فلان أحواله وصورت له أموره فبقى مبهوتا وقال لك فيما قال :أعمى الله عينا لا تقربك يا أبا حيان

صوت التوحيدى

[يكمل بزهو واعتزاز]

ولا صان نفسا لاتقر بفضلك يا أبا حيان

صوت الدويرى

[من خارج الغرفة]

كلامك هذا يا عمنا أبا حيان لو افتدى فلان به ما تحويه يده ويفده يومه وغده كان فلان هو الرابح الغانم

التوحيدى وقد اطمأن لإمارة الدويرى يكف عن جمع حاجياته ويتوجه ليقف خلف الباب.

صوت التوحيدى

[بثقة واعتزاز]

وإذا أبى فلان فهو الخاسر الغارم

ثم يمد يده ليفتح الباب لا شعوريا.

التوحيدى

[مهللا مرحبا]

تفضل يا رسول حبيبى فلان

الدويرى يدخل سعيدا لنجاح إمارته

التوحيدى

معذرة يا رسول فلان، ما قصدت بكلامى لفلان تهجينه أو تقريعه تفضل بالجلوس هنا، فلان شيخ له حق وعليه حقوق

الدويرى

حقا ما قلت يا شيخنا أبا حيان

الدويرى يفتح لفافة الحلوى ليخرج منها طبقا من حلوى [الجاتوه] ويقدمه للتوحيدى.

الدويرى

تفضل - ذق بعض الحلوى

التوحيدى يمد يده ليأخذ قطعة من الجاتوه، يضعها فى فمه بسرعة وبشراهة واضحة يلتهمها. بسرعة. الدويرى يقدم ثانية وثالثة.

التوحيدى

[من خلال فمه الممتلئ]

معذرة الحلوى لذيذة وأنا جائع من.....

الدويرى

خذ هذه القطعة، أعرف أن الوزير ابن يوسف قد أمر بنفيك من بغداد

التوحيدى

من العراق كله، وليس أمامى سوى ساعات قليلة

الدويرى

إليك قطعة أخرى يا عمنا

التوحيدى

حلوى لذيذة، بغدادية أم فارسية؟!!

الدويرى

مصرية

التوحيدى

[مازحا]

حلوى مصرية فى بغداد؟!

الدويـــرى يخرج من جيبه الداخلى حافظة نقود يسحب منها بطاقة عضويته لاتحاد الكتاب، ويقربها من عينى التوحيدى

الدويرى

ومصرى فى بغداد

التوحيدى

مصرى فى بغداد؟!!

الدويرى

ورسمه أمام عينيك

التوحيدى يتأمل البطاقة والصورة. الدويرى يقرب وجهه من وجه التوحيدى

الدويرى

قارن بين الرسم على البطاقة فى يديك وبين وجهى

التوحيدى يوزع بصره أكثر من مرة - بين الصورة ووجه الدويرى

التوحيدى

الرسم رسم لوجهك

الدويرى

صورتى، والبطاقة فلتقرأ ما بها، بعد أذنك يا عمنا

التوحيدى

[يقرأ]

اتحاد كتاب مصر اسم العضو : الدويرى. إذن فأنت لست رسول فلان؟!

الدويرى

ولست من جلاوذة الوزير ابن يوسف

التوحيدى يهب واقفا مبتعدا عن الدويرى

التوحيدى

[بحدة]

أنت تصر على خداعى والتحايل على مرة تحاكى القاضى أبا سهل صديقى، وثانية تقدم نفسك كرسول لفلان [ساخرا يقلده] **الثقة الموثوق يستزيدك إشاراتك الإلهية وأنفاسك الروحانية**

الدويرى

كذبات بيضاء - حيل بريئة يستخدمها الكاتب أحيانا لأهداف إبداعية نبيلة

التوحيدى

وأى هدف نبيل تنشده من مطاردتك لى ليل نهار بحيلك هذه

الدويرى

لأعيش حاضرك وكأنه حاضرى لأعايشك لأصبح تحت جلدك

التوحيدى

تحت جلدى أنا؟!

الدويرى

أنفاسك أنفاسى أحاسيسك أحاسيسى دقات قلبك دقات قلبى، لأكون أبا حيان لأكونك!!!

التوحيدى

خير لك أن تكون نفسك

الدويرى

فلتفنى نفسى فى نفسك! فلتذب ذاتى فى ذاتك

التوحيدى

يبدو أن بؤسك يا هذا يفوق بؤسى وإلا لما سعيت للهروب من ذاتك إلى ذاتى ومن نفسك إلى نفسى لتكوننى

الدويرى

لأحقق الصدق فى تصوير مأساتك موضوع مسرحيتى

التوحيدى

مسرحيتك؟!

الدويرى

أقصد محاكاتى، حكاية يحكيها ويحاكيها الحاكة تماما مثلما فعلت أنت فى رسالتك البغدادية جعلت من نفسك صعلوكا جوالا أسميته أبا القاسم البغدادى لتسخر على لسانه من سادة أصفهان

التوحيدى

فهمت وعلى لسانى تريد الانتقام من معاصريك

الدويرى

والانتقام من الذين أحرقوا أوراق عمرك يا عمنا أبا حيان

التوحيدى

وأوراق عمرك؟؟..

الدويرى

ربما

التوحيدى

وما المطلوب منى بالضبط؟!

الدويرى

أن نقوم معا برحلة

التوحيدى

رحلة إلى المستقبل؟

الدويرى

رحلة إلى الماضى.. إلى بدايات حياتك من ألفك إلى يائك.. منذ أول صرخة صرختها لحظة سقوطك إلى الوجود إلى آخر نفس من أنفاسك فى الوجود

التوحيدى

يا لها من رحلة

الدويرى

رحلة عمرك طويلة وشاقة، أعرف

التوحيدى

باختصار تريدنى أن أحكى لك بؤسى وشقائى منذ الميلاد حتى الممات

الدويرى

من المهد إلى اللحد لأجعل من بؤسك وشقاءك مأساة أنت بطلها مأساة إنسانية تهتز لها جماهير المسرح فى نهاية القرن العشرين والقرون التالية

التوحيدى

وهكذا أصبح أنا أبو حيان التوحيدى «فرجة» للعوام

الدويرى

للعوام والخاصة، وخاصة الخاصة

التوحيدى

[بضيق واضح]

طلبك هذا، يا هذا يذكرنى بطلب قريب ومشابه تقريبا لطلب طلبه منى الوزير ابن سعدان - برد الله قبره - فى ليلة من ليالى الإمتاع والمؤانسة

[[تلاشى بطىء]]

****

المشهد الثامن عشر

داخلى **ليل صيفى**

عودة إلى مجلس الوزير ابن سعدان قبل أن ينقلب عليه الأمير صمصام الدولة بغداد حوالى ٣٧٥هـ الوزير ابن سعدان وحوله أعضاء مجلسه الأدبى بما فيهم أبو حيان التوحيدى.

الوزير ابن سعدان

[باستحسان]

هذا فن حسن تجيده يا أبا حيان وأظنك لو تصديت للقصص والكلام على العامة

التوحيدى

[معاتبا]

حضرة الوزير ابن سعدان – أطال الله بقاءه – يريد لأبى حيان التوحيدى أن يكون قاصا حكواتى للعوام؟

الوزير ابن سعدان

سيكون لك حظ وافر من السامعين

التوحيدى

سيدى الوزير – أدام الله ملكك وكمد أعداءك – إن التصدى للعامة خلوقة تبذل وامتهان، وطلب الرفعة بينهم صنعة والتشبه بهم نقيصة، وما تعرض لهم أحد إلا أعطاهم من نفسه وعلمه وعقله، ولوثته ونفاقه ورياءه أكثر مما يأخذ منهم من أحلامهم وقبولهم وعطائهم وبذلهم

الوزير ابن سعدان وبقية المجلس يتبادلون النظرات الساخرة مما يسمعونه من التوحيدى – مع ضحكات ساخرة يحاولون كتمها

التوحيدى

[يستطرد]

فما رأيت من انتصب للعامة قاص أو حاكيا قد ملك إلا درهما أو دينارا أو ثوبا

هنا تنفجر ضحكات الوزير ابن سعدان ومعه بقية أعضاء المجلس

صوت الدويرى

[من خارج المشهد]

العوام أهلى وأهلك.. ناسى وناسك يا عمنا أبا حيان

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد التاسع عشر

داخلى **ما بعد منتصف ليل شتوى**

عودة سريعة إلى غرفة أبا حيان التوحيدى وقد ابتعد منعزلا عن الدويرى الذى يتابعه عن بعد

التوحيدى

[شارد الذهن يغمغم بأسى ومرارة]

أهلى وناسى

[صوت نحيب مكتوم لصبى تخنقه العبرات]

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد العشرون

داخلى **ليل صيفى**

نفس غرفة أبى حيان التوحيدى عندما كان صبيا فى السابعة من عمره حول طبلية يلتف أربعة صبية أكبرهم الصبى أبو حيان، فى السابعة من عمره، الصبية يمدون أياديهم إلى طعام شعبى لفقراء بغداد فى بدايات القرن الرابع الهجرى. العم، وعمره ٤٠ سنة، يجلس على دكه خشبية يتابع الصبية أثناء أكلهم وكأنه «يعد اللقم».. وفجأة يهب العم صارخا

العم

[صارخا]

الرحمة! الرحمة يا ابن أخى! الرحمة يا أبا حيان - الرحمة

الصبى أبو حيان

[وفمه محشو بالطعام]

عمى! ماذا حدث منى؟

العم

إنك تأكل لا بفمك، ولكن تأكل بفمك وعينيك ويديك ورأسك ورجليك الرحمة يا ابن أخى

الصبى أبو حيان يتوقف عن الآكل تماما.. ويبدو عليه الحرج والارتباك مع ارتفاع ضحكات بقية الصبية!

العم

[ساخرا]

لو سألتك الآن عن اسمك ما تذكرته يا أبا حيان

الصبى أبو حيان [تخنقه الدموع وقد توقفت اللقمة فى فمه]

العم

[مواصلا سخريته القاسية]

لو طلع الآن من قبره أبوك أخى يا ابن أخى لما عرفته الرحمة يا أبا حيان،

الرحمة بعمك الفقير

الصبى أبو حيان ينفجر باكيا ويفر هاربا للخارج مع ارتفاع ضحكات العم وأولاده

صوت الدويرى

[من خارج المشهد]

شيخنا أبا حيان إلى أين سافرت بأفكارك؟!

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الواحد والعشرون

داخلى **بعد منتصف ليل شتوى**

عودة إلى غرفة الشيخ العجوز التوحيدى أبو حيان، ما يزال شارد الذهن غارق فى ذكـــريات صباه المرة، الدموع تسيل على خديه. الدويرى يتابعه عن بعد ثم يقترب منه يحرك راحة يده أمام عينى التوحيدى فلا يشعر بوجوده.

الدويرى

[بهدوء]

عمنا أبا حيان، أفق من شرودك، عد من حيث سافرت بفكرك

التوحيدى يفيق من شروده، خجلا يمسح الدموع بكم جلبابه، وليدارى حرجه وارتباكه، يمد يده بسرعة ليسحب طبقا من الخوص عليه بعض حبات من التمر الجاف

التوحيدى

تفضل.. ذق هذا التمر

الدويرى يلتقط بعض الحبات، يمسحها براحة يده من تراب عالق عليها

الدويرى

تمر التوحيد يا توحيدى

التوحيدى

الوالد كان يبيعه!!

الدويرى

[بمغزى خاص]

كان يتاجر فيه كتاجر كبير؟

التوحيدى

كبقال صغير كان يبيعه فى حى شعبى

الدويرى

يبيعه لأهله وناسه من العوام

التوحيدى

[يحرج واضح]

لا تسىء فهمى يا هذا - طوال حياتى وأنا أعاشر العوام من قصابين وندافين وبقالين ودائما أفخر بأرباب الصناعات والمهن فى بغداد كالوراقين والخطاطين و......

الدويرى

لقد سجلت فخرك هذا على لسان عيارك أبى القاسم البغدادى

التوحيدى

صعلوك رسالتى البغدادية

الدويرى

وبطلها - النقيض.. كما نقول فى أيامنا هذه

التوحيدى

بطلها.. النقيض؟!!

الدويرى

لقد استمتعت برسالتك البغدادية

التوحيدى

[مازحا]

وبطلها النقيض!

الدويرى

وأرى أن رسالتك هذه عبارة عن سلسلة من المقامات تقترب كثيرا من مقومات المسرح وبالذات المسرح الشعبى كما عرفناه ونعرفه الآن

التوحيدى

لعل هذا يرجع إلى إننى قد حاولت التعرف على اليونانيات وبالذات الفلسفة - محاورات أفلاطون و...

الدويرى

والآن يا عمنا التوحيدى حان الوقت لتبدأ رحلة العودة

التوحيدى

[مهموما يشرد ذهنه]

رحلة العودة!!

الدويرى

من المهد إلى اللحد

التوحيدى

تقصد من اللحد إلى المهد

الدويرى

وبالعكس، رحلة دائرية مكتملة

التوحيدى

[يتنهد مهموما]

من الواضح أنك قدرى

الدويرى

ولعلك قدرى

التوحيدى

لا فكاك، موافق بشرط

الدويرى

هات شروطك يا عمنا آبا حيان

التوحيدى

مقابل رحلة العودة التى ستصحبنى فيها إلى بداية رحلتى فى الحياة حتى نهايتها

الدويرى

تريد رحلة تصحبنى أنت فيها إلى المستقبل

التوحيدى

لأتعرف على بغداد وما جرى لبغداد بعد رحيلى من الحياة... ماذا عن آل بويه حكام العراق فى أيامى؟! ماذا عن شعب العراق بعد أن....؟؟

الدويرى

[يغمغم جانبا بأسى]

شعب العراق الآن ومنذ سنوات مصلوب على صليب ضلعاه صدام والنظام العالمى الجديد

التوحيدى

ماذا قلت يا هذا.. فى هذه الصفقة العادلة؟!

الدويرى

اتفقنا يا عمنا أبا حيان، والآن فلتبدأ رحلتك منذ ميلادك.. طفولتك وصباك فشبابك..

التوحيدى

[بعصبية واضحة]

عجوز مثلى فى أرذل العمر ذاكرته كغربال - كثير الثقوب - يصعب بل يستحيل أن استرجع رحلة حياتى حسب المسار الزمنى المنطقى كما تريد

الدويرى

إذن فلأنشط ذكراتك وأنوشها لك يا عمنا أبا حيان - بما سبق وسمعته عن طفولتك وصباك من الخالة حلاجة

التوحيدى

الخالة حلاجة؟!!

الدويرى

جارتك

التوحيدى

[بدهشة]

لى جارة واسمها الخالة حلاجة؟!

الدويرى

وتسكن فى الحجرة المقابلة تماما لحجرتك

التوحيدى

لا وجود لجارة لى باسم الخالة حلاجة

الدويرى

[مؤكدا]

جارتك العمياء، وقد تجاوزت المائة عام، بنفسى قابلتها بل زرتها ومعى ما تبقى من جاتوه

التوحيدى

[ساخرا]

لعلك رأيتها فى أحد مناماتك التى لا تفيق منها ليل نهار يا مصرى

[هنا يسمع صياح ديكه لاقتراب الفجر]

أبو حيان التوحيدى يبدأ فى جمع بقَية أغراضه فى جوال كان قد سبق له أن جمع بعضها فيه

الدويرى

إلى أين يا عمنا أبا حيان؟!

التوحيدى

ألا تسمع صياح الديك؟! الفجر أوشك على الطلوع ولابد أن أترك بغداد بل العراق، بأمر الوزير ابن يوسف

الدويرى

وماذا عن الرحلة؟!

التوحيدى

أية رحلة؟!

الدويرى

رحلة العودة إلى الماضى وحاضرك

التوحيدى

[بمرارة]

مقابل رحلة للمستقبل حاضرك

الدويرى

مباشرة بعد أن تنتهى رحلة عودتنا إلى شبابك فصباك فــ ...

التوحيدى

[بعصبية واضحة]

طفولتى، صباى، شبابى، ليس فيهم ما هو جدير بالعودة

الدويرى

يا عمنا أبا حيان، رحلة حياتك لابد لها من بداية، لابد من العودة إلى طفولتك وصباك فشبابك.

التوحيدى

[يصرخ]

لا عودة، ولا وقت لعودة، فها أنا راحل إلى غربة أخيرة بعدها تنتهى حياتى من الوجود.

الدويرى

ليس قبل رحلة العودة

التوحيدى بعصبية واضحة، وبنفاذ صبر فى ذروته، يفتح باب حجرته مشيرا للدويرى بالخروج.

التوحيدى

يا هذا، فلترحل وفى الحال فلتعد إلى زمانك، ولتتركنى لزمانى، لغربتى القادمة والأخيرة.

الدويرى

يا عمنا أبا حيان - أوراق العمر تحترق...

التوحيدى

[بغيظ واضح يقاطعه]

وما شأنك أنت يا هذا بأوراق عمرى تحترق؟!

الدويرى

قد تكون أوراق عمرى أنا أو عمر أى صاحب قلم

التوحيدى

فلتهتم بأوراق عمرك لا عمرى أنا

الدويرى

يا عمنا أبا حيان المسرحية...

التوحيدى

اللعنة على مسرحيتك فلتحرقها، فلتحرق كل مسرحياتك خير لك فلتحرقها الآن. لا تموت قبل أن تحرقها وإلا ظلت شهادات دامغة عليك، تدينك إلى الأبد بعد موتك. فلتحرقها ولتأمل ألا يتدخل متطفل سقيم ليمنعك من حرقها مثلما فعلت أنت معى فلتحرقها، فلتحرقها، فلتحرقها.

التوحيدى يستجمع كل قواه ليدفع الدويرى خارج الحجرة.

التوحيدى

فلترحل بعيدا عنى أيها الملحاح اللحوح، فلتتركنى لحالى

الدويرى

[مقاوما]

والمسرحية؟!

التوحيدى ما يزال يدفع الدويرى خارج الحجرة

ينجح التوحيدى أخيرا فى طرد الدويرى خارج حجرته وبسرعة يقفل بابها ثم يعاود جمع أغراضه.

التوحيدى

فلأهرب بجلدى قبل وصول جلاوذة الوزير ابن يوسف

[[تلاشى بطىء]]

****

المشهد الثانى والعشرون

داخلى **ما بعد ظهر يوم صيفى حار**

عودة إلى المشهد المعاصر، قطاع حجرة مكتب الكاتب المعاصر.

إنه نائم على السرير السفرى، يهب صارخا

الدويرى

سأطاردك باحثا عنك حيثما تذهب، لابد من كتابة المسرحية..

الدويرى يعاود النوم ثانية...

صوت الدويرى

بكل الحيل الدرامية، ولو أحقرها سأرغمك يا عمنا أبا حيان على اصطحابى معك إلى طفولتك، فصباك، فشبابك، فـــ...

[[تلاشى سريع]]

* * * * * * * * * * *

الجـــزء الثـــانى

المشهد الثالث والعشرون

داخلى **ليل صيفى**

قاعــة واسعة فى دار أحد أثرياء شيراز بفارس، قرب نهاية القرن الرابع الهجرى، القاعة غاصة بكبار القوم من أعيان شيراز. صاحب الدار يتجول فى القاعة مرحبا بضـيوفه وقد انتشروا فى القاعة فى مجموعات تتحلق حول نضد منخفضة حافلة بالأطعمــة والأشــربة بمخـتلف أنواعها بعض الضيوف قد وصلوا إلى حد السكر الواضــح البيــن، فى أحد أركان القاعة هناك منصة مرتفعة مقامة، وفوقها يستعد العــازفون بــآلاتهم الموســيقية فى انتظار المغنى أو الراقصة. قرب مدخل القاعة وعلــى أحــد جانــبى المدخــل يجلس الدويرى الخالق الناطق شبيه التوحيدى فى شـيخوخته كمــا ســبق، الدويرى يتابع ما يجرى فى القاعة من ضجيج وصخب المخموريــن ولكــنه من حين لآخر يتطلع إلى مدخل القاعة وكأنه فى انتظار قادم بعيــنه ثــم يختلس النظر إلى ساعة يده العصرية التى يحاول ألا يلحظها أحد من الحضور حوله وإلا انكشف أمره.

ثــم يبدأ حفل الطرب والرقص بظهور راقصة فارسية شبه عارية على المنصة، ثم يظهر المغنى ليبدأ الغناء بمصاحبة موسيقى العازفين بينما الراقصة تتمايل راقصة فى خلاعة واضحة.

المغنى

لست أنسى لها الزيارة ليلا
طرقتنا وأقبلت تتثنى
كم ليال بتنا نلذ ونلهو
ونسقى شرابنا ونغنى
هجرتنا فما إليها سبيل
غير أنا نقول : كان وكنا

المغــنى يكرر «**كان وكنا**» أكثر من مرة ، وإذ بجمهور القاعة والمخمورين منهم بالذات ما بين متمرغ على أرض القاعة وقد هاج وجدانه وأزبد فمه ونعر واستعر

رعض بنانه وركل برجله ولطم وجهه ألف لطمه ندما وما بين باك متحرق ودمعه منهمر، وسره المكتوم قد بدا ودليل عشقه قد أفصح عن صاحبه أثناء تكرار المغنى قوله «كان وكنا» مع انطلاق تأوهات وصرخات الحضور.

أصوات الحضور

[تتأوه مردده]

كان وكنا

أثناء انصراف حضور القاعة إلى غناء المغنى وقبل أن ينتهى بقليل من الغناء كان قد ظهر متسللا عجوز قد تجاوز السبعين من عمره بالرغم من تصابيه الواضح، فشعر الرأس واللحية مصبوغ بلون أسود ليبدو أصغر من عمره، كما أنه يرتدى زيا لشيخ شيرازى من أهل الخير والصلاح، وقد غطى جانبا كبيرا من وجهه ورأسه بطيلسان أو بشال شيرازى، الشيخ متماوت متسامت بسمت أهل الخير والصلاح، يجلس فى هدوء على الجانب المقابل للدويرى شبيه التوحيدى قرب المدخل، شفتاه لا تكفان عن التمتمة والهمهمة بترديد كلمات الله، وقد افترش الأرض متربعا فى جلسته مع هز جسده كمن فى ذكر الله، مما يلفت انتباه الدويرى شبيه التوحيدى فيتابعه بدهشة

الدويرى

[يغمغم جانبا]

يا له من فقيه مختل العقل.. يذكر الله فى مجلس طرب ومجون

وقد انتهى المغنى من الغناء والراقصة من الرقص، يهلل السكارى فى صخب ومجون ثم يواصلون قرع الكئوس والدردشة حول الشراب والطعام

صاحب الدار يتجه إلى حيث الشيخ المتصابى المتسامت المتماوت ليرحب به كضيف جديد

صاحب الدار

أهلا ومرحبا بالشيخ

الشيخ المتسامت

حيا الله ذا الوجه بالسلام، وحباه بالإكرام

صاحب الدار

من؟! أبا القاسم البغدادى؟

الدويرى

[يغمغم]

أبو القاسم البغدادى؟! هذا الاسم ليس بغريب عن سمعى و...

أبو القاسم البغدادى وقد عاد للترنم بذكر الله بصوت مرتفع قليلا

صاحب الدار

[هامسا]

أبا القاسم يا بغدادى حاذر أن تكدر صفو مجلسنا بطريقتك المعتادة دع القوم فى بهجتهم ونشوتهم

صاحب الدار يترك أبا القاسم البغدادى ويعود ليرحب بضيوفه ويتبادل مع بعضهم الحديث.

أبو القاسم البغدادى يرفع صوته مرنما بصوت جميل بذكر الله بينما يهز جسده.

أبو القاسم البغدادى

[مترنما]

«رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والإبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب».

الدويرى شبيه التوحيدى، تنطلق منه ضحكات ساخرة مستنكرة سلوك أبى القاسم المتسامت المتماوت الذاكر لله فى قاعة طرب ومجون.

الدويرى يضحك ساخرا

أبو القاسم البغدادى تقلقه الضحكات الساخرة فيلتفت إلى مصدرها فيفاجأ بشبيه التوحيدى - الدويرى - مما يزيد من توتره وقلقه.

أبو القاسم

[يغمغم بقلق]

من؟! أبو حيان التوحيدى هنا معى، فى مكان واحد؟! يستحيل ذلك، لابد وأنه ذلك

الطفيلى المتطفل اللحوح القادم من نهاية القرن العشرين يطاردنى ليل نهار إلى حيثما أهرب وإستتر من مطاردات الوزير أبى القاسم ابن يوسف فى بغداد - والوزير الصاحب بن عباد فى الرى. يفكر أبو القاسم البغدادى فى الهرب من مطاردات الدويرى شبيه التوحيدى ولكنه يتراجع ويعود إلى اتخاذ سمته المتماوت ويستأنف هز جسده مع تحريك شفتيه فى ذكر الله بينما الدموع تنهمر فجأة من عينيه وتتصاعد أنفاسه من ضلوعه مما يثير سخرية الدويرى أكثر فأكثر فترتفع ضحكاته الساخرة

أبو القاسم

[من خلال دموعه ينهره]

يا قاسى القلب أتضحك كل هذا الضحك بعد قتل الحسين الذبيح؟! لا حول ولا قوة إلا بالله

ويسرع فى هز جسده وتحريك شفتيه بتمتمات وهمهمات مضغومه متصاعدة

الدويرى

يا هذا القوم حولك فى طرب ومجون وسكر بين وأنت..

أبو القاسم

[يقاطعه مستنكرا]

طرب ومجون؟! لا حول ولا قوة إلا بالله، طرب ومجون وأهل بيت النبى فى قتل وحرب.

ثم ينفجر باكيا لاطما خديه ويهيل التراب على رأسه.

أبو القاسم

لعن الله من يعادى عليا

وحسينا من مسوقه وإمام

أصوات مخمورة

[متداخلة]

- فلتكف يا أبا القاسم يا بغدادى

- فلتكف عن هلوساتك - لا تفيقنا من سكرتنا

أحد المخمورين يترك مكانه حاملا معه زجاجة خمر كبيرة وكأس، ويتجه إلى حيث أبو القاسم البغدادى، ثم يرفع الطيلسان عن وجهه ورأسه، الدويرى شبيه التوحيدى يشهق دهشة.

الدويرى

[يغمغم جانبا]

يا الله، أبو حيان التوحيدى متنكر فى قناع عياره وصعلوكه أبى القاسم البغدادى فى رسالته البغدادية

الرجل المخمور يضع كأسه على فم أبى القاسم

الرجل المخمور

اشرب يا أبا القاسم اشرب، ليسقط القناع الزائف عن وجهك الحقيقى

الدويرى

[يغمغم مهددا]

والله يا عمنا أبا حيان يا توحيدى إن لم تبدأ معى رحلة العودة إلى ماضيك .. إلى طفولتك.. فصباك.. فشبابك حتى نهاية الرحلة، والله ثانية لأكشفن حقيقتك أمام أهل شيراز فيسقط عنك قناع استتارك وتقيتك

أبـــو حيان التوحيدى وقد انكشف وجهه تماما وبالتالى سقط عن وجهه قناع تنكره واســـتتاره قـــناع أبى القاسم البغدادى، ينطلق من حبسته ويختطف الزجاجة من يد الرجل المخمور ويرفعها دفعة واحدة على فمه فى شره واضح؛ فيفقد وعيه وتوازنه فيتحرك مترنحا بين صفوف ضيوف القاعة متأملا الوجوه الواحد بعد الآخر

التوحيدى

يا قوم شيراز، صباحا صالحا لا رديا ولا فاضحا

ترتفع ضحكات الضيوف ترحب بوجود أبى القاسم البغدادى معهم.

أصوات مخمورة

[متداخله]

أضحكنا يا أبا القاسم بنوادرك النادرة أو فلتضحكنا على أنفسنا

أبو حيان التوحيدى يترنح بين صفوف الحضور ويتأمل الوجوه وفجأة يتوقف أمام أحد الوجوه.. يبحلق فى وجهه متسائلا، ثم يصيح إلى صاحب الدار

التوحيدى

[صائحا]

يا سيدنا صاحب الدار المضياف ضيفك هذا من يكون؟! ما اسمه؟! أمتعنى الله بفقده

صاحب الدار

هذا رجل فاضل أديب أريب، اسمه...

التوحيدى

أعرفه حق المعرفة [يغمغم جانبا] **الوزير أبو الفضل ابن العميد** [ثم يرفع صوته] **عبس وتولى، اسمك أبا الفضل - لا اله إلا الله - ثقيل الدم ويكنى أبو الهواء، زبال ويسمى ريحان، شحاذة واسمها ملكة، وأنت اسمك أبو الفضل ولا فضل لك، أعرفك حق المعرفة، أديب أريب، دائم القراءة فى كتاب تأخير المعرفة وكتاب نسيان العلوم ودراستك فى مجموع نقصان الفهم. باختصار أنت ثور فى سوق البقر.**

يضحك الحضور بما فيهم الضيف موضوع السخرية.

الدويرى

[يغمغم جانبا]

أبو حيان التوحيدى - بخياله الشاطح الناطح - ينتقم لنفسه من الوزير أبى الفضل ابن العميد

التوحيدى

[يواصل السخرية]

ما أنظف ثيابك يا أبا الفضل وأوسخ إهابك. لولا بياض ثيابك لحسبتك كلبا. أوف!! رائحة فمك تفوح كرائحة كنيف

تــرتفع الضــحكات المخمورة بما فى ذلك ضحكات الضيف موضوع السخرية أبو حيان التوحيدى مترنحا يتحرك متأملا الوجوه، وفجأة يتوقف أمام وجه ضيف آخر

التوحيدى

وصاحبنا هذا؟!

صاحب الدار

إنه......

التوحيدى

[يقاطعه بسرعة]

أعرفه حق المعرفة صاحبنا هذا [جانبا يغمغم بغل واضح] **هو الوزير الصاحب بن عباد**

صاحب الدار

صاحبنا كاتب صنيد

التوحيدى

أعرفه حق المعرفة

[ينشد]

كاتب يصفع بالنعل

قفا كل أديب

يضحك الحضور بما فيهم الضيف موضوع السخرية

التوحيدى

كاتب كلما تربع على الدست

فسا فى أنوف أهل الزمان

مترنحا يتحرك أبو حيان التوحيدى ليميل بجسده على الدويرى شبيه التوحيدى

التوحيدى

[هامسا يهدده]

كاتب يصفع بالنعل

الدويرى

[يكمل بيت الشعر مهددا]

قفا أبى حيان التوحيدى

بارتباك واضح يتحرك أبو حيان التوحيدى مترنحا بعيدا عن الدويرى – شبيه التوحيدى وقد بدا على التوحيدى القلق والتوتر خوفا من أن يكشف الدويرى حقيقته

أمام أهل شيراز - أبو حيان التوحيدى يحاول ويعاود الوقوف أمام الضيف السابق ليكمل السخرية منه.

صاحب الدار

صاحبنا هذا رجل خطير يا أبا القاسم؛ فلتكف عن السخرية منه

التوحيدى

[ساخرا باستخفاف]

لعله وزير وإيش على أنا من هذا؟ كبعرة بعير فى المد الكبير - إيش البقة وإيش قرصتها؟! ولم أخف من صاحبنا هذا الخطير؟! من ليس يدك فى قصعته لا تبال بصلعته

جمهـــور القاعـــة بمـــا فيهم الضيف موضوع السخرية يضحكون ضحكات ماجنة مخمورة.

الدويرى

[يغمغم مشفقا]

يا عمنا أبا حيان. بلحمك ودمك كنت فى قصعة الوزير الصاحب ابن عباد

أبو حيان التوحيدى يشير إلى عبد أسود يقف خلف الضيف الذى انتهى من السخرية منه.

التوحيدى

سيدنا صاحب الدار إيش يكون هذا الأسود القايم على رأس صاحبنا؟!

[جانبا] الصاحب ابن عباد

صاحب الدار

هذا خادم صاحبنا الخطير

التوحيدى

اعرفه حق المعرفة [يغمغم جانبا] **الكاتب ابن فارس خادم سيده الأكل على كل الموائد رجل لكل العصور خدم أبا الفتح ابن العميد ومن بعده خدم الصاحب ابن عباد** [للخادم] **لا تشعر بضالتك يا هذا لأنك خادم سيدك فلولا الخدم ما ظهرت رتبة الملوك ولا ظهر الغنى من الصعلوك .. اصعد يا أستاذ قرنفل.. قف بنعليك على**

رأس مولاك الخطير، ولكن لم أنت كذا كدب متغنج فى غلالة لبود، ظريف يا أنت لابد وأنك وقعت من كتف دايتك فى كنيف

يضحك الحضور ضحكات مخمورة ماجنة فيما عدا الخادم الذى يندفع غاضبا هاما بالإمســـاك بأبى حيان التوحيدى ليضربه. أبو حيان التوحيدى يجرى مترنحا بعيدا عنه ويعاود تأمل الوجوه، وفجأة يتوقف أمام وجه ضيف ثالث

صاحب الدار

حاذر يا أبا القاسم لا تحاول السخرية من هذا الضيف فهو....

التوحيدى

أعرفه حق المعرفة

[جانبا يغمغم بغل واضح]

الوزير ابن يوسف [ثم يكمل] **ابن مغنية مصفوع**

يضحك الحضور فيما عدا الضيف الثالث فهو لا يستجيب للسخرية ولا يضحك

التوحيدى

ما بالك يا هذا ساكت لا تنطق؟! أتراك تفكر فى الخلافة إلى من تصير؟

يضحك الحضور بما فى ذلك الضيف موضوع السخرية

التوحيدى

مسكين يا أبو العقلين تنظر بإحداهما فى الفواتح وبالآخر فى العواقب. أنت من رأى خيرا تدلى، وإن رأى شرا تولى. يا لك من سنور تعودت كشف القدور مناك فى دنياك نبيذ تحسوه وغلام تحشوه. طبعك - بحمد الله - طبع الديك تأكل وتشرب وتنـــ..........

الحضور يضحكون ويصخبون

التوحيدى

[يكمل مستدركا]

تـــرتفع ضـــحكات المخمورين وتن...وكيك بما فى ذلك الضيف موضوع السخرية علـــى المنصـــة قـــد بـــدأ الاستعداد لأغنية أخرى لمغنية قد ظهرت على المنصة. العازفون قد بدأوا عزف المقدمة الموسيقية للأغنية.

صاحب الدار

أبا القاسم يا بغدادى، كفاك. ارحم الخلق من لسانك اللاسع كعقرب، كفاك. لقد أضحكتنا بما فيه الكفاية وأكثر على أنفسنا والآن جاء دور الطرب

المغنية

أنسيت الوصل إذ بتنا

على مرقـــد ورد

واعتنقتـــــا كوشـــــــــاح

وانتظمنا نظم عقد

وتعطفنـــــــا كغصنين

وقدانـــــــا كقد

جمهـــور القاعة انصرفوا تماما لمتابعة المغنية مع انطلاق تعليقات مخمورة فاحشة على كلمات الأغنية.

الدويرى - شبيه التوحيدى - ينتهز الفرصة ويقترب من أبى حيان التوحيدى يميل عليه هامسا.

الدويرى

عمنا أبا حيان بلا ضجة ليست فى صالحك دعنا نتسلل للخارج فى هدوء وصمت

التوحيدى

[بعناد صبيانى]

أنا أبو القاسم البغدادى والجميع هنا يعرفوننى ولتسألهم

الدويرى

ولكنهم لا يعرفون حقيقة أنك أبو حيان التوحيدى المطرود من بغداد منفيا بأمر الوزير أبا القاسم أبى يوسف وهنا فى شيراز وقد صبغت شعر رأسك ولحيتك وارتديت لباسا شيزاريا للتنكر والاستتار فى قناع أبى القاسم البغدادى صعلوك وعيار رسالتك البغدادية.

التوحيدى

لن يصدقك أحد يا هذا

الدويرى

أحمل معى ما يدل على حقيقتك كأبى حيان التوحيدى وإن لم تخرج معى الآن وفى هدوء؛ سأضطر أسفا لكشف حقيقتك أمام الجميع مقدما لهم الدليل بعد الدليل؛ وهكذا يصل خبر وجودك فى شيراز إلى حبيبك اللدود الوزير الصاحب ابن عباد فى الرى

التوحيدى

ماذا تريد منى يا هذا؟!

الدويرى

رحلة العودة إلى...

التوحيدى

لا، لا عودة

الدويرى

[يصيح مهددا]

أبا القاسم يا بغدادى فلتقل لنا من أنت؟!

أبو حيان التوحيدى بسرعة يندفع خارجا من القاعة مستسلما

التوحيدى

[ينشد من خلال دموعه]

أنا الغريب الذى يبكى الحمام له

إذا بكى وينوح الطير إذا ناحا

الدويرى – شبيه التوحيدى – يتبع أبا حيان التوحيدى للخارج فى صمت

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الرابع والعشرون

خارجى **ليل صيفي حار**

أحد شوارع شيراز بفارس قرب نهاية القرن ٤ هـــ

أبـــو حيان التوحيدى فى غضب واضح وغيظ متفجر يهرول فى الشارع والدويرى شبيه التوحيدى يحاول اللحاق به بأنفاس لاهثة.

التوحيدى

[يشتم ساخرا]

عيار نعار

الدويرى

[ضاحكا من خلال أنفاسه اللاهثة]

أنا العيار النعار يا أبا القاسم يا بغدادى؟!

التوحيدى

زعاق شهاق - هماز غماز

الدويرى

لن أرد عليك يا عمنا أبا حيان

التوحيدى

مفروك مدلوك

الدويرى

احترامى لك يمنعنى من الدخول معك فى قافية تراشق متبادل بالشتائم المسجوعة

التوحيدى

طفيلى متطفل، ما الذى يجعلك تطاردنى حتى فى منفاى؟! لم تتخذ مظهرى الخارجى قناعا لك؟! لم تكدر هدوء حياتى فى الاستتار؟!

الدويرى

يمكنك التخلص من مطارداتى نهائيا وإلى يوم الدين

التوحيدى

[ساخرا بغيظ]

بأن أصطحبك فى رحلة إلى ماضى

الدويرى

لأتعرف عليك طفلا، فصبيا، فـــ.....

التوحيدى

ليس فى طفولتى ولا فى صباى ما يستحق التعرف عليه

الدويرى

فلأعرف ما يمكن معرفته عنك مهما قل شأنه عن طفولتك وصباك.

التوحيدى

[بعصبية واضحة]

لا أستطيع، لا أريد، لا أريد أن، أن أوقظ مواجع ماتت منذ سنوات، لا أريد أن أنكأ جروحا قديمة، لا أريد أن استحلب مرارات الحنظل.

الدويرى

معذرة يا عمنا أبا حيان لقسوتى معك، ولكن لابد من رحلة العودة لأكتب أوراق العمر تحترق.

التوحيدى

[بنفاذ صبر]

أمرى لله شرط أن تختفى بعد ذلك من حياتى ومن زمانى نهائيا وإلى يوم الدين.

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الخامس والعشرون

داخلى　　　　　　　　　　　　منتصف ليل صيفى حار

مسكن التوحيدى فى أفقر الأحياء الشعبية فى شيراز، حجرة فى بيت قديم آيل للسقوط، الحجرة جرداء تقريبا تخلو من أى أثاث له قيمة باستثناء نضد منخفض متهالك للكتابة وسراج نفط زبالته ضعيفة مصفرة، فى أركان الحجرة تنتشر على الأرض أكوام من الكتب والقراطيس وهناك دكة منخفضة متآكلة بفعل الزمن للنوم عليها. باختصار حجرة لا تختلف كثيرا عن حجرة التوحيدى فى بغداد.
التوحيدى - رضوخا لتهديد الدويرى - يحاول أن يعصر ذهنه ليتذكر طفولته وصباه.

التوحيدى

فى حجرة جرداء لا تختلف كثيرا عن حجرتى هذه ولدت ببغداد، وعلى ما أذكر أنك قد زرتنى فيها ليلة هروبى من بغداد

الدويرى

فى مسكنك فى بيت آيل للسقوط فى درب الحاجب فى أفقر أحياء بغداد [مازحا] ويومها قدمت لى طبقا عليه بعضا من بلح التوحيد يا عمنا أبا حيان التوحيدى.

التوحيدى

فى مقابل ما قدمته لى أنت يومها من حلوى مصرية لذيذة فى زمانكم تسمونها.

الدويرى

الجاتوه

التوحيدى

لذيذ كان هذا الـ - الجاتوه يومها كنت جائعا فأكلت منه بشراهة - وبلا حساب لحد التخمة.

الدويرى

بعدها رفضت أن تأكل ما تبقى من جاتوه وأخذته أقدمه إلى جارتك الخالة حلاجة.

التوحيدى

[ساخرا]

تصر على حقيقة وجود خالتك حلاجة هذه؟؟

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد السادس والعشرون

داخلى **بعد منتصف ليل شتوى**

داخـــل غـــرفة الخالة حلاجة العجوز العمياء فى بغداد غرفة بسيطة – فقيرة الحال وأن كانـــت تتســـم بالنظافة والتنظيم – الدويرى بملابسه المعاصرة وقد جلس قبالة الخالة الحلاجة يقدم لها قطعة من الجاتوه

الدويرى

خالة حلاجة – تفضلى قطعة حلوى

الخالة حلاجة

[تقاطعه مستنكرة بحده]

حلوى؟!!

الدويرى

أرسلها لك جارك وولدك أبو حيان التوحيدى

الخالة حلاجة

ألا يعلم أبو حيان أن خالته حلاجة قد حرمت فمها من الحلو ومن الدسم منذ استشهاد أخى حلاج الأسرار؟!

الدويرى

اعذريه يا خاله، ذاكرته قد ضعفت

الخالة حلاجة

منذ سنوات وسنوات وروح الحلاج فى أعماق التوحيدى قد جفت، ماتت!!

الدويرى

[بحب استطلاع تحركته الدهشة]

روح الحلاج؟!

الخالة الحلاجة

دم الحلاج النازف كان يسرى فى عروق أبى حيان التوحيدى منذ أن كان بذرة فى رحم أمه رحمها الله

الدويرى

دم الحلاج النازف؟!!

الخالة حلاجة

جمرة نار مقدسة طارت إلى فم العروس الشابة

الدويرى

العروس الشابة؟!!

الخالة حلاجة

أم أبى حيان، كانت - رحمها الله - تقف يومها بجوارى تحت قدمى الحلاج مصلوبا على شجرة شوك ينزف على شط نهر دجلة!!!

[[تلاشى بطىء]]

****

المشهد السابع والعشرون

خارجى **نهار صيفى حار**

على شاطئ نهر دجلة، بغداد عام ٣٠٩ هـ، الحلاج [٦٥ سنة] مصلوب ومقيد فوق شجرة عجوز جرداء. الحلاج ذراعاه مبتورتان تماما وينزفان بغزارة. تحت الشجرة أكوام مرتفعة من الحطب والبوص الجاف. بالقرب من الشجرة – وتحت قدمى الحلاج تقريبا – هناك شاباتان من نفس العمر تقريبا وبملابس الحداد السوداء. الشابة الأولى حلاجة شقيقة الحلاج والشابة الثانية جارة للحلاجة، عروس شابة متزوجة حديثا، وفى حينه سنعرف أنها ستكون أما لأبى حيان التوحيدى. وهناك جموع غفيرة من عامة بغداد منتشرة على شاطئ نهر دجلة فى صمت تبكى وتنتحب بصوت مكتوم وقد سيطر عليها الخوف والرعب؛ العسكر والجند وحملة المشاعل يحيطون ويسيطرون على المشهد الرهيب وعلى رأسهم صاحب الشرطة يتحرك فى المشهد فى تطاووس لا يخلو من توتر خفى.

وهناك ثلاثى شيوخ السنة تبدو على وجوههم الشماته الواضحة والإحساس بالانتصار إنهم يحيطون بصاحب الشرطة.

ثلاثى الشيوخ

– معذرة يا صاحب الشرطة

– مؤلفات الحلاج

– ورسائله لتلاميذه

– أخطر من الحلاج نفسه

– لابد من حرق كتب الزنديق

– ورسائل المارق

صاحب الشرطة يبدو عليه ضيق وضجر واضحين من تدخل ثلاثى الشيوخ فى عمله ومع ذلك ليس أمامه سوى الانصياع لتوجيهاتهم.

صاحب الشرطة

[مناديا]

الأوراق والكتب والرسائل التى نجحنا فى الاستيلاء عليها من دار الحلاج ومن بيوت تلاميذه أحضروها فى الحال

ثلاثى الشيوخ

- لتحرق مع الحلاج - مؤلفها الزنديق

- المارق - إلى الجحيم وبئس المصير

الجـند والعسكر يحملون عشرات الكتب والرسائل والأوراق محشوة داخل أجولة من الخيش يفرغونها فوق الأحطاب الجافة تحت أقدام الحلاج.

ثلاثى الشيوخ

- والآن أيها المؤمنون - أيها الموحدون بالله ورسوله

- فليشترك كل مؤمن - وكل مؤمنة

- فلنشترك جميعا - فى شرف رجم الزنديق الكافر

- ارجموه بأقسى واغلظ الأحجار- ارجموه لتحصلوا على ثواب رجم الزنديق المآزق.

الجمـوع بعد تردد - مرغمة - تقذف - بلا حماس - أصغر وأخف الأحجار تجاه الحـلاج وذلـك من خلال دموعها ونحيبها المكتوم المتصاعد، خلال المشهد ثلاثى الشيوخ يرجمون الحلاج عن قرب بكتبه وأوراقه ورسائله بعد أن يلفون بها أحجار كبيرة.

ثلاثى الشيوخ

- فلنرجم الزنديق المارق - بكلماته المارقة

- وبشطحاته الكافرة.

الجـارة الشابة - أم التوحيدى مستقبلا - تقذف الحلاج بوردة حمراء تخرجها من صدرها بعد أن تلمس بها شفتيها.

الجارة الشابة

[هامسة]

معذرة يا عماه

الحلاج

[يغمغم]

آه - قتلتينى يا شابة

الجارة الشابة

[من خلال دموعها]

بوردة أقتلك يا عماه؟!

الحلاج

[هامسا]

ضرب المحب يؤذى يا ابنتى

الجارة الشابة

[هامسة]

الجمره الحمراء فى أحشائى توشك أن تتحرك. الثمرة المقدسة فى بطنى حلاجا آخر يتحرك

[[تلاشى بطىء]]

****

المشهد السابع والعشرون [مكرر]

داخلى **بعد منتصف ليل شتوى**

عودة سريعة إلى غرفة الحلاجة ومعها الدويرى بملابسه العصرية ما يزال...

الحلاجة

[تواصل استرجاعها للذكريات]

بعد استشهاد حلاج الأسرار بتسعة شهور ولدت جارتى الشابة - رحمها الله - ابنا أرادت أن تسميه الحلاج ولكن أبوه بائع تمر التوحيد خشى على وحيده من اسم الحلاج فسماه أبا حيان.

الدويرى

وماذا عن طفولة الحلاج [مستدركا بسرعة] **أقصد طفولة أبى حيان التوحيدى.**

الحلاجة

[بمرارة وأسى]

طفولته وصباه عاشهما فى فقر وبؤس ومع ذلك أصرت أمه رحمه الله عليها - أن ترسل وحيدها إلى الكتاب ليحفظ القرآن ويتفقه فى دينه لعله يصبح حلاجا آخر..

الدويرى

أظن أن أبا حيان لم يكمل تعليمه لضيق ذات اليد.

الحلاجة

فى صباه، أمه وأنا كنا نعيد تفصيل خرق ومرقعات حلاج الأسرار ونخيطها زيا للحلاج الصغير [تستدرك] **أقصد لأبى حيان الصغير، وعندما كبر وأصبح شابا طلب منى اللباس الصوفى للحلاج، وظل يرتديه لفترة طويلة** [بمرارة] **إلى أن خمدت فى أعماقه الجمرة المقدسة بعدها نسى أبو حيان التوحيدى الدم الحر الذى كان يجرى فى عروقه. وكما علمت، أبو حيان أصبح يبيع روحه لإمتاع الوزراء ومؤانسة الكبراء!!**

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الثامن والعشرون

داخلى **بعد منتصف ليل صيفى حار**

عودة سريعة إلى شيراز – وبالتحديد إلى مسكن التوحيدى – ومعه الدويرى – شبيه التوحيدى.

التوحيدى

[ساخرا]

كل هذه الأوهام عن طفولتى وصباى حكتها لك خالتك حلاجة الموهومة ؟!!

الدويرى

لقد أردت فقط أن أنشط ذاكرتك وأنعشها يا عمنا أبا حيان بما سمعته من الخالة حلاجة والآن أود أن أسمع منك

التوحيدى

ألا يكفيك ما سمعته من خالتك حلاجة؟

الدويرى

أود أن أسمع عنك منك لا منها بلسانك لا بلسان الخالة حلاجة.

التوحيدى

لا جديد عندى أضيفه. فى حجرتى الجرداء ببغداد ولدت ومن قبلى وفى نفس الحجرة الجرداء ولد والدى، عاش فيها طفلا، فصبيا، فشابا ليتزوج وفى نفس الحجرة الجرداء من والدتى ليلدانى، ثم تموت أمى – رحمها الله – لتتركنى مع والدى يتيما.

الدويرى

لترعاك الخالة حلاجة صديقة الوالدة

التوحيدى

مازلت تصر على وجود خالتك حلاجة هذه!! ما علينا، بعد الوالدة مات والدى تاركا الحجرة الجرداء لعمى وزوجته وأولاده الثلاثة وأنا رابعهم

الدويرى

وماذا عن عمك؟! ما....

التوحيدى

[يقاطعه بعصبية]

ألم تحكى لك خالتك حلاجة ما فيه الكفاية؟؟

الدويرى

يا عمنا أبا حيان أود أن اسمع عنك منك لا من غيرك

التوحيدى

[بعد فترة صمت طويلة يغمغم بخجل واضح]

طفولتى، صباى، فى.. أرذل العمر ومازلت أخجل من الحديث عن طفولتى وصباى بالرغم مما سمعته يوما ما من شيخى وأستاذى أبى سليمان السجستانى الشهير بالمنطقى

[[تلاشى بطىء]]

****

المشهد التاسع والعشرون

داخلى **ليل صيفى**

غرفة جرداء، مزدحمة بالكتب واللفائف والقراطيس المنسوخة، هناك نضد منخفض نسبيا للكتابة وفوقها أدوات الكتابة المعروفة فى أواسط القرن ٤ هـ فى بغداد.
أبـو سـليمان السجستانى، شيخ قد تجاوز الستين من عمره، هزيل الجسد، أبرص وأعـور، من الواضح أنه يعيش على الكفاف، ومع ذلك فالرضى والقناعة تكسوان وجهه.
أبـو حيان التوحيدى، وقد تجاوز شبابه بقليل بعد أن حقق ذاته كأديب ومع ذلك ما تزال عقدة النقص تؤرقه.

التوحيدى

[بعد تردد واضح]

شيخى وأستاذى أبو سليمان أنا..

أبو سليمان

ماذا بك يا أبا حيان يا ولدى؟!

التوحيدى

هناك.. أستاذى قبل أن يصل تلاميذك ومر يدينك لمجلس علمك وأدبك هناك... أمر يؤرقنى و...

أبو سليمان

هات ما عندك يا أبا حيان تكلم - افتح لى قلبك يا ولدى

التوحيدى

طفولتى وصباى كما تعرف

أبو سليمان

طفولتك كانت بؤسا فقد خلت من حنان الأم لموتها مبكرا - وصباك كان تعاسة لفقر والدك بائع تمر التوحيد وموته مبكرا؛ ليتركك لعم قسى عليك لقسوة الحياة عليه.

التوحيدى

[بمرارة]

كان يحصى على عدد اللقم وأنا صبى

[[تلاشى بطىء]]

****

المشهد الثلاثون

داخلى **ليل صيفى**

ـــس غــرفة أبى حيان التوحيدى عندما كان لا يزال صبيا فى السابعة من عمره. ـــول طبلية يلتف أربعة صبية، أكبرهم الصبى أبو حيان التوحيدى – فى السابعة ـــن عمره – الصبية يمدون أياديهم إلى طعام شعبى لفقراء بغداد فى بدايات القرن لرابع الهجرى. العم – وعمره ٤٠ سنة – يجلس على دكة خشبية يتابع الصبية فى أثناء أكلهم وكأنه «يعد اللقم» وفجأة يهب العم صارخا.

العم

[صارخا]

الرحمة! الرحمة يا ابن أخى! الرحمة يا أبا حيان – الرحمة!

الصبى أبو حيان

عمى! ماذا حدث منى؟!

العم

إنك تأكل لا بفمك، ولكن تأكل بفمك، عينيك، يديك، برأسك ورجليك، الرحمة يا ابن أخى.

الصـــبى أبو حيان يتوقف عن الأكل تماما ويبدو عليه الحرج والارتباك مع ارتفاع ضحكات بقية الصبية!!

العم

[ساخرا]

لو سألتك الآن عن اسمك ما تذكرته يا أبا حيان

الصبى أبو حيان

[تخنقه الدموع وقد توقفت اللقمة فى فمه]

العم

[مواصلا سخريته القاسية]

لو طلع الآن من قبره أبوك أخى يا ابن أخى لما عرفته، الرحمة يا أبا حيان،

الرحمة بعمك الفقير.

الصــبى أبــو حيان ينفجر باكيا ويفر هاربا للخارج مع ارتفاع ضحكات العم أولاد العم

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الواحد والثلاثون

داخلى　　　　　　　　　ليل صيفى حار

عــودة ســريعة إلى مسكن أبى سليمان فى بغداد ومعه التوحيدى وقد تجاوز شبابه بقليل.

أبو سليمان

[مازحا]

كان عمك يحصى عليك اللقم ثم كبرت لتحصى أنت عدد المغنيات والمغنيين فى حانات كرخ بغداد

التوحيدى

[بمرارة وأسى]

كان هذا فى فترة شبابى وعزى بعد عودتى من منفاى الأول فى مكة ومعى المال الوفير وقبل محنتى خلال الفتنة الكبرى.

أبو سليمان

لا أعادها الله

التوحيدى

طفولتى وصباى لا يشرفان صاحبهما

أبو سليمان

إن الله تعالى - يا ولدى - بقدر ما يعطى من الحكمة والعلم يمنع الرزق؛ لان العلم والمال كضرتين قلما يجتمعان ويصطلحان.

التوحيدى

دائما أخجل من الحديث بصراحة أمام الآخرين عن طفولتى وصباى.

أبو سليمان

خجل لا مبرر له

التوحيدى

وفى كل مؤلفاتى التى كتبتها حتى الآن يبدو أننى قد تجاهلت عامدا الحديث عن

طفولتى وصباى.

أبو سليمان

[مازحا]

فى هذا أنت الخاسر يا أبا حيان

التوحيدى

الخاسر؟!!

أبو سليمان

مؤرخو سيرتك كأديب فيما بعد سيقعون فى «حيص بيص»

التوحيدى

[ساخرا]

مؤرخو سيرتى!! وهل يظن أستاذى أبو سليمان أن ما يكتبه أبو حيان التوحيدى - تلميذك - يستحق التأريخ والدراسة؟!

أبو سليمان

إذا حافظت على حرية قلمك

التوحيدى

حرية قلمى؟!

أبو سليمان

[تجده]

حالك حالى، وحال كثيرين من العلماء والأدباء فى بغداد هذه الأيام، بل حالك أفضل من كثيرين.

التوحيدى

[بمرارة]

أفضل؟!!

أبو سليمان

أنت مازلت شابا عفيا يمكنك أن تكسب قوتك بعرق جبينك، شرط أن ترضى بالقليل.

التوحيدى

لا أملك حتى هذا القليل

أبو سليمان

القناعة كنز لا يفنى

التوحيدى

القناعة؟!!

أبو سليمان

أبا حيان ولدى.. أنت قليل الملك كثير الرزق.

التوحيدى

قليل الملك.. كثير الرزق.. لا أفهم لعلها فزورة فلسفية يا شيخى

أبو سليمان

الرزق أوسع من الملك. الملك حيازة المال، أما الرزق فيتسع ليشمل ما وهب الإنسان من مال، ذكاء، علم وخلق

التوحيدى

[ساخرا]

الذكاء! العلم! الخلق!

أبو سليمان

كم من كثير الملك قليل الرزق!! أحمد الله عز وجل على ما تملك

التوحيدى

وهل أمامى سوى الحمد والشكر؟!

أبو سليمان

من فى مثل حالنا يا أبا حيان يجب أن يقتنع بالعلم دون المال، وها أنت ترانى، أرفض الانتجاع إلى أمير أو وزير وشعارى دائما..

التوحيدى

سف التراب ولا الوقوف على الأبواب

أبو سليمان

فلتعلم يا أبا حيان أن فضيحة أديب لا أدب له أشنع وأفظع من فضيحة أديب لا حسب له.

التوحيدى

زدنى شرحا لما تقول يا أستاذى

أبو سليمان

قد يحس الإنسان بنفسه الجيدة قصورا فى حسبه ونسبه فيتلافى النقص والقصور والموروث بكسب الخير وإيثار الجميل وشدو الأدب وقصد العلم.

التوحيدى

[يغمغم]

كانت معركتى الكبرى أن أعوض فسولة حسبى ونسبى بما حققته وسأحققه فى مجالس أدعياء العلم والأدب من الكبراء وشعارى دائما كلمات الشاعر [منشدا]

العالم العاقل ابن نفسه

أغناه جنس علمه عن جنسه

كن ابن من شئت ولكن كيسا

فإنما المرء بفضل كيسه

كم بين من تكرمه لغيره

وبين من تكرمه لنفسه

[[تلاشى سريع]]

* * * * * * * * * * *

المشهد الثانى والثلاثون

داخلى **ما بعد منتصف ليل صيفى حار**

عودة سريعة إلى شيراز، وبالتحديد إلى مسكن التوحيدى بقناعه كأبى القاسم البغدادى ما يزال، ومعه الدويرى – شبيه التوحيدى.

الدويرى

عمنا أبا حيان حتى اليوم وها نحن فى نهاية القرن العشرين الميلادى ونوشك أن نحتفل ببداية الألفية الميلادية الثالثة.. ومازلنا نختلف حول تاريخ مولدك

التوحيدى

[ضاحكا بأسى]

تاريخ مولدى؟!

الدويرى

متى يا عمنا ولدت؟!

التوحيدى

[مازحا]

على ما أذكر لا أحد عن يقين يذكر يوم أو شهر أو عام مولدى

الدويرى

بالتقريب. حاول أن تتذكر فى أى عام ولدت، بالتقريب

التوحيدى

فليكن صدر القرن الرابع الهجرى

الدويرى

العاشر الميلادى

التوحيدى

تاريخ تقريبى فى أحد دروب أفقر الأحياء الشعبية ببغداد ولدت على أرض عراق يحتله الترك

الدويرى

وماذا عن الخلافة العباسية؟!

التوحيدى

تمزقت الخلافة العباسية إلى دويلات متناثرة فالترك سيطروا على مركز الخلافة فى بغداد - دار السلام - وبنى أمية فى الأندلس والفاطميون فى شمال أفريقيا والإخشيديون ثم الفاطميون فى مصر والحمدانيون فى حلب سوريا و.. و.....

الدويرى

تمزق وضياع، ويأس واضح

التوحيدى

فضلا عن التنافر بل التناحر بين الملل والنحل، والتقاتل الدموى بين المذاهب والطوائف

الدويرى

[يغمغم ساخرا بمرارة]

لا جديد تحت الشمس، فها هو التاريخ يعيد نفسه فى نهاية القرن العشرين

التوحيدى

ومع بداية بلوغى حدث غزو جديد العراق، والغازى هذه المرة شيعى من ديلم الفرس، آل بويه أصبحوا أمراء بل ملوك العراق وفارس وكان يوم غزو بغداد - دار السلام - كيوم القيامة.

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الثالث والثلاثون

خارجى **فجر يوم صيفى**

أحد الميادين فى بغداد.. حالة ذعر عام، صدر القرن الرابع الهجرى
البغداديون - رجال ونساء بملابس نومهم، والبعض شبه عار - يحملون أطفالهم وبعض أغراضهم ويجرون ذعرا ورعبا من مطاردة عسكر الديلم الغزاة وقد شهروا سيوفهم الدامية.
بعض البغدادين يسقطون جرحى أو قتلى مع ارتفاع الصرخات المذعورة مع صرخات الألم العميق لمن تطوله سيوف عسكر الديلم.
عسكر الديلم - فى وحشية - ينهبون ويسلبون ما يقابلهم حتى ملبوسات القتلى والجرحى ينتزعونها بلا رحمة ولو أدى ذلك إلى استعمال سيوفهم لقطع الأطراف لانتزاع الحلى والمجوهرات منها.
تتصاعد لوحة الذعر العام إلى ذروة

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الرابع والثلاثون

خارجى **ظهر يوم صيفى شديد الحرارة**

صـــحراء قاحلة، يفر إليها المطاردون رجال ونساء وأطفال، أنفاسهم لاهثة يتساقط البعض من الإرهاق وشدة الحرارة والعطش.

وهـــناك امـــرأة لم ير مثلها فى حسن الثياب والحلى، تجرى حافية، أنفاسها اللاهثة توشـــك أن تـــنقطع، حلقهـــا جاف، العرق يتصبب منها بغزارة، إنها تلتفت حولها والمطـــاردون يصـــطدمون بهـــا فيسقطونها على الرمال الحارقة فتحاول الوقوف ومواصلة الجرى هربا دون جدوى، تفتح حقيبة تحملها وتخرج منها حلى وجواهر ترفعها لأعلى.

المرأة

[بصوت مخنوق]

يا أهل بغداد، أنا ابنة قاضى قضاة بغداد، النجدة رشفة ماء أبل بها حلقى قبل أن ألفظ أنفاسى الأخيرة، رشفة ماء مقابل كل ما أملك من حلى وجواهر.

المطاردون يواصلون جريهم دون أن يلتفت منهم واحد أو واحدة للمرأة، وهنا يظهر واحد من عسكر الديلم بسيفه الذى يقطر دما - بوحشية - يختطف الحلى والجواهر من يد المرأة المحتضرة

المرأة

[من خلال أنفاسها الأخيرة]

رشفة ماء

العســكرى الديلمى يسقط المرأة على الرمال، بوحشية يرفع ملابسها، ويغطى وجه المرأة المذعورة بملابسها.

العسكرى الديلمى

[بدعارة يضحك]

بمياه الحياة فى ظهرى سأروى عطشى فرنك الملتهب

ثم يلقى بجسده الضخم عليها مع استمرار تقاطر المطاردون يفرون أمام سيوف

عسكر الديلم.

لمرأة بصوت مكتوم تصرخ صرخة أخيرة تموت بعدها ومع ذلك فالعسكرى لديلمى - وقد وصل إلى ذروة شهوته - يواصل جريمته

العسكرى

[بأنفاس ذروة الشهوة]

معذرة أيها الموت! غليان مياه الحياة بين أفخاذى أقوى منك يا موت

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الخامس والثلاثون

داخلى **بعد منتصف ليل شتوى**

عودة إلى غرفة التوحيدى فى شيراز والدويرى معه ما يزال شبيها للتوحيدى

الدويرى

يا له من مشهد دموى فظيع

التوحيدى

وهكذا استولى آل بويه على بغداد - دار السلام.

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد السادس والثلاثون

داخلى　　　　　　　　　　　　　　　نهار صيفى

فى دار الإمارة وبالتحديد فى قاعة العرش ببغداد حوالى ٣٢٢ هـــ.
الأمــير معــز الدولة [١٨ سنة] يتصدر قاعة العرش، يده اليمنى مقطوعة. الخليفة العباســى المســتكفى فى الخمسين من عمره يجلس على يمين الأمير معز الدولة. الوزيــر أبــو محمد المهلبى فى الأربعين من عمره يجلس على يسار الأمير معز الدولــة. ثلاثـــى شيوخ السنه يجلسون بجوار الخليفة المستكفى عن اليمين. ثلاثى شيوخ الشيعة يجلسون بجوار الوزير أبو محمد المهلبى عن اليسار

الأمير معز الدولة

نشكر لحضرة مولانا المستكفى حضوره اليوم مهنئنا بعد أن تفضل بالأمس وقام بمراسم تنصيبنا أميرا على العراق.

الخليفة العباسى

وفوضنا جلالة الأمير معز الدولة إلى ما وراء بابنا من سياسات داخلية وخارجية، سلميه وحربية.

الأمير معز الدولة

وبتوفيق من الله عز وجل سنكون عند حسن ظن وثقة حضرة مولانا المستكفى

الخليفة العباسى

وأمرنا نحن الخليفة العباسى الخطبة باسم حضرة الأمير معز الدولة على منابر مساجد العراق

الأمير معز الدولة

[متظاهرا بالتواضع والخضوع]

بعد اسم مولانا الخليفة المستكفى

الخليفة العباسى

وبإذن الله – عز وجل – ستكون إمارتكم بداية صفحة جديدة للسلام فى دار السلام.

الأمير معز الدولة

[يتجاهل عمدا كلمات الخليفة ويتوجه بكلامه للشيوخ الستة]

كما نشكر حضور شيوخنا العلماء الأفاضل من شيعة وسنة للتهنئة.

الخليفة العباسى

كلنا مسلمون يا أمير معز الدولة وتحت إمارتكم فلتتعايش ألسنة والشيعة في سلام في دار السلام

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد السابع والثلاثون

خارجى **نهار صيفى**

ساحة واسعة أمام أحد المساجد فى بغداد. جمع غفير من العامة أمام المسجد ينصت باهتمام.. لشيخ سنى يقرأ لهم بصوت مرتفع المكتوب على رقعة قماش كبيره معلقة على جدار المسجد.

الشيخ السنى

[يقرأ بصوت مرتفع وبنبرة تحريضية واضحة]

اللعنة على من غصب فاطمة يوم السقيفة حقها الشرعى فى ميراث أبيها صلوات الله عليه.. اللعنة على من عمل على تأخير وتأجيل الخلافة الشرعية الموعودة لأمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه

الجمــوع يتصـــاعد غضبها تدريجيا عند سماع هذه اللعنات فتصدر عنها همهمات وغمغمات معترضة متصاعدة

الشيخ السنى

[يواصل القراءة التحريضية]

اللعنة على معاوية لخداعه أمير المؤمنين، اللعنة على من قتل الحسين - كرم الله وجهه - جهرا فى كربلاء، اللعنة...

الشـــيخ السنى يتوقف عن القراءة ويستدير للجموع المتصاعدة الغضب؛ ليحرضها أكثر ضد اللعنات.

الشيخ السنى

[زاعقا فى غضب]

بل اللعنة - وألف لعنة على من يلعن بلعنات سبع صحابة رسول الله

الجموع الغاضبة

[تزأر غاضبة]

اللعنة - وألف لعنة

الشيخ السنى

فلتمزقوا اللعنات اللعينة مزقوا لعنات الأفق والكفر

الجمـــوع تندفع هائجة، تحاول أن تطول رقعة القماش بأطراف أصابعها، واحد من الجمـــوع وربما أكثر من واحد يتسلقون جدار المسجد لجذب الرقعة القماشية؛ لتقوم الجموع الهائجة بتجاذبها بغرض تمزيقها.

الجموع الهائجة

[تزأر فى غضب]

اللعنة على الكفار الخوارج

فجأة يندفع إلى الساحة جند وعسكر الديلم؛ لتفريق الجموع الغاضبة، ولتخليص رقعة القماش وقد مزقوها بوحشية.

الشيخ السنى وقد سقط على الأرض مصابا ينزف

الشيخ السنى

وهكذا يبدأ الغزاة الشيعة حكمهم لدار السلام والإسلام

الجموع وقد تساقطت مصابة على أرض الساحة تنزف

الجموع المقهورة

[فى تحد من خلال آلامها]

لا سلام مع أعداء السنة و صحيح الإسلام

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الثامن والثلاثون

داخلى نهار صيفى

عودة سريعة إلى قاعة عرش الإمارة – نفس مجلس الأمير معز الدولة.

الخليفة العباسى

السنة والشيعة مسلمون موحدون بالله ورسوله ويسهل تعايشهم فى سلام إذا تفضل حضرة أميرنا معز الدولة وسارع بعزل المعتزلة المفسدين لعقول المسلمين

الأمير معز الدولة

[يكتم ضيقه]

المستكـــ... [يستدرك] الخليفة المستكفى يحرضنا على توجيه ضربة قاضية للمعتزلة القائلين بالعدل والتوحيد

الخليفة العباسى

[بحماس واضح]

لسلامة الإسلام – فالمعتزلة زنادقة

الأمير معز الدولة

[يقاطعه بحدة خفية]

فليعلم الـــ... الخليفة المستكفى أن هناك حلف مقدس بين الشيعة والمعتزلة

الخليفه العباسى

يا أميرنا، المعتزلة زنادقة لا يحتكمون إلا للعقل

الأمير معز الدولة

عين العقل

الخليفة العباسى

يا أميرنا معز الدولة، المعتزلة يزرعون الشك فى عقول المسلمين يشككون فى صحيح الدين

الأمير معز الدولة

[ساخرا بحدة]

وهل من صحيح الدين أن يكفر المؤمن أخاه المؤمن يا.. يا خليفة المؤمنين؟!

الخليفة العباسى

يا أمير معز الدولة – المعتزلة يحالفونكم لا حبا ولا إيمانا بالمذهب الشيعى وإنما ليحتموا بقوتكم أمام قوة

الأمير معز الدولة

[يقاطعه بخشونة واضحة]

أمام قوة تعصبكم الأعمى ورفضكم العنيد لأية مذاهب أخرى أمام قوة إصراركم على الاتباع والتقليد وجهادكم الجهيد لغلق باب الاجتهاد والإبداع.

هنا يندفع رجلان يحمل كل منهما عدة رقع قماشية ممزقة بوحشية، أنفاسهما لاهثة والعرق يتصبب منهما بغزارة

الأمير معز الدولة

مرعوش.. ماذا هناك؟! فاضل.. ماذا حدث؟!

مرعوش وفاضل

[بأصوات متداخلة مرتعشة]

– الرقع المعلقة على مساجد بغداد – بأمركم يا مولانا

– العامة من السنة – مزقوها بوحشية

– وبتحريض من شيوخ السنة

الأمير معز الدولة

[فى ذروة غضبه]

شيوخ السنة!! يا مستكفى

الخليفة العباسى

[يغفر فاه بدهشة]

مستكفى!! هكذا يا أميرنا بلا...

الأمير معز الدولة

بلا ألقاب يا خليفة

الخليفة العباسى

[بصوت مرتعش]

يا أمير...

الأمير معز الدولة

ثلاثة من شيوخ السنة جاءوا مع الخليفة السنى إلى مجلسنا للتهنئة وعشرات من شيوخ السنة يندسون بين الغوغاء من عامة بغداد للتحريض ضد نظام الحكم الجديد، أليس كذلك يا خليفة؟!

الخليفة العباسى

بل ضد اللعنات السبع التى تجرح أحاسيس غالبية المسلمين من السنة

الأمير معز الدولة

عال! عال! يا.. يا خليفة المؤمنين هاأنت تكشف وبسرعة عن وجهك الحقيقى يا مستكفى [مناديا]

مرعوش! فاضل!

بسرعة يظهر الثنائى مرعوش وفاضل

الأمير معز الدولة

احملا هذا المستكفى بين أذرعتكما - بعد أن تجرداه من «هيلمان» الخلافة

الخليفة العباسى

حضرة جلالة الأمير، لا يصح هذا مع خليفة المسلمين

الأمير العباسى

احملا خليفة المسلمين وباحترام القيا به خارج بابنا وبدلا منه اختارا من بين أولاد المستكفى أضعفهم

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد التاسع والثلاثون

داخلى **نهار صيفى**

مــــرعوش وفاضــــل يحمــــلان على أذرعتهما شابا صغير السن مهزوز الشخصية وجسده يرتعش خوفا ورعبا..

الأمير معز الدولة

أهلا ومرحبا بمولانا الخليفة الــ.. الــ.. المطيع

الخليفة الجديد

[مرعوبا]

المطيع لمولانا الأمير معز الدولة

الأمير معز الدولة

حاشا لله، بل المطيع لله، هيا ألبسوا لمولانا - المطيع لله - عمامة وعباءة الخلافة.

مرعوش وفاضل يقومان بإلباس المطيع لله العمامة والعباءة ويجلسانه على الكرسى الذى كان يجلس عليه المستكفى

بحركة مسرحية الأمير معز الدولة يميل ليقبل يد الخليفة المطيع لله

الأمير معز الدولة

[باحترام وخشوع مصنوع]

مولانا المطيع لله خليفة المسلمين يدك المباركة لألمسها بشفتاى؛ بركة وتيمناً

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الأربعون

داخلى **بعد منتصف ليل صيفى حار**

عوده سريعة إلى شيراز، إلى مسكن التوحيدى مع الدويرى شبيه التوحيدى

الدويرى

[بأنفاس مبهورة]

يا له من صراع درامى عنيف

التوحيدى

[متسائلا]

صراع درامى؟!

التوحيدى

أقصد صراع دموى عنيف

التوحيدى

[يتنهد بصعوبة]

على صور هذا العنف الدموى تفتحت عيناى كصبى، وكمراهق أبدأ شبابى، اعتاد عقلى ووجدانى هذا الصراع الدموى، وفى ظل هذا المناخ العنيف والفاسد بدأ تكوينى العقلى و...

الدويرى

معذرة يا عمنا أبا حيان كفانا حكى وسرد المسرح صورة متحركة، فلتبدأ رحلتك بالقفز مباشرة إلى شبابك إلى الشاب الإنسان أبى حيان التوحيدى فى مشهد تلو المشهد

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الواحد والأربعون

خارجى **ليل ربيعى**

على صفحة نهر دجلة وشطيه – بغداد يوم الاحتفال بالنيروز – احتفالا ببداية العام الفارسى – عيد يماثل شم النسيم عيد الربيع فى مصر.

على شطى نهر دجلة، ترسو الحراقات والطيارات والسماريات والزبازب وغيرها مـن أنواع السفن والمراكب المعروفة فى عراق القرن ٤ هـ ولقد تفنن المترفون مـن أصحاب هذه السفن فى بنائها على هيئة الأسد، الفيل، العقاب، الفرس وغيرها من الحيوانات والطيور.

زلال أو سفينة الإمارة – على هيئة أسد ضخم مهيب تتصدر هذه السفن والمراكب والمضاءة مثلها – ببذخ يصل إلى حد السفه – بآلاف الشموع والمشاعل والقناديل الـتى يضـاء داخلها بقطع من القطن المغموس فى دهون وزيوت زكية الرائحة، وهناك مجامر ينطلق منها البخور بأنواعه وروائحه الذكية النفاذة.

أمـا صـفحة النهر فمقام عليها شبه خيمة كبيرة باتساع منطقة الاحتفال من النهر، والخـيمة مصـنوعة من حبال مضفورة لتشكيل شبكة ضيقة العيون ومنثور عليها كمـيات كبيرة من الورود والزهور على اختلاف ألوانها الزاهية. وتتدلى من حبال الشـبكة – الخـيمة قناديل – بداخلها أقطان مغموسة فى زيوت ودهون، ومضاءة كشموع أو مصابيح زيتيه.

مقابل هذا البذخ المستفز هناك قوارب صغيرة تسمى خيطيات تتكوم بداخلها جموع محتشـدة من عامة بغداد وتوشك أن تغرق بهم، وقد بدا فقر العامة المدقع بالمقارنة إلى السادة المترفين من عجم وبغداديين مستورين وهناك حشد من العامة، بغداديين وعجم منتشرون على شطى النهر وقد بدا فقرهم وبؤسهم الواضح.

الأمير معز الدولة على سطح الباخرة زلال

وعلـى جانبيه يجلس الخليفة العباسى المطيع لله ووزيره أبو محمد المهلبى، وخلفه يجلس أولاده الثلاثة – أمراء المستقبل [بختيار وإبراهيم ومحمد] وتتراوح أعمارهم ما بين الصبا والمراهقة – بالإضافة إلى بعض كبار الدولة من عجم وعراقيين.

علـــى أحـــد جانبى المشهد يقف شابان من العامة – فى السابعة عشر من العمر – إنهمـــا أبو بكر الخوارزمى وابن لنكك البصرى ومن حين لآخر نسمعهما يتبادلان حديثا هامسا، يعلقان همسا على وقائع احتفال النيروز.

مـــع بداية الاحتفال – يتقدم على الشاطئ حيث ترسو زلال باخرة الإماره – يتقدم رجـــل فارسى الطلعة والملبس ليقف فوق منصة خشبية مقامة على الشاطئ ليصبح فى مواجهة الأمير معز الدولة وبقية الحضور، إنه مشرف الاحتفالات.

مشرف الاحتفالات

[بصعوبة بالغة يحاول الكلام بالفصحى ولكن بلكنة عجمية فارسيه]

حضرة جلالة مولانا الأمير معز الدولة.. لقد شاءت السماء ورب السماء – مع السنة الأولى من حكم جلالتكم السعيد – شاء الله – عز وجل – أن تزداد مياه الأنهار فى دار السلام ببركة النيروز؛ فجاءت بشائر الفيضان المبارك

فى مقدمة المشهد أقصى أحد الجانبين يقف الشابان السابق ذكرهما

الشاب الأول

[هامسا بسخرية للثانى]

أراهنك يا ابن لنكك أن النظام الفارسى الجديد سيفرض علينا جميع احتفالاته الفارسية الدينية وغير الدينية؛ ليبرر مع كل احتفال استجباء الخراج من العامة ومصادرة الأموال من الأغنياء.

الشاب الثانى

[هامسا بقلق]

لا تضيعنا بكلامك هذا يا أبا بكر الخوارزمى

أثناء تعليق الشابين أبى بكر الخوارزمى وابن لنكك البصرى.

مشـــرف الاحـــتفالات مستمر فى حديثه بالإشارة وحركة الشفتين، وهاهو يواصل حديثه.

مشرف الاحتفالات

وهاهى الثمار فى الزروع والضروع – ثمار حكمكم السعيد – هاهى تطلع لتعلن حلول عيد النيروز المبارك أدام الله جلالة مولانا الأمير معز الدولة شعلة دائمة

الاشتعال، دائمة النور والنار. مولانا حضرة جلالة الأمير معز الدولة نستأذن جلالتكم لنبدأ المهرجان بمسابقة فى الشعر تقدم للاشتراك فيها ثلاثة من شباب الشعراء، فالشباب دائما موضع اهتمام أميرنا الشاب ورعايته الدائمة. دوام شبابه المتجدد دائما..

مشرف الاحتفلات ينظر فى أوراق بيده.

مشرف الاحتفالات

[مناديا باحتفالية]

فليتقدم أمام حضرة مولانا الأمير المتسابق الأول الشاعر الشاب - ابن سكره الهاشمى

ابن سكره الهاشمى - شاب فى العشرين من عمره تقريبا يتقدم ليقف على المنصة.

ابن سكره الهاشمى

[ينشد مرتجلا]

معز الدولة قابلك السعود

وعشت كما تريد لمن تريد

وأظهرك الإله على الأعادى

ومات بدائه فيك الحسود

أتاك العيد متقبلا جديدا

وجدك فى مقتبل سعيد

يهنى الناس بالأعياد فينا

وأنت لنا برغم العيد عيد

الأمير معز الدولة منتشيا بالمديح يصفق فيصفق الجميع خلفه

أبو بكر الخوارزمى

[هامسا لابن لنكك]

ابن سكره الهاشمى باع ضميره وروحه ويسخر قلمه فى مدح الأعجمى الغازى

مشرف الاحتفال وقد اتخذ مكانه فوق المنصة ليقدم المتسابق الثانى

مشرف الاحتفالات

والآن فليتقدم المتسابق الثانى، الشاعر الشاب عبد الله بن الحجاج.

يتقدم إلى المنصة عبد الله بن الحجاج تقريبا فى نفس عمر ابن سكره الهاشمى

عبد الله بن الحجاج

[ينشد مرتجلا]

سخر الله لمعز الدولة مطايا

لم تسخر لصاحب المحراب

فإذا ما ركابه سرن برا

سار فى الماء راكبا ليث غاب

سبحوا إذ راؤك سرت عليه

كيف لو أبصروك فوق العقاب

ذات زور ومنسر وجناحـ

ين تشق العباب بعد العباب

الأمير معز الدولة يصفق استحسانا فيصفق الحضور بآلية واضحة بعد الأمير

ابن لنكك البصرى

[هامسا فى دهشة]

غريب هذا الشعر على لسان بذىء لشاعر ماجن كابن الحجاج

أبو بكر الخوارزمى

[هامسا]

هذا الشعر قرأته لشاعر [محاولا التذكر] لا أذكر الآن اسمه للأسف

مشرف الاحتفالات يعود للمنصة ليعلن ويقدم المتسابق الثالث بينما ينظر فى أوراقه

مشرف الاحتفالات

والآن ثالث وآخر المتسابقين الشاعر الشاب إبراهيم ابن إسحاق الصابى.

الشـاعر إبراهـيم ابـن إسحاق الصابى تقريبا فى نفس عمر الشابين السابقين فى العشرين من عمره، يتقدم إلى المنصة.

إبراهيم الصابى

[ينشد مرتجلا]

أسعد معز الدولة بالنيروز
ما سجعت مطوقة على أعوادها
وافى وأنجز وعد عام أول
بميامن ستكر فى ميعادها
تهدى إليك به هدايا كلها
من راحتيك حقيقة استمدادها
فتمد كفا نحوها نشأت
على ارفاد أيدى الناس لا استرفادها
ولم يترك لى الدهر سوى
كافورة لم آل من إعدادها
وبديع أبيات إذا هى أنشدت
نفقت بضاعتها على نقادها
لو إننى مكنت من عينى التى
هى بعض حقك يا معيد رقادها
لسكبت كافورى بشحم بياضها
وكتبت أبياتى بذوب سوادها

الأمير معز الدولة يصفق استحسانا لفترة طويلة

جميع الحضور يصفقون من بعده بآلية واضحة ولفترة أطول.

أبو بكر الخوارزمى

[هامسا بسخرية]

هدية النيروز واجبة على الأمراء والسلاطين لا على الشعراء والفقهاء الفقراء.

ابن لنكك البصرى

[هامسا بقلق]

هذا يوم سهلت فى السنة للعبيد الإهداء للملوك لا العكس يا خوارزمى.

مشرف الاحتفالات وقد عاد إلى المنصة

مشرف الاحتفالات

حضرة جلالة مولانا الأمير معز الدولة فلتسمح لعبدكم مشرف الاحتفالات أن ينشدكم بيتا واحدا من شعره المتواضع [مازحا] خارج مسابقة الشعر [ينشد]

على العبد حق وهو لا شك فاعله

وإن عظم المولى وجلت فواضله

ثم يعود إلى تقديم فقرات الاحتفال

مشرف الاحتفالات

والآن وقد سمعنا لشعر الشباب فى نهاية الاحتفال جلالة مولانا الأمير الشاعر سيقرر اسم الشاعر الفائز فى المسابقة الشعرية، وسينعم عليه بمنحه مالية من فيض نهر كرم جلالته وقبل أن يبدأ سباق السباحة واحتفالا بالنيروز ستطلق الحراقات المعزية ببعض الألعاب النارية لإمتاع شعب الأمير الطيب

فــى الخلفــية تــنطلق كرات مشتعلة تحلق فى السماء، تصاحبها موسيقى صاخبة، وتهليل من عامة بغداد تستمر الألعاب النارية لفترة معقولة.

مشرف الاحتفالات

[يعلن باحتفالية]

والآن يأتى دور السباحة فى نهر دجلة، ولقد رأى مولانا الأمير معز الدولة – السباح الأعظم – رأى أن يبتكر سباقا طريفا بين السباحين المشتركين فى السباق من شباب دار السلام من فرس وعرب وترك، فكل سباح متسابق سيسبح فى دجلة قائما وعلى راحة يده اليسرى كانون من الطين بداخله حطب مشتعل تحت قدر به لحوم، ويستمر السباح المتسابق فى السباحة إلى أن ينضج اللحم فى قدرة ومن يصل أولا إلى شط النهر وقد نضج لحمه تماما سيتفضل مولانا الأمير معز الدولة بمنحه جائزة مالية والآن سينطلق النفير ليعلن بداية سباق السباحة.

مشرف الاحتفالات يشير بيده إشارة خاصة؛ فينطلق النفير ليعلن بداية السباق ويبدأ الســباق بــالفعل فى النهر تصاحبه موسيقى مناسبة.. مع انطلاق كرات نارية من الحــراقات. السباحون على صفحة النهر، يحمل كل منهم «كانونا» على راحة يده اليسرى وبداخل الكانون حطبا مشتعل تحت قدر من الطين المحروق.

عامـــة بغـــداد يهللون تشجيعا للسباحين العراقيين، والأعاجم الفرس يهللون تشجيعا للســباحين الفرس.. وبعض الترك يهللون تشجيعا للسباحين من الترك.. وفى نهاية الســباق... يصـــل إلـــى الشط سباح شاب عربى وفوق راحة يده اليسرى الكانون وبداخلـــه الحطب المشتعل تحت القدر.. السباح المتقدم أنفاسه لاهثة ونصفه العلوى عار تماما يقطر ماء ويرتدى سروال للسباحة – إنه أبو حيان التوحيدى فى شبابه – يميل إلى الطول وقوى البنيان – إنه فى السابعة عشر من عمره.

أبو بكر الخوارزمى

[مصعوقا يصرخ]

أبو حيان يشترك فى سباق ينظمه الغزاة؟! هذا ضد تعاليم إخوان الصفا وخلان الوفا!!

ابن لنكك البصرى يسارع بوضع يده على فم أبى بكر الخوارزمى ليسكته

مشرف الاحتفالات يتقدم ليرفع ذراع أبى حيان التوحيدى الفائز فى السباق

مشرف الاحتفالات

ما اسمك يا بطل؟!

أبو حيان

[يزهو واضح]

أبو حيان التوحيدى

مشرف الاحتفالات

[بنبره إعلامية]

البطل الفائز بالسباحة: الشاب البغدادى أبو حيان التوحيدى

عامة بغداد يرتفع تهليلهم وتصفيقهم

الأمير معز الدولة يصفق للفائز.. فيصفق الجميع من بعده بآلية معتادة

أبو بكر الخوارزمى

[هامسا بغيظ واضح]

لم يخبرنا ابن بائع البلح انه سيشترك فى النيروز

ابن لنكك البصرى

أبو حيان دائما يسعى لكسب أى مال يعيش به؛ فلنعذره!

أبو بكر الخوارزمى

[باحتقار واضح يغمغم هامسا]

ابن التوحيدى، لو رأى الطمع فى جحر فأر لدخله، ولو أتاه الدرهم من أست كلب لما غسله.

مشرف الاحتفالات

والآن سيتفضل الوزير أبو محمد المهلبى الوزير الشاعر سيتفضل بإعلان اسم الفائز بجائزة الشعر.

الوزير المهلبى

لقد رأى مولانا الأمير معز الدولة أمير شعراء زمانه، أن تمنح جائزة النيروز فى الشعر إلى الشاعر الشاب إبراهيم إبن إسحاق الصابى

ثم يلقى المهلبى بصرة من الدنانير إلى المشرف

الوزير المهلبى

ولقد تفضل جلالة مولانا الأمير بمنحه من الدنانير المعزية للشاعر الفائز

مشرف الاحتفالات وقد التقط «صرة» الدنانير يقدمها إلى إبراهيم الصابى باحتفالية.

مشرف الاحتفالات

جائزة مولانا أمير شعراء زمانه إلى الشاعر الشاب إبراهيم بن إسحاق الصابى

الأمير معز الدولة يهب واقفا ومن بعده يقف جميع من حوله إيذانا بانتهاء الاحتفال.. مشرف الاحتفالات يخاطب الجميع.

مشرف الاحتفالات

لقد وقف مولانا الأمير معز الدولة إيذانا بانتهاء الاحتفال أعاده الله عليكم وعلى مولانا الأمير بكل خير وعز وبركة و....

أبو حيان

[مصعوقا يزعق بعصبية]

وماذا عن جائزة سباق السباحة؟! أين جائزتى؟! حقى!!

مشرف الاحتفالات

جائزتك فى قدرك

أبو حيان

[بدهشة واضحة]

فى قدرى؟!

مشرف الاحتفالات

اللحم فى قدرك - جائزة فوزك فى سباق السباحة

أبو حيان التوحيدى - لا شعوريا - ينفجر فى عصبيه واضحة.

أبو حيان

[بعصبية واضحة]

اللحم فقط جائزتى؟!

ثم يتوجه بحديثه لسطح الباخرة زلال مخاطبا الأمير الذى يستوقفه صراخ أبى حيان التوحيدى.

أبو حيان

يا أمير معز الدولة، أعز الله دولتك المعزية لقد اشتركت فى سباق السباحة معتقدا أن هناك جائزة مالية منحة من فيض نهر كرم عزتكم المعزية أعزكم الله بكل عزيز [مجربا الاسترسال فى سجع متصل كأديب ناشئ] ونصركم على كل حاسد شرير و....

الأمير معز الدولة ينفجر ضاحكا فينفجر الجميع من حوله ربما سخرية من إندفاعة أبـى حـيان التوحيدى... الأمير يشير إلى الوزير المهلبى إشارة خاصة.. الوزير المهلبى يقذف «بصرة» صغيره تجاه أبى حيان - عامد متعمد أن تسقط «الصرة» تحت قدمى التوحيدى لا فى يده بالرغم من محاولات التوحيدى لالتقاطها.

الوزير المهلبى

[من خلال ضحكاته الساخرة]

هذه الدراهم المعزيه منحه للشاب البغدادى المتمرد الذى لا يقنع بالمقدر له فى قدره.

أبو حيان التوحيدى مصعوقا وقد شعر بالإهانة يتخشب فى مكانه وقد فغر فاه على اتسـاعه، وكست وجهه سحابه قاتمة من خيبة الأمل الممزوجة بالاكتئاب الواضح،

ويظــل هكذا لفترة إلى أن تهدأ ضجة وجلبة جموع حضور الاحتفال بعد انصراف الأمــير ومــن معه على بعد خطوات خلف ظهر أبى حيان يقف متربصا أبو بكر الخوارزمــى ومعــه ابــن لنكك البصرى.. يتابعان حركات وسكنات أبى حيان و «صــرة» الدراهــم مازالت تحت قدميه. أبو حيان التوحيدى بعد تردد واضح يعبر عــن صراع داخلى عنيف ينحنى ليلتقط «صرة» الدراهم. خلسة يلتقطها خشية أن يضــبطه أحــد، ثم يعتدل وقد شرد ذهنه، ثم يبدأ - لا شعوريا - بقذف «الصرة» ككرة صغيرة ما بين راحتى يديه أكثر من مرة.

أبو بكر الخوارزمى

[بأسى لا يخلو من سخرية]

هاهو زميلنا فى جماعة إخوان الصفا، يلتقط الدراهم من أست الغازى العجمى.

ابن لنكك البصرى

فلتعذره يا خوارزمى لعله مفلس حتى الجوع

أبو بكر الخوارزمى

أبو حيان التوحيدى عار على الإخوان والخلان، لابد من طرده من جماعتنا.

ابن لنكك البصرى يجذب أبا بكر الخوارزمى ليخرجا دون أن يشعر بوجودهما أبو حيان.

على بعد مناسب الشاعران بن الحجاج وابن سكره الهاشمى يحيطان بالشاعر الفائز إبراهــيم الصابى، ثلاثتهم يتبادلون الحديث المازح الضاحك... أبو حيان التوحيدى فجأة يكف عن اللعب «بصرة» الدراهم وقد أفاق من شروده يتنهد بعمق ليفيق أكثر ثم فجأة ينفجر ضاحكا ضحكات عصبية

أبو حيان

[متفلسفا من خلال ضحكات عصبية]

الإنسان بشر، بنيته متهافتة.. طينته منتثرة..

ثــم يقــذف «الصرة» لأعلى ثم يقفز هو عاليا ليلتقط «الصرة» قبل سقوطها على الأرض؛ فتلهث أنفاسه.

أبو حيان

[يكمل فلسفته من خلال أنفاسه اللاهثة]

وحاجته هاتكة

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الثانى والأربعون

خارجى **ليل ربيعى**

نفس المكان – بعد أن انصرف جمهور الاحتفال.. أبو حيان التوحيدى مفترشا الأرض بمفرده وقد عاد ليغرق فى شروده.. وسحابة الاكتئاب على وجهه. على مسافة بعيدة من أبى حيان ما يزال الشعراء الثلاثة إبراهيم الصابى، وعبد الله بن الحجاج وابن سكره الهاشمى.. يتبادلون حديثا مازحا تتخلله ضحكاتهم

أبو حيان

[يغمغم بأسى]

لحا الله الفقر.. الفقر حائل بين المرء ودينه! سد دون مروءته وعزة نفسه.

ثلاثى الشعراء وقد تحركوا على الشط فى طريقهم للانصراف يمرون على أبى حيان يتوقفون عنده ويمطرونه بكلماتهم المتلاحقة

إبراهيم الصابى

أبا حيان.. أهنئك على فوزك فى سباق السباحة

ابن سكره الهاشمى

وهنيئا مرئيا اللحم فى القدر

عبد الله بن الحجاج

متى وأين وكيف تعلمت السباحة يا أبا حيان ؟!

أبو حيان وقد أفاق من شروده وبسرعة يطرد همه الداخلى بالانطلاق ضاحكا مازحا

أبو حيان

[مازحا مجلجلا بضحكاته]

أنا والله منذ صباى، بل منذ طفولتى بل وقبل ولادتى وأنا أسبح من الضفدع والتنين.

الشعراء الثلاثة يضحكون لمزاح أبى حيان.. أبو حيان التوحيدى يواصل مزاحه بالإشارة بيديه وساقيه وتعبيرات وجهه وكأنه ممثل

أبو حيان

[مواصلا مزاحه]

أعرف من السباحة أنواعا لم يحسنها قط.. سمك أو بط. وكان أستاذى فى جميعها ابن الزنابيرى.

يضحك الأربعة ضحكات صاخبة

أبو حيان

إبراهيم - هنيئا لك جائزة الشعر

إبراهيم الصابى

[يحمر وجهه خجلا]

شعر المناسبات أسوأ أشعارى!

ابن الحجاج وابن سكره

[معا فى صوت واحد]

ها أنت تعترف يا صابى

ابن الحجاج وابن سكره يحاولان اختطاف صرة الدنانير من إبراهيم الصابى

ابن الحجاج وابن سكره

الجائزة إذن ليست من حقك!!

إبراهيم الصابى لا يمكنهما من صرة الدنانير

ابن سكره

ومع ذلك خصك الأمير معز الدولة بالجائزة

أبو حيان

[مازحا فى سخرية]

وما علاقة معز الدولة - أمير شعراء زمانه - بالشعر ؟!

يضحك ابن الحجاج وابن سكره.. مع تحفظ إبراهيم الصابى فلا يشاركهما الضحك

إبراهيم الصابى

[هامسا بقلق]

حاذر يا أبا حيان من لسانك

أبو حيان

أنا لا أمزح! جادا أسألك ما علاقة الأمير معز الدولة - بالشعر والشعراء ؟

إبراهيم الصابى

[بقلق أكثر]

لسانك يا أبا حيان صنه وإلا أوقعك حصانك فى شر أقوالك

أبو حيان

ماذا دهاك يا إبراهيم ؟! أتخشى أن تكون لدجلة أذان تتجسس علينا ؟!

ابن سكره

[بمغزى خبيث]

ابن إسحاق الصابى يدافع عن قريبه الأمير الأعجمى

إبراهيم الصابى

[كالملدوغ]

الأمير الأعجمى قريبى ؟!

ابن سكره

ولهذا خصك بالجائزة دونا عنا نحن أولاد البلد

إبراهيم الصابى

[ينفجر غاضبا]

وهل أنا أعجمى يا ابن سكره الهاشمى ؟!

أبو حيان

لا يا إبراهيم، ابن سكره لا يقصد

إبراهيم الصابى

[يقاطعه بحدة]

أنا عراقى يا ابن الهاشمى.. ابن إسحاق الصابى العراق بلده.. وطنى الأم.. أنا لا أعيش فى العراق فحسب بل العراق يعيش فى أبا عن جد منذ قديم الزمان.

ابن سكره

[مواصلا خبثه الشرير]

تقصد قبل غزو العرب للعراق يا.. يا ابن إسحاق!!

أبو حيان

[بحدة]

فلتسكت يا ابن سكره، لا تشعل بخبثك الأصفر نار الخلاف بين أصدقاء عمر
[للصابى] إبراهيم الـــ.. الهاشمى لا يقصد، إنه يمزح معك.

إبراهيم الصابى

فليمزح كما يشاء بعيدا عن أمر حساس كهذا

أبو حيان

ابن سكره، فلتعتذر لصديقنا إبراهيم

ابن سكره

أنا ابن الهاشمى أعتذر لابن إسحاق ؟!

إبراهيم الصابى

[بخشوع يتلو آية قرآنية]

«إن الذين أمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين
أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة»

الثلاثى عبد الله بن الحجاج وابن سكره والهاشمى وأبو حيان معا بصوت واحد

الثلاثى

صدق الله العظيم

أبو حيان

العراقيون جميعا نسيج واحد مهما اختلفت عقائدنا ودياناتنا

ابن سكره

إبراهيم! معذرة! تحفظ القرآن [مازحا] لماذا إذن لا تدخل دين الـــ...

أبو حيان

فلتخرس يا ابن الهاشمى

إبراهيم الصابى

لو أراد ربك لوحد الأديان

ابن سكره

كنت أمزح معك يا إبراهيم اكرر اعتذارى صادقا

إبراهيم الصابى

لا عليك، لا داع للاعتذار المهم أن نطرد الأفكار المظلمة التى يزرعها الغازى الأعجمى فى رؤوس بعضنا، يفرقنا ليسود، والآن استأذنكم

أبو حيان

فلتبق معنا يا إبراهيم لنحتفل الليلة بفوزك كشاعر

ابن الحجاج

وبفوزك كسباح يا أبا حيان وعلى حسابكما معا نقضى الليلة حتى الصباح فى إحدى الحانات الماخورية فى حى الكرخ.

أبو حيان

[مازحا]

دراهمى المعزية تحت أمركم الليلة حتى آخر درهم، ماذا قلت يا إبراهيم ؟

إبراهيم الصابى

ودنانيرى المعزية تحت أمركم ولكن فى ليلة أخرى، فالليلة أنا عائد إلى ديوان الرسائل فى قصر مولانا الخليفة المطيع لله؛ لأحرر بعض الرسائل

أبو حيان

وما علاقتك برسائل المطيع لله ؟!

إبراهيم الصابى

أنا أعمل كاتبا فى ديوان الرسائل

أبو حيان

شاعر وتعمل ؟!

إبراهيم الصابى

لأكسب قوتى

أبو حيان

تعمل لتقتل الموهبة التى خصك بها الله كشاعر

إبراهيم الصابى

لابد أن نعمل يا أبا حيان لنواجه الحياة ومطالبها القاسية

أبو حيان

لا ولن أقتل بالعمل موهبتى كأديب

ابن الحجاج

[مازحا بسخرية]

أديب بلا أدب حتى الآن

أبو حيان

[بحدة]

قريبا يا ابن الحجاج ستقرأ أدبا للأديب أبى حيان التوحيدى! أشعر فى أعماقى إننى مشروع أديب عبقرى! الأديب فى مرحلة التكوين الثقافى والفكرى ولن أشغل نفسى بأى عمل يعطلنى عن مداومة ارتياد المجالس الأدبية فى وكالة الوراقين وغيرها، ولا و لن اعمل ويوما ما سأعيش حياتى من عائد إبداعى كأديب

ابن الحجاج

[ساخرا]

تعيش من عائد إبداعك ؟! فى هذا الزمان ؟! فى هذا العراق ؟!

إبراهيم الصابى

أنا شخصيا أعمل كاتبا فى ديوان الرسائل منذ عامين

ابن الحجاج

وأنا منذ عامين أبحث عن عمل أى عمل؛ لأعيش منه، بلا جدوى

إبراهيم الصابى

والليلة بعد الاحتفال بشرنى أستاذى الوزير أبو محمد المهلبى بان مولانا الأمير معز الدولة قد وقع اختياره على رئيسا لديوان رسائله.

ابن سكره

[بحقد واضح]

طبعا يختارك رئيسا لديوان رسائله بعد أن جعلت من عينيك محبرة ومن ذوب سوادها حبرا لتمدحه شعرا

إبراهيم الصابى

شعر المناسبات دائما روحه الافتعال و....

التوحيدى وقد استشعر إمكانية عودة التوتر بين ابن سكره وإبراهيم الصابى فيقرر التدخل.

أبو حيان

فلتسكت يا ابن سكره ولا تضيع علينا الوليمة التى سيقيمها لنا فى بيته صديقنا إبراهيم احتفالا بالترقية رئيسا لديوان الرسائل

إبراهيم الصابى

أهلا ومرحبا يا أبا حيان فى أى وقت وبدون ترقية - فلتحدد اليوم الذى يناسبك لزيارتى فى بيتى - ضيفا كريما مكرما

ابن سكره

[بخبث متأصل]

أبو حيان.. فقط ؟!

إبراهيم الصابى

[بمغزى خاص]

بيتى مفتوح لكل عراقى لا يشكك فى عراقة عراقيتى

أبو حيان

[مازحا ليمنع أى توتر محتمل]

بعد الوليمة سأتحداكم جميعا فى لعب الشطرنج

إبراهيم الصابى

اتفقنا.. بعد إذنكم

إبراهيم الصابى يتحرك مبتعدا... أبو حيان يستوقفه

أبو حيان

إبراهيم، فى وكالة الوراقين صباح الغد.. أكثر من منتدى وأكثر من مناظرة لكبار شيوخ وأساتذة بغداد، لماذا لا نلتقى هناك ؟!

إبراهيم الصابى

[متفكرا لفترة]

اتفقنا يا أبا حيان، سألقاك صباح الغد، هناك أكثر من سؤال دائما يلح على

خاطرى وأبحث له عن جواب، قد أجده فى وكالة الوراقين، فإلى الغد صباحا..

حوالى العاشرة

إبراهيم الصابى يترك الزملاء الثلاثة

أبو حيان

[يعود للمزاح]

والآن يا ابن الحجاج.. وأنت يا ابن سكره.. تعاليا هنا وأخبرانى.. كيف أمكنكما ارتجال الشعر أمام الأمير دون أن تجرحا أذنى جلالته بسخافات مجونكما الداعرة؟!

ابن الحجاج

[هامسا بحرج شديد]

أمام الأمير انتحلت لنفسى قصيدة مطلعها :

سخر الله لمعز الدولة مطايا

أبو حيان

[بسرعة يكمل البيت]

لم تسخر لصاحب المحراب

أبو حيان التوحيدى مازحا يمسك بتلابيب ابن الحجاج

أبو حيان

يا لص الأشعار! تلك قصيدة أبى نواس مدح بها الأمين، وأنت يا ابن سكره الهاشمى، أى شاعر كان ضحية لصوصيتك ؟!

ابن الحجاج

كفانا من الشعر وسرقاته وهيا بنا يا أبا حيان إلى إحدى الحانات الماخورية فى الكرخ لنشرب ونطرب احتفالا بـــ... بدراهمك المعزية

ابن سكره

[بخبث]

جائزة فوزك فى سباق السباحة

أبو حيان التوحيدى تصدمه الكلمات وتذكره بالإهانة فتفارقه روحه المازحة

أبو حيان

لا مانع عندى، ولكن الليلة أنا مرهق بعد السباق والكانون المشتعل يثقل يسارى، لابد أن أنام الليلة مبكرا؛ لاستيقظ مبكرا، لأتابع الندوات والمناظرات فى وكالة الوراقين، عن إذنكما

ابن الحجاج

[بحدة ساخرا]

فلترد بعضا من دعواتنا لك يا - يا ابن التوحيدى

أبو حيان التوحيدى يزداد اكتئابه

أبو حيان

[بحدة]

أنا لا أنسى دينا فى عنقى يا ابن الحجاج ولكن ليست الليلة، عن إذنكما.

أبو حيان التوحيدى يتحرك مبتعدا عنهما..

ابن سكره

طريقك نفس طريقنا يا أبا حيان

أبو حيان

سأركب حمارا لدرب الزعفران

ابن سكره

[ساخرا]

درب كبار التجار

أبو حيان

[لا يرد]

عن إذنكما

ويواصل طريقه مبتعدا عنهما

ابن سكره

[ينفجر ضاحكا]

ابن بائع بلح التوحيد يصر على أن يوهمنا بأنه ابن تاجر كبير مسكنه فى درب الزعفران

ابن الحجاج

[مشاركا فى السخرية]

ودائما يردد بأنه فى غن عن العمل

ابن سكره

حفاظا على موهبته كأديب

ابن الحجاج

الأحمق الواهم يتوهم أننا لا نعرف كل صغيرة وكبيرة عن حقيقة من يكون أبو حيان التوحيدى

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الثالث والأربعون

خارجى **نفس الليلة الربيعية**

أحـــد الميادیـــن الشـــعبیه المزدحمة حيث يقف المكاريون بحميرهم لتأجيرها لمن يطلبها.. إنه موقف الحمير أو حضرة المكاريين..
أبو حيان التوحيدى يتجه قاصدا موقف الحمير وعندما يقترب من موقف الحمير.. فجـــأة يتصـــنع أنه أعمى يتحسس طريقه بعصا فى يده يندفع إليه أكثر من مكارى لاصطياده كزبون.

أصوات المكاربين

[بأصوات متداخلة]

حمار يا محترم! يا محترم حمار! حمار محترم يا محترم!

أبو حيان

لا أريد أكثر من حِمار يا حَمَار

يندفع أحد المكاربين ليمسك بيد أبى حيان

أحدهم

حمارى الأفضل يا محترم، تعالى يا ولدى لأساعدك على الركوب

أبو حيان

لا تمسك بيدى يا أعمى

المكارى

أنا الأعمى يا.. يا محترم ؟!

أبو حيان

أنا أرى بوضوح طريقى إلى ظهر حمارك يا حمار

المكارى

والمحترم.. بإذن الله إلى أية جهة فى بغداد.. ذاهب ؟!

أبو حيان

حمارك سيعرف وجهتى بإذن الله بمجرد أن أمتطى ظهره

وفجأة يقفز كالبهلوان فوق ظهر الحمار

أبو حيان

هيا يا حصاوى إلى حيث أريد أن أذهب

المكارى

والمحترم، إلى أين يريد أن يذهب بإذن الله

أبو حيان التوحيدى

يا حمار.. بإذن الله.. لا تتدخل بينى وبين الحمار، شى حا.. حا شى

المكارى يسير خلف حماره..

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الرابع والأربعون

خارجى **نفس الليلة الربيعية**

شارع من شوارع بغداد.. فى صدر القرن ٤ هـ

أبـو حيان التوحيدى.. فوق الحمار الهزيل، المتكاسل.. بالعصى يحثه على السير.

المكـارى مـن خلـف الحمار يتصنع لهاث أنفاسه بالجرى محلك سر تقريبا خلف الحمار

المكارى

[من خلال أنفاسه اللاهثة]

قلبى مع قلب والديك يتقطع لفقدانك البصر يا ولدى

أبو حيان

[بنفاذ صبر]

شى حا.. لا تشفق على يا حمار.. حا شى، أشفق على حمارك العثار الشفار هذا، اعلفه جيدا

المكارى

[مفاخرا]

حمارى يا محترم – يجرى تحتك كجواد سبوح مروح طموح

أبو حيان

[يغيظ يحث الحمار]

حا شى، شى حا

المكارى

[مفاخرا]

حمار [مستدركا] **جوادى يا محترم، سليل ريح لقحت من برق**

أبو حيان

شى حا.. أرى أنك حمار حا شى، إنك تنهـ.. [مستدركا] تتكلم وكأنك أديب، حا شى أو على الأقل مشروع أديب

المكارى

أنا شاعر يا محترم.. وإليك مطلع قصيدتى التى أمدح فيها حما..

[مستدركا] **جوادى**

[منشدا]

مكر مفر مقبل مدبر معا

كجلمود صخر حطه السيل من عل

أبو حيان

[فى ذروة نفاذ الصبر]

حا شى شى حا.. جوادك حمار أسود اللون

المكارى

أعمى وترى لون حما.. [مستدركا] **جوادى ؟!**

أبو حيان

حا شى، شى حا.. جوادك حمار حصاوى هزيل.. حا شى، قربة بالية شى حا، زق دبس، حا شى

المكارى

حمارى جواد [منشدا]

له ذنب مثل ذيل عروس

يسد به فرجه من دبر

أبو حيان

حمارك عروس ؟! حا شى.. شى حا

المكارى

حما... جوادى أشفر كالشهاب، أشهب كالسراب

أبو حيان

شهاب! سراب! لماذا إذن أرى نفسى راكبا أتمايل على حمارك كأننى خليفة الدجال شى حا، حا شى.. شى حا

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الخامس والأربعون

خارجى **نفس الليلة الربيعية**

أمـــام درب الحاجـــب درب فى أحد الأحياء الشعبية ببغداد - صدر القرن ٤ ق.. الحمار قد توقف أمام درب الحاجب وبرك على الأرض منهكا

أبـــو حـــيان التوحـــيدى ما يزال فوق ظهر الحمار.. المكارى يتصنع تقطع أنفاسه ويسقط على الأرض خلف مؤخرة حماره.. المكارى يضرب مؤخرة الحمار بعصا في يده..

المكارى

[بأنفاس متقطعة]

ها شى - شى ها

أبو حيان

يا حمار لماذا تضرب الحمار وقد توقف تماما أمام درب الحاجب حيث أسكن؟!

المكارى

وصلت إذن ؟!.. إذن إلى بالأجرة يا محترم

أبو حيان

أجرتك أم أجرة الحمار ؟!

المكارى

[بنفاذ صبر]

أجرتنا معا، وكفاك مناكفة معى يا.. يا أعمى

أبو حيان التوحيدى يقفز كالبهلوان عن ظهر الحمار البارك على الأرض.

أبو حيان يفتح عينيه ويتحرك كبصير.

المكارى

أنت لست أعمى يا.. يا أعمى ؟!

أبو حيان

ولماذا تريدنى أعمى يا حمار ؟!

المكارى

أنا لا أريد سوى الأجرة يا محترم

أبو حيان التوحيدى يفك صرة الدراهم ويقدم له بعض الدراهم.

المكارى يعد الدراهم ويصاب بالدهشة

المكارى

خمسة دراهم دفعة واحدة أجرة لحما.. لجوادى يا محترم ؟!

أبو حيان

بل ثمنا لحمارك الهزيل

المكارى

أنا لا أنوى بيع حمارا.. يعولنى أنا وأولادى السبعة وأمهم

أبو حيان التوحيدى يستدير ليدخل الدرب

أبو حيان

الحمار سيبيعك ويتبعنى

ثم يبدأ أبو حيان النهيق كالحمار..

الحمـــار - مع سماع النهيق - يطرطق أذنيه ويهب واقفا ليتبع أبا حيان مع ارتفاع نهيقه ليمتزج بنهيق أبى حيان المتصاعد.

المكارى كالمجنون يحاول الإمساك بحماره.. الحمار يرفس المكارى..

المكـــارى يسقط على الأرض متألما مع ارتفاع نهيق كل من أبى حيان والحمار...

المكـــارى يقـــف متألما ليجرى خلف حماره الذى يسير خلف أبا حيان مع تصاعد النهيق المزدوج.

[[تلاشي سريع]]

****

المشهد السادس والأربعون

خارجى **صباح نهار اليوم التالى**

أمـــام دكان بقال فى درب سكة الجوهرى بجوار مسكن التوحيدى، بغداد القرن ٤ هـــ.

أبو حيان التوحيدى وقد تأبط بعض الأوراق يمر على باب دكان البقال يتوقف

أبو حيان

صباح الخير يا عمنا كسج كريم الله

البقال

[ببرود مقصود]

صباح الخير يا.. يا أبا حيان

أبو حيان يمد يده إلى البقال ببعض الدراهم

أبو حيان

خذ يا عمنا.. هذه الدراهم خصما من حسابى

البقال

حسابك طال واستطال يا ابن التوحيدى، ماذا تريد يا ابن صاحبى ؟!

أبو حيان

[بحرج واضح]

ما.. ما يجود به عمنا كريم الله ما يلزم لوجبة واحدة.. اعتدت أن أكتفى بها اليوم بطولة

البقال

[بشفقة واضحة]

وبعد هالك يا.. يا ولدى

أبو حيان

قريبا ستفرج يا عمنا

البقال

مبكر اليوم!! ذاهب للبحث عن عمل ؟!

أبو حيان

الـــ.. الحقيقة يا عمنا ذاهب إلى وكالة الوراقين

البقال

لتعمل بها ؟!

أبو حيان

لـــ.. لأحضر مناظرة أدبية بين كبار شيوخ وأساتذة بغداد

البقال

[ساخرا]

سيقدمون لك وجبة طعام ؟

أبو حيان

[مازحا]

وجبة ثقافية لعقلى لا لمعدتى يا عمنا

البقال

أراك تتأبط شرا كعادتك

أبو حيان

بل ورقا وكتبا و...

البقال

لماذا لا تعطينى كل ما عندك من كتب

أبو حيان

لتقرأها يا عمنا؟

البقال

لأطرحها فى دن

أبو حيان

دن ؟!

البقال

وأصب عليها ماء، كل عشرة كتب أصب عليها أربعة مكاييل ماء، أغليها فى الدن وأحركها ثم أتركها فترة كافية؛ لتصبح نبيذا معتقا أبيعه لأمثالك من الواهمين يا ابن صاحبى

أبو حيان

صدقنى يا عمنا كريم الله، منذ صباى وأنا أعمل بنصيحتك هذه

البقال

تعتق كتبك فى دن؟!

أبو حيان

فى عقل رأسى أعتقها

البقال

وتخلطها بالماء؟!

أبو حيان

بما يلزمها من خيال أخلطها

البقال

ثم تغليها ؟!

أبو حيان

وأقلبها فى عقل رأسى حتى تصبح نبيذا معتقا من الفكر والثقافة و...

البقال

[بغيظ واضح يقاطعه]

والله، والله لولا صداقتى لأبيك - رحمة الله عليه - لما صبرت عليك ولما أعطيتك مقابل جميع كتبك زيتونة ضامرة

أبو حيان

عمنا كريم الله، يوما ما سأصبح أديبا كبيرا، يومها [مازحا] ستسعى إلى أعتابى الأدبية، وقتها سأسمح لك بالدخول إلى حضرتنا المبدعة؛ فقط لأنك كنت صديقا للمرحوم التوحيدى والد أديب زمانه أبى حيان

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد السابع والأربعون

خارجى **صباح ربيعى مشمس**

وكالة أو سوق الوراقين، بغداد فى صدر القرن ٤ هـ

ساحة متسعة تضم العديد من حوانيت الوراقين والنساخين المتجاورة لحد الالتصاق، وأمام كل حانوت منضدة للنسخ يجلس خلفها الناسخ لينقل عن الأصل المرفوع يساره على حامل خشبى وأعلى كل منضدة معلق على جدار الحانوت مصباح يضىء بالنفط، ونوره ضعيف.. هناك العديد من النساخين – ما بين شيخ وشاب – يمارسون عملهم فى صمت وهدوء، من بين النساخين هناك **أبو سليمان المنطقى..** واحد من أهم شيوخ وأساتذة أبى حيان التوحيدى.. إنه شيخ قد تجاوز الأربعين من عمره – أعور وأبرص كما سبق أن رأيناه – إنه يعد نفسه للنسخ.

القاضى أبو حامد المروروذى..شيخ فوق الأربعين من عمره، وهو أيضا واحد من شيوخ وأساتذة أبى حيان التوحيدى، عن يمين ويسار أبى سليمان المنطقى هناك أكثر من ناسخ منصرف تماما إلى عمله عن يمين أبى سليمان مباشرة هناك

أبو سعيد السيرافى شيخ فوق الأربعين من عمره.. وهو الشيخ والأستاذ الأول لأبى حيان التوحيدى منذ صباه، إنه منصرف تماما إلى عمله كناسخ

وعن يسار أبى سليمان هناك **أبو بكر القومسى الفيلسوف..** شيخ فى الثلاثين من عمره ويمارس مهنة النسخ؛ ليكسب قوته مثل الشيخين أبى سليمان وأبو سعيد السيرافى.

وغير هؤلاء هناك آخرون ما بين شاب وشيخ منصرفون تماما فى عملهم فى النسخ أبو سليمان المنطقى يرحب بضيفه مع استمراره فى الإعداد لبدء عمله كناسخ.

أبو سليمان

أهلا ومرحبا بصديقى القاضى أبا حامد المروروذى

أبو حامد

أهلا بك يا شيخ أبا سليمان

أبو سليمان

أية ريح طيبة ألقت بك اليوم يا صاحبى ؟

أبو حامد

أوحشتنى يا أبا سليمان، مشتاق والله للحديث معك والاستماع إلى محاوراتك الشهيرة مع مريدينك وتلاميذك فى وكالة الوراقين.

أبو سليمان

حضورك يا صاحبى لوكالة الوراقين زادها نورا

أبو حامد

على نور أبى سليمان

أبو سليمان

ليتك تزورنا دائما بالليل فضوء هذه المصابيح يوشك أن يفقدنا ما تبقى لنا من بصر

أبو حيان

سلامة عيونك يا أبا سليمان

القاضى أبو حامد يمد يده بكتاب منسوخ

أبو حامد

كتبت رسالة حول ما جرى يوم السقيفة

أبو سليمان وقد أخذ الكتاب منه، يقلب أوراقه وقد قربه جدا من عينيه ثم يبتسم

أبو سليمان

[من خلال ابتسامته]

وتريدنى أن أنسخها لك

أبو حامد

لو تفضل الشيخ وقبل

أبو سليمان

[بعتاب لا يخلو من امتنان]

لتساعدنى على المعيشة

أبو حامد

حا شا لله، عفوا يا شيخ

أبو سليمان

بارك الله فى نبلك وكرم أخلاقك يا أبا حامد

أبو حامد

يا شيخ.. أنا..

أبو سليمان

لا تحاول الإنكار! حقيقة ما جرى يوم السقيفة.. هذه الرسالة سبق أن قرأتها واستمتعت بقراءتها ثم نسختها لك و...

أبـو سـليمان يقع بصره على الشابين أبى حيان التوحيدى - وإبراهيم بن إسحاق الصابى يقتربان من مجلسه مع القاضى أبى حامد.

أبو سليمان

[يكمل كلامه]

وهاهو قادم من اختلس مخطوطة رسالتك ليقرأها فى ليلة واحدة

أبو حامد

[يقلق خفى]

أبو حيان التوحيدى!

أبو سليمان

تلميذى المتعطش منذ صباه للقراءة

أبو حامد

[يتضح قلقه]

ولكن ما كان يجب..

أبو سليمان

[يقاطعه مطمئنا]

اطمئن يا أبا حامد أبو حيان تلميذى ومطمئن لميوله الفكرية والدينية

أبو حامد

وأيضا تلميذى، ودائم الملازمة لى ولكن الحرص واجب فى أيامنا هذه يا أبا سليمان

وقد اقترب الشابان تماما لمجلس الشيخين

أبو حيان

صباح الخير، شيخى وأستاذى أبا سليمان، من ؟! القاضى أبو حامد.. شيخى وأستاذى هنا فى وكالة الوراقين.. أهلا ومرحبا..

إبراهيم الصابى

صباح الخير يا شيخنا أبا سليمان سعيد بمقابلة شيخنا القاضى أبا حامد

أبو سليمان

أهلا ومرحبا بشباب العلم والمعرفة

أبو حيان

بعد إذن شيوخنا الأفاضل اسمحا لى أن أقدم لكما شاعرا شابا

أبو سليمان

إبراهيم بن إسحاق الصابى.. أعرفه وسمعت جانبا من شعره

أبو حيان

[بغيرة واضحة]

قريبا سأسمع شيخى جانبا من نثرى، وربما شعرى أيضا

أبو سليمان

[مشجعا]

أهلا ومرحبا بشعراء وكتاب المستقبل، اجلسا يا أولادى

هـنا يكـون قـد تقاطـر جمع من شباب وطلاب العلم والمعرفة والأدب ليشكلوا مجموعـات ثـلاث حـول.. أبا سليمان المنطقى.. وأبا سعيد السيرافى.. وأبا بكر القومسى... وفى نفس الوقت يتسلل إلى ساحة وكالة الوراقين.. شيخ فارسى ومعه ثلاثـة شـبان.. يـتجولون فى الساحة بشكل مريب وفى النهاية يتعمدون الوقوف بالقـرب مـن المجموعة الملتفة حول أبى سليمان المنطقى بقصد التنصت على ما يدور من أحاديث

أبو حامد

ها قد اكتملت الدائرة السحرية حولك يا أبا سليمان – فلتمتعنا – فلتجدد شبابنا بمحاورة من محاوراتك الشهيرة فى وكالة الوراقين.

أبو سليمان

[بنشوة]

هيا يا شباب – فليفتح أحدكم حلقتنا السحرية هذه بسؤال يؤرقه

إبراهيم بن إسحاق الصابى بعد تردد

إبراهيم الصابى

شيخنا أبا سليمان أخشى أن نعوقك عن عملك

أبو سليمان

النسخ، حرفة الشؤم هذه توشك أن تقصف عمرى قبل أوانه، ولكن ما علينا، أنا أود أن أقضى ما تبقى لى من عمرى فى الحديث فى الحوار مع الشباب لأجدد شباب عقلى، فلتسأل سؤالك يا إبراهيم

إبراهيم الصابى

الشعر أم النثر..! أيهما أفضل ؟!

أبو حيان

[مازحا]

النثر طبعا.. ونثرى أنا بالذات أفضل من الشعر

يضحك الشيخ أبو سليمان وبقية الحلقة

أبو سليمان

النثر أشرف جوهرا .. والشعر أشرف غرضا

أبو حيان

[مازحا]

وحيث أن الجوهر أبقى من العرض إذن فالنثر...

هنا يقتحم الشيخ الفارسى حلقة الحوار فجأة

الشيخ الفارسى

[مقاطعا أبا حيان]

وأى الشعوب أفضل؟!

يفاجأ الجميع بهذا الاقتحام فتحدث ردود فعل مختلفة

أبو سليمان

[بحدة]

هكذا يا هذا.. تقتحم حلقتنا ؟

أبو حيان

[بغيظ]

وتقاطعنى بدون استئذان ؟

أبو سليمان

وتفرض علينا سؤالك بدون سابق إنذار ؟!

الشيخ الفارسى

[ببرود وبلادة]

بعد إذنك يا شيخنا.. أى الشعوب أفضل ؟!

أبو حيان

[مستفزا يصيح غاضبا]

والله! لقد استحال الحال عجما

أبو سليمان

فلتهدأ يا..

أبو سليمان يحجم عن ذكر اسم أبى حيان خوفا عليه من الشيخ الفارسى وقد شعر بحقيقة شخصيته الغامضة

الشيخ الفارسى

[بنبرة تهديد خفية]

فلتهدأ يا.. يا أبا حيان يا توحيدى لنسمع رأى شيخك وأستاذك أبا سليمان، أى الشعوب أفضل؟!

أبو سليمان

إن الشعوب كلها تقاسمت الفضائل والنقائص باضطرار الفطرة واختيار الفكرة

الشيخ الفارسى

[بسخرية للاستفزاز]

وأية فضائل للعرب أكلة اليرابيع والجرذان والحيات ؟!

هـنـاك غضـب متصاعد من جانب شباب الحلقة بقيادة أبى حيان التوحيدى.. أبو سليمان يشير إليهم ليلزموا الهدوء

أبو سليمان

الزموا الهدوء يا شباب سأرد على صاحبنا الفارسى بما يمليه المنطق الصحيح

الشيخ الفارسى

[يسارع بالهجوم عن قصد]

العرب قوم دائما يتعاورون ويتساورون ويتهاجون ويتفاحشون وكأنهم قد سلخوا من فصائل البشر ولبسوا أهب الخنازير

هـنا يهب أبو حيان التوحيدى ومعه شباب الحلقة ويهمون بالانقضاض على الشيخ الفارسى.

أبو سليمان المنطقى يشير إليهم الالتزام والهدوء.. أبو حيان التوحيدى ومعه شباب الحلقة يستجيبون احتراما لأبى سليمان.

أبو سليمان

[فى ثورة خفية]

هذا جهل وحيف يا فارسى فالعرب رحمك الله أحسن الناس حالا

الشيخ الفارسى

الفرس أفضل من العرب بل وأشرف بدليل تقدمنا وعزنا وعلو مكاننا.. إن الله أفاض علينا النعم ووسع علينا وأنعمنا أترفنا.

القاضى أبو حامد المروروذى لم يعد بمستطيع أن يسكت بعد هذا الاستفزاز المتعمد مع سبق الإصرار من الشيخ الفارسى.

أبو حامد

[باحتقار وازدراء]

عيب الغنى أنه يورث البلادة

الشيخ الفارسى

أما العرب فقد أشقاهم الله وعذبهم وضيق عليهم وحرمهم من..

أبو سليمان

فضيلة الفقر إنه يبعث الحيلة وهذا معنى كريم لا يقربه إلا نقاب عليم يا.. يا فارسى

الشيخ الفارسى

[بتهديد خفى]

خلاصة الأمر يا شيخ أنك تعلم تلاميذك ومريدينك أن العرب أفضل من الفرس

أبو سليمان

لقد رددت على سؤالك يا هذا.. بالحقيقة التى يقبلها أى باحث عن الحقيقة باستثناء من يلتاث بالهوى ويتعمد التعصب الأعمى.

أبو حيان التوحيدى مستفزا وقد بلغ ذروة الغضب.

أبو حيان

بعد إذن شيخنا أبى سليمان أود أن أضيف لصاحبنا الفارسى شيئا

أبو سليمان إشفاقا على مصير أبى حيان وخاصة أنه عارف باندفاعه وتهوره

أبو سليمان

دعه لى يا أبا حيان

الشيخ الفارسى

هيا يا.. يا أبا حيان، هيا تكلم.. كلى أذان صاغية لك يا ابن التوحيدى

أبو حيان

[باندفاع واضح]

يا.. يا هذا، يبدو أنك ترى أن الجاهل أشرف من العالم؛ لأن الجاهل يلبس الناعم ويركب الجواد ويتقلب على الحشية ويشرب الرحيق ويباشر الحسناء؛ لهذا هو أشرف فى نظرك من العالم؛ لأنه يلبس الأطمار ويطعم العشب ويتوسد الأرض

ويقتنع بالسير.

الشيخ الفارسى

[ببرود وبلادة مستفزة]

هل لك رأى آخر يا ابن التوحيدى ؟!

أبو سليمان

[بنفاذ صبر غاضبا ينفجر]

كلمات أخيرة يا هذا، لننتهى من لحاحك وتعصبك الأعمى، إن المدار على العقل الذى حتى حرمه الغنى فهو أنقص من كل فقير

أبو حامد المروروذى - رغما عنه - يندفع فى هياج للرد على الشيخ الفارسى

أبو حامد

[بغضب واضح]

ولتعلم أيضا يا هذا الفارسى إن الفضائل كلها بنظمها ونثرها لو كانت مجموعة للفرس ومصبوبة على رؤوسهم وطالعة من جباههم كان أجدر بكم أيها الفرس إن تخرسوا عن ذكرها مع فسوقكم مع الأمهات والأخوات والبنات

الشيخ الفارسى يهب مصعوقا وقد أحمر وجهه غضبا وهياجا

الشيخ الفارسى

فسوقنا يا أبا حامد ؟!

أبو حامد

مع المحرمات التى حرمها الله عز وجل

الشيخ الفارسى

القاضى أبو حامد المروروذى يقصد بما قاله الآن أن حضرة جلالة مولانا معز الدولة يفسق بالمحارم

أبو سليمان

[يشهق صارخا]

اتق الله يا هذا! لا تفترى على الرجل يا زنديق

الشيخ الفارسى

باسم حضرة جلالة مولانا الأمير معز الدولة اقبضوا على القاضى أبى حامد المروروذى

الشبان الفرس الثلاثة ينقضون على أبى حامد المروروذى

أبو حامد

[باحتقار]

والتهمة يا عدو العدل والتوحيد ؟!

الشيخ الفارسى

السب والقذف والعيب فى جلالة الذات الملكية لمولانا الأمير معز الدولة أدام الله دولته الفارسية.

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الثامن والأربعون

خارجى **منتصف نهار ربيعى**

نفس المكان السابق – وكالة الوراقين – بعد مضى فترة من المشهد السابق.. حالة حزن وغم عام بعد القبض على القاضى أبى حامد المرورودى، تسيطر على جميع الموجودين فى الوكالة صمت عميق.

فجأة أبو حيان التوحيدى يقطع هذا الصمت.

أبو حيان

[صارخا]

فى دار السلام الحال استحال عجما فى عجم

مجموعة من الشباب من طلاب العلم والمعرفة تحثهم كلمات أبى حيان على التمرد

مجموعة الشباب

[بأصوات متداخلة]

– لابد أن نفعل شيئا

– القاضى أبو حامد لا بد من إطلاق سراحه

– شىء ما.. فعل ما لابد من منه

أصـــحاب الحوانيـــت وقد خرجوا من حوانيتهم يلتفون حول شيخهم – شيخ وكالة الوراقين – شيخ الوكالة يوجه كلامه لمجموعة الشباب

شيخ الوكالة

أفضل فعل تفعلونه يا فتيان دار السلام أن تتركوا فى أمان وكالة الوراقين وفى الحال

أبو حيان

تطردنا يا شيخ الوكالة ؟!

شيخ الوكالة

عسكر الديلم الأعجام.. يا أبا حيان بالتأكيد فى طريقهم إلى هنا وبالتأكيد سيقبضون على جميعكم فى جمهرتكم هذه، وقد يقبضون على شيوخكم، فلتتفرقوا

أفضل لكم.

أصحاب الحوانيت

- لا تخربوا بيوتنا!   - الديلم سيسكرون حوانيتنا!!

أبو حيان

لن نتحرك من هنا حتى نهتدى إلى طريقة لإطلاق سراح شيخنا القاضى أبى حامد

أبو سعيد السيرافى - وكان قد تحرك نحو الشيخ أبى سليمان المنطقى الغارق فى شرود عميق

السيرافى

أبا سليمان..

أبو سليمان

هه.. ماذا تريد يا أبا سعيد ؟!

السيرافى

فلنذهب فى وفد من العلماء والفقهاء لمقابلة الوزير أبو محمد

أبو سليمان

[متفكرا]

الوزير المهلبى

السيرافى

وزير عربى الأصل ولن يسكت على إهانة عربى من بنى جلدته

أبو حيان

[ساخرا]

الوزير المهلبى لن يسكت على إهانة عربى! يا شيخ أبا سعيد إن من يسكت على إهانة الأمير معز الدولة له تمسكا بكرسى الوزارة لن يتحرك لإهانة عربى من بنى جلدته.

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد التاسع والأربعون

خارجى **نهار صيفى حار**

فى باب الشماسية، وعلى ضفاف نهر دجلة، هناك بناء ضخم لقصر لم يكتمل بعد، العمال مستمرون فى العمل بهمة ونشاط تحت إشراف الملاحظين؛ استعدادا لزيارة الأمير معز الدولة...

ثـم يظهـر موكـب الأمـير معز الدولة يحيط به جمع من قواد الجيش وصاحب الشرطة، والوزير أبو محمد المهلبى، وهناك أيضا مرعوش وفاضل..

المهلـبى يقـود الأمير معز الدولة فى تفقده للأجزاء المنتهية من القصر... وربما يتبادل معه بعض الملاحظات لا تستحق أن نسمعها..

الأمـير معـز الدولة يتوقف أمام جزء من البناء قريب على الانتهاء و «مشطب» كعينة للعرض على الأمير معز الدولة.

المهلبى

هذا الجزء يا مولاى صورة لما سيكون عليه قصركم ككل

الأمير معز الدولة

صورة جميلة، ستسر خاطر شعبى الطيب من دافعى الجبايات كما ستسحر عيون المصادرة ممتلكاتهم من شعبى

مرعوش - عامدا متعمدا - يجلس على حافة بارزة من الجزء المشطب

مرعوش

صورة جميلة يا مولانا الأمير ومتينة

وهنا ينهار الجزء الذى يجلس عليه مرعوش

يحمى طبع الأمير معز الدولة وكان طبعه حادا

الأمير معز الدولة

[فى ثورة عنيفة]

أهذا قصرى يا مهلبى ؟!

المهلبى

يا مولانا الأمير - هذا الجزء

الأمير معز الدولة

هذا الجزء صورة لما سيكون عليه القصر.. مؤامرة للتخلص منى يا مهلبى

المهلبى

يا مولاى، هذا

الأمير معز الدولة

ابطحوا المهلبى، وإلى بالمصدوقة لأؤدب بها هذا المتآمر

مرعوش وفاضل بسرعة يبطحان المهلبى على جزء مرتفع من البناء وبالمصدوقة فـــى يده اليسرى يبدأ الأمير معز الدولة بجلد الوزير المهلبى على مؤخرته وظهره بقسوة

المهلبى يعترض على ضربه

المهلبى

يا مولاى، لا يصح هذا مع المهلبى

الأمير معز الدولة

لا يصح ؟! إذن علقوا رقبة وزيرنا المهلبى فى حبل.. اخنقوه

مـــرعوش وفاضـــل بسرعة ينفذان أوامر الأمير، فيعقدان حبلا حول عنق الوزير المهلـــبى ويصـــعدان بطـــرف الحبل أعلى السور المحيط بالبناء؛ ليمسك به بعض العمال

المهلبى تختنق أنفاسه ويوشك على الاختناق حتى الموت.

هنا يسارع بعض القواد لاستعطاف الأمير..

القواد

[بأصوات متداخلة]

- **فلتسامحه يا مولانا الأمير**
- **إنه وزيركم الوفى المخلص المطيع**
- **فلتسامحه هذه المرة**
- **لأجل خاطرنا**
- **فلتسامحه يا مولانا**

الأمير معز الدولة بعد تفكير لفترة

الأمير معز الدولة

أنزلوه!

العمال يرخون الحبل؛ فيسقط المهلبى على الأرض

الأمير معز الدولة

فلتعد يا مهلبى إلى دارك والحبل حول عنقك لكى يذكرك بفعلتك الشنعاء ولكى لا تكررها مرة أخرى

المهلبى يقف بصعوبة على الأرض ويتحرك والحبل حول عنقه ويجره خلفه.. فى طريقه إلى بيته

[[تلاشى بطىء]]

****

المشهد الخمسون

داخلى **منتصف ليل صيفى .**

فى دار الوزير المهلبى – وبالتحديد فى قاعة الريحان – حيث تتوسطها بركة مياه تـتغذى مباشرة من نهر دجلة برفعه إليها بالدولايب [السواقى] وبالبركة فورات أى «نافورات» يتدفق منها الماء عاليا.. على سطح البركة يلقى بورود كثيرة ترتفع مع مياه النافورات لتنتشر برزاز معطر برائحة الورود على الجلوس

فـى مجلس الشراب والطرب المضاء بالشموع وفى أحد أركان القاعة هناك ستار خلفه تجلس المغنية بعودها تغنى بمصاحبته مع آلة أخرى أو أكثر تعزفها عازفات من الجوارى.

الوزيـر المهلـبى – يتوسـط مجلـس الشراب وحوله على الجانبين ندماء شرابه وأشـهرهم القاضـى التنوخى والقاضى ابن قريعة والقاضى ابن معروف وأخرون والجميع بما فيهم المهلبى ذقونهم طويلة وتتراوح ما بين البياض الناصع أو الرمادى حسـب أعمار أصحابها بالرغم من أن المجلس مجلس شراب وطرب إلا أن هناك وجوم يسيطر على الندماء وجميعهم يحاذرون من النظر فى عيون الوزير المهلبى حرجا بعد ما حدث له من إهانات على يد الأمير معز الدولة.

الندماء يتبادلون النظرات فيما بينهم خلسة إشفاقا وتعاطفا مع الوزير المهلبى، الذى يعانى من آلام شديدة فى ظهره وعجيزته تمنعه من الجلوس بصورة طبيعية؛ فيعدل من جلسته من حين لآخر ومع ذلك فالوزير المهلبى فى عصبية واضحة ينطلق فى ضحكات عصبية وتصدر عنه أفعال وحركات غير معتادة بقصد أن يخفى حقيقة ما يعانـيه داخلـيا من إحساس بالإهانة والخجل منها بعد ما حدث له مع الأمير معز الدولة..

أمام الوزير المهلبى والندماء كؤوس ذهبية مليئة بالخمر، وأمامهم أيضا أطباق النقل أو المزة

الوزير المهلبى

[مناديا فى صخب]

أبا الكاس! أبا المدام هيا بسرعة يا غلمان أحضروا الخمور والنقول لنشرب ونطرب كعادتنا دائما.

الغلمان يدخلون بمزيد من الخمور والنقول

الوزير المهلبى

[فى صخب مبالغ فيه ينادى]

خندريس هيا استدع تجلى جاريتى الأثيرة لتطربنا كعادتها

تظهر المغنية تجلى لتأخذ مكانها خلف الستار وتمسك بعودها، تضبطه مع العازفات حولها..

هنا ينطلق الوزير المهلبى مغنيا فى مرح زائف ليخفى معاناته الحقيقية الداخلية.

الوزير المهلبى

[مغنيا فى نشوة زائفة]

مرت فلم يثن طرفها تيها
يحسدها الغصن فى تثنيها
تلك تجنى التى جننت بها
أعاذنى الله من تجانيها

الندماء يتبادلون نظرات الإشفاق على الوزير المهلبى إذ يشعرون بآلامه الظاهرية التى تتمثل فى تأوهات مكتومة تصدر عن المهلبى فى أثناء صخبه المبالغ فيه كما أنهم يستشعرون معاناته الداخلية

الوزير المهلبى بدوره يشعر بما يدور فى أذهانهم ويلاحظ عيونهم التى تتحاشى أن تلتقى بعيونه.

المهلبى

ماذا دهاكم الليلة يا ندمائى القضاة ؟! قاضى تنوخى لماذا تبعد عينيك عن عينى يا ريحانة الندماء ؟!

التنوخى

حضرة الوزير، الليلة أنت فى حاجة إلى الراحة و.....

المهلبى

ولم الليلة بالذات ؟! الليلة كسابقاتها من ليالى الطرب، لا جديد، لم يحدث شىء لنغير عادتنا الأسبوعية فى الشرب والطرب [مناديا] تجلى، يا مطربة روح المهلبى غنى لى، لنا غنى:

شغلتنى بها ولم ترع عهدى

المغنية تجلى - من خلف الستار - تبدأ العزف على العود تصاحبها آلات أخرى وتبدأ الغناء.

تجلى

[مغنية]

شغلتنى بها ولم ترع عهدى

ثم منت وعهدها لا يدوم

المهلبى

[يغمغم من خلال دموعه]

عهده لا يدوم! لم يرع عهدى!

تجلى

ورأتنى أبكى إليها فقالت

يتباكى كأنه مظلوم

المهلبى

[من خلال دموعه يغمغم]

مظلوم والله مظلوم

تجلى

علم الله أننى مظلوم

وحبيبى بما أقول عليم

ليس لى فى الفؤاد حظ فأشكو

غلبتنى على الفؤاد الهموم

الندماء يتبادلون النظرات - ويزداد إشفاقهم على الوزير المهلبى

القاضى التنوخى

[هامسا بإشفاق]

أبا محمد، كفانا الليلة.. شربنا وطربنا ما فيه الكفاية الليلة

هنا يهب المهلبى واقفا ثم يصيح فى صخب واضح

المهلبى

لا يا تنوخى، لا يا تاريخ الظرفاء، لن ننهى الليلة إلا بالرقص بعد الطرب

[مناديا] **إلينا بالراقصة اللولبية**

هنا تظهر راقصة وتتوسط المجلس، المهلبى يرفع كأسه الذهبية عاليا.

المهلبى

فليمسك كل منكم بكأسه الذهبية وكعادتنا، هيا نلعب لعبة الذقون المطيرة

المهلبى يدس ذقنه الطويل فى كأس شرابه الذهبى

المهلبى

هيا يا قضاة مجلسنا الراقص، هيا دسوا ذقونكم البيضاء فى كئوسكم، فلتسكر ذقوننا مثلما سكرنا

الندماء وقد رفعوا كئوسهم يدسون ذقونهم بداخلها

المهلبى

والآن، وقد سكرت ذقوننا البيضاء هيا رقصوها حول جسد الراقصة اللولبية، هيا أمطروها بذقونكم المطيره ليسكر جسدها.

المهلبى ومعه الندماء يخرجون ذقونهم من الكئوس ويرشون بها جسد الراقصة فى وسطهم.. فتزداد الراقصة اشتعالا فى الرقص.

المهلبى والندماء يرقصون حولها كقرود مع استمرارهم فى رش جسد الراقصة بذقونهم.. ويتصاعد المشهد الراقص الماجن إلى ذروته.

المهلبى

[فى ذروة معاناته يصيح صاخبا من خلال دموعه]

إن الأمير معز الدولة وفعله لكالدهر

ولا عار بما صنع الدهر

صوت أبى حيان

[من خارج المشهد]

هذا هو المهلبى على حقيقته!!

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الواحد والخمسون

خارجى **منتصف نهار ربيعى**

عودة إلى وكالة الوراقين كما سبق وتركناها

أبو حيان

[يكمل كلامه ساخرا]

قبل الوزير المهلبى الاستمرار على كرسى الوزارة اللين - فيما يبدو - على عجيزته المضروبة بالمصدوقة.

إبراهيم الصابى مذعورا ينظر حوله فى قلق واضح ثم يوجه كلامه لأبى حيان

إبراهيم الصابى

لسانك يا أبا حيان

أبو حيان

لسانى ؟!

إبراهيم الصابى

[ينشد محذرا]

لسان الفتى حتف الفتى

أبو حيان

[يكمل صدر بيت الشعر]

حين يجهل! أما أنا فلا أجهل بل أعرف أن الوزير المهلبى لن يتحرك لإطلاق سراح القاضى أبا حامد مقامرا بكرسى الوزارة

إبراهيم الصابى

[يكمل الإنشاد محذرا]

كل امرئ ما بين فكيه مقتل.. لسانك يا أبا حيان

أبو حيان

لسانى ينطق بالحقيقة.. ولا شىء غير الحقيقة

إبراهيم الصابى

الحقيقة إن لسانك هو مقتلك.. خطأك التراجيدى وحتما سيجرك من مأساة لأخرى مثلما يحدث مع أبطال المآسى اليونانية.

أبو حيان

فلأكن بطلا مأساويا ينطق بالحق، بالعدل بالتوحيد

إبراهيم الصابى

[ينشد محذرا]

وكم فاتح أبواب الشر لنفسه

أبو حيان

[يكمل ساخرا]

إن لم يكن قفل على فيه مقفل

إبراهيم الصابى

من رمى يوما شرارات لفظه

أبو حيان

[يكمل ساخرا]

تلقته نيران الجوابات تشعل

إبراهيم الصابى

[بيأس]

أبا حيان، أنت مندفع

أبو حيان

بل قل جرىء...

إبراهيم الصابى

جرأة جامحة..

أبو حيان

هكذا أنا، تلقائى

إبراهيم الصابى

للأسف، ما فى قلبك على لسانك دون أن يمر على عقلك

أبو حيان

عقلى وقلبى توأم، وعنهما معا ينطق لسانى

أبو سعيد السيرافى

[مازحا]

فلنستعيذ بالله من لسانك يا أبا حيان

أبو سليمان

[مازحا]

تلزمك تعويذة سحرية لترويض لسانك يا أبا حيان

أبو حيان

[مازحا يردد]

اللهم أسألك أن تكفينى حصاد هذا اللسان المفلوت!

إبراهيم الصابى

[منشدا]

إن شئت أن تحيا سعيدا مسلما

تدبر وميز ما تقول وتفعل.

أبو حيان

المهم ماذا سنفعل لإطلاق سراح القاضى أبا حامد ؟!!

فترة صمت، وقد شردت أذهان الجميع للتفكير

إبراهيم الصابى

ليس أمامنا سوى الوزير المهلبى

أبو حيان

بل أمامنا الأمير معز الدولة

أبو سليمان وأبا سعيد

[معا]

الأمير معز الدولة ؟!!

أبو حيان

يا شيوخنا الأفاضل التهمة التى افترى بها الشيخ الفارسى على القاضى أبى حامد – تهمة سب وقذف – عيب فى الذات الملكية للأمير معز الدولة

أبو سليمان

[متفكرا]

وتريد منا أن... ؟

أبو حيان

تشهدون أمام جلالته بافتراء الشيخ الفارسى على القاضى أبى حامد وحتما سيصدق شهادة شيوخ أفاضل فى وزنكما وحجمكما العلمى والأدبى

أبو سعيد

وكيف لنا أن نصل إلى الأمير معز الدولة ؟!

إبراهيم الصابى

عن طريق الوزير المهلبى ولا أحد غيره

أبو حيان

ولماذا لا نلجأ إلى رئيس ديوان رسائل الأمير معز الدولة ؟!

أبو سليمان

[ساخرا]

وهل تعرفه يا أبا حيان ؟!

أبو حيان

وصديق لى، ويقف معنا الآن، ماذا قلت يا صابى ؟!

إبراهيم الصابى

[بحرج شديد وارتباك]

أبا حيان، أنا، لست بعد. حتى الآن مجرد ترشيح لم يتأكد بعد...

هنا يظهر بعض عسكر الديلم بصحبة الشيخ الفارسى.

الشيخ الفارسى

أين شيخ وكالة الوراقين ؟!

شيخ الوكالة

خادمك يا محترم

الشيخ الفارسى

هذا فرمان من ديوان الإنشاء والكتابة موقع ومختوم من حضرة جلالة الأمير معز الدولة أدام الله دولته عليك تنفيذ الفرمان فى الحال وإلا طالك وجميع الوراقين العقاب.

ينصرف الشيخ الفارسى ومعه العسكر..

شيخ الوكالة يفرد الفرمان الأسطوانى ليقرأه ولكنه يتذكر أنه أمى..

شيخ الوكالة

أبا حيان – فلتقرأ الفرمان

بينما أبو حيان يفرد الفرمان يميل أبو حيان هامسا لإبراهيم الصابى

أبو حيان

[هامسا فى سخرية]

شيخ الوراقين لا يقرا ولا يكتب، فقط يكسب ويثرى من ضياع نور عيون شيوخنا فى حرفة الشؤم

شيخ الوكالة

لعلك لا تجيد القراءة يا فتى

أبو حيان

[يقرأ بصوت مسموع]

فرمان أميرى يقرر الآتى :

أولا : قبل توريق أو نسخ أى مصنف فقهى أو أدبى أو غير ذلك يجب عرض المصنف المطلوب نسخه على ديوان الإنشاء والكتابة فحصه قبل التصريح بنسخه.

أبو حيان يتوقف عن القراءة ويستدير فى غضب واضح.

أبو حيان

ألم أقل لكم الحال قد استحال عجما فى عجم فى عجم

شيخ الوكالة

فلنسكت يا أبا حيان، كفانا ما جرى بسببكم

أصحاب الحوانيت

- لقد قطعتم أرزاقنا - بورتم حرفتنا

- قفلتم بيوتنا

شيخ الوكالة

أكمل قراءة التحريمات يا أبا حيان

أبو حيان

[يستأنف القراءة]

ثانيا : تمنع وتحرم تحريما كاملا أية حوارات أو مناظرات فقهية أو فكرية أو ادبية وغير ذلك فى وكالة الوراقين

أبو حيان يتوقف عن القراءة

أبو حيان

[بعصبية واضحة]

وكيف نلتقى بشيوخنا ؟ وأين نتلقى منهم العلم والمعرفة ؟

أبو سعيد السيرافى

اطمئنوا يا شباب فلنعقد مجالسنا فى جوامع ومساجد بغداد، ولن يجرؤ الديلم على تدنيس حرمة بيوت الله وغدا بعد صلاة العصر سأقيم مجلسى الأسبوعى فى جامع الرصافة

إبراهيم الصابى

وماذا عنى أنا يا شيخنا.

أبو سعيد

ماذا عنك يا ولدى ؟!

أبو حيان

صديقنا إبراهيم بن إسحاق الصابى يسأل عن مدى إمكانية حضوره مجلس شيخنا السيرافى فى جامع الرصافة ؟

أبو سعيد

بيوت الله مفتوحة لكافة خلق الله يا ابن إسحاق

شيخ الوكالة

أهناك ممنوعات وتحريمات أخرى فى الفرمان ؟!

هنا ينفجر أبو بكر القومسى ضاحكا ضحكات عصبية ساخرة ممرورة

أبو بكر القومسى

[من خلال ضحكاته]

تحريمات أخرى أكثر من تحريم النسخ بدون ترخيص ؟!

ويواصل أبو بكر القومسى ضحكاته العصابية.

أبو سليمان

ما الذى يضحك فيما نحن فيه يا قومسى ؟!

القومسى

أضحك على حظ أبى بكر القومسى الذى استحال شؤما مشؤوما متشائما

أبو سليمان

الشؤم شؤم عام طال الجميع يا قومسى

القومسى

[مع تصاعد ضحكاته]

لا، لا يا أبا سليمان، لا أظن أن نكد الدنيا وسوء الطالع قد يبلغ من إنسان ما يبلغه منى، إذا قصدت دجلة لأغتسل فيها نضب ماء دجلة.

تنطلق ضحكات متفرقة بين الحضور

القومسى

وإذا خرجت إلى القفار لأتيمم بترابها غدا التراب صلدا أملس

تزداد الضحكات وترتفع أكثر

القومسى

وإذا حضرت لوكالة الوراقين لأحرق نور عينى فى النسخ مقابل دراهم قليلة أقتات منها جعلوا النسخ بالتصاريح، هذا هو حظ الفيلسوف أبى بكر القومسى حظى الشؤم المشؤوم المتشائم

الجميع يشاركون القومسى فى ضحكاته العصابية الممرورة المتصاعدة

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الثانى والخمسون

داخلى **ما بعد منتصف ليل ربيعى**

فى إحدى حانات كرخ بغداد – صدر القرن ٤ هـــ..
حانة ماخورية، هكذا كانت تسمى وقتئذ إذ أنها من الماخور أقرب كما سيتضح فى حيـــنه، زبائن الحانة منتشرون فى أركان الحانة، وأمام كل زبون أو مجموعة من الزبائـــن نضـــد منخفضـــة علـــيها زجاجات الخمر والكؤوس وأطباق «المزة» أو «النقل».

فـــى أحـــد الأركان يجلس ثلاثى الأصدقاء :– [أبو حيان التوحيدى – والشاعران الداعران الماجنان عبد الله بن الحجاج – وابن سكره الهاشمى] أبو حيان التوحيدى فـــى مرحلة متقدمة من السكر بالمقارنة إلى الشاعرين بن الحجاج وابن سكره مما يعرض أبا حيان التوحيدى لتعليقات ساخرة من الشاعرين.

ابن الحجاج

ماذا دهاك يا أبا حيان ؟.. لقد فقدت وعيك بسرعة

ابن سكره

لعله قد قرأ عهد الكرم فأسرع سكره

أبو حيان

[مخمورا يرد مازحا]

حسبك أن كرما فى جوارى أمر ببابه فأكاد أسقط مخمورا.

فـــى صدر الحانة، وعلى منصة مرتفعة يظهر غلام مخنث عمره أقل من الرابعة عشـــر، إنـــه يوجـــه حديثه لزبائن الحانة مقدما النمرة الأولى فيبدأ الغلام المخنث «بإلقاء إزاره وحل أزراره»

الغلام المخنث

[بميوعة ودلال]

مساء الخير! خادمكم، بل عبدكم ولدكم فاتن، لن أبخل عليكم بحسنى وظرفى، من أرادنى مرة أردته ألف مرة! من أحبنى رياء أحببته إخلاصا، لن أتعسر فأنا خلقت

لكم. والآن حضرات الحضور الأفاضل اسمحوا لولدكم فاتن أن يقدم لكم أختى: مشتهى! الراقصة الأبلبية ترقص لحضراتكم رقصتها الشهيرة مع الذئاب البشرية الثلاثة! الراقصة مشتهى لمن يشتهى الـ [ثم يضحك ضحكة غانجة - ذات مغزى خاص]

وهنا تظهر الراقصة مشتهى وتبدأ رقصتها بمصاحبة موسيقى راقصة تعزفها فرقة موسـيقية بسيطة تعزف على المزمار والناى والقصب مع آلة إيقاع واحدة أو أكثر وبعـد أن تصـل الرقصـة إلى ذروة حسية يندفع من أركان الحانة من بين زبائن الحانة - ثلاثة شبان سكارى حتى الثمالة - هكذا يبدون - وحقيقتهم ثلاثة راقصين يرقصون حول الراقصة مشتهى، ويتبادلون التغزل الحسى بجسدها وكأنهم يعرونها قطعة قطعة من ملابس الرقص

ثلاثى الراقصين

[يتبادلون التغزل فيها]

هيفاء - لفاء

- تنظر لى من عين لعين - تجرحنى بطرفها الكحيل
- مزهوه بخدها الأسيل - خدها كالورد فى الأشجار
- بل كالخمر والتفاح - والمشترى فى الأسحار
- ثغرها إقحوان - شفتاها مرجان - أرجوان
- نكهة ثغرها نسيم - بالمسك معطر- والكافور والعنبر
- عنقها عنق ظبى - قدها مائد
- نهدها ناهد - ثدييها كحقى عاج - منقطين بالمسك
- بطنها خميص أبيض - كالعاج المخروط
- سرتها كالحق غائصة - آه من وثارة لحمها - آه
- آه من ترف شحمها آه - آه من اهتزاز ردفها .. آه
- وآه من فخذيها.. آه - غضة! - بضة!!
- ملساء كالفضة - وآه وألف آه لما بين الـــ....
- ألف آه آلف آلف آه - لية كبش معلوف

- صلابة ولينا　　　　　　　- كأنه الدنيا إذا أقبلت كالطالع

- غليظ الشفتين　　　　　　- وردى الجبين

- كأنه عروس تصدرت سترها - آه من مشتهى آه

- آه وألف أه　　　　　　　- ترقص على قدمين لطيفتين

- ترقل أرقال مهرة عربية　　- ظبية ترقص مذعورة من القناص

وتتصاعد الراقصة إلى ذروة محمومة وحولها الذئاب الثلاثة

زبائـن الحانــة السكارى... لم يبق منهم أحد إلا ونبض عرقه وجهش فؤاده وذكى طــبعه وفكه قلبه وتحرك ساكنه وتدغدغت حواسه.. فيؤمى إليها بقبلته ويغمز لها بطرفه.

واحـد مـن الزبائـن المخمورين يتجه مترنحا إلى حيث الراقصة، يعتلى المنصة ويخرج «صرة» من الدنانير يقدمها إلى الراقصة

المخمور

[بلسان ثقيل يهمس]

بحياة هذه الدنانير المعزية فقط لسانى أدسه فى فمك

الراقصة

[ضاحكة بخلاعة وسخرية]

لسانك فى فم مشتهى ؟!

المخمور

وحياة هذه الدنانير المعزية

الراقصة

[ساخرة]

لم ؟! هل قامت القيامة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ؟!

المخمور

والفيل أيضا بفضل هذه الدنانير المعزية

الراقصة

مقابل دنانيرك قبلة على خد أختك مشتهى يا هذا

المخمور

فليكن يا أختاه مجرد قبلة

مشـــتهى الراقصة تقرب خدها من فم المخمور.. المخمور يندفع ليحتضن الراقصة بقــوة ليغتصـــب قـــبلة من شفتيها.. هنا يتحول الراقصون الثلاثة إلى ثلاثة فتوات ينقضون على المخمور لإبعاده عن الراقصة... المخمور باستماتة ينقض بفمه على شــفتي مشـــتهى الراقصـــة وبصعوبة يتركها... الفتوات الثلاثة يحملون المخمور ويلقون به خارج الحانة

أبو حيان

[من خلال سكره الواضح]

هذه الحانة إلى الماخور أقرب

ابن سكره الهاشمى

بل هى ماخور

أبو حيان

ماخور؟! شاعران وأبو حيان التوحيدى، أديب المستقبل فى ماخور، يا فضيحتاه!!

عبد الله بن الحجاج

[ساخرا]

على قدر دراهمك المعزية يا أديب زمانك

يواصـــل الأصـــدقاء الثلاثة الشرب خلال فترة صمت كافية... أبو حيان التوحيدى فجأة بعد فترة الصمت

أبو حيان

للآن يا رفقاء الكأس لم تنصحانى بحل لإطلاق سراح القاضى أبى حامد المروروذى

ابن سكره

فلتنسى يا أبا حيان، لقد وصلنا إلى كهف النسيان فلا تفيقنا بقاضيك السجين

أبو حيان

كيف لى أن أنسى شيخى وأستاذى يا ابن سكره ؟!

ابن الحجاج

خلاص أستاذك عند مرعوش

أبو حيان

مرعوش ؟! من هذا المرعوش يا ابن الحجاج ؟!

ابن سكره

جاهل ببغداد - بل وبالعراق فى عهده المعزى الجديد - من يجهل مرعوش

ابن الحجاج

مرعوش هو المفتاح السحرى لقلب الأمير معز الدولة وعقله

ابن سكره

والدنانير المعزية هى المفتاح السحرى للسان مرعوش

ابن الحجاج

وبالتالى لإطلاق سراح قاضيك أبى حامد

أبو حيان

ومن أين للقاضى أبى حامد بمال يبرطل به الأمير معز الدولة؟

ابن سكره

إذن فلتصمت ولتعد معنا إلى كهف النسيان

أبو حيان

يا دولة الفساد والحزن

ابن الحجاج

لسانك يا أبا حيان للماخور أذان وعيون معزية

أبو حيان

عموما! لقد طلبت من صديقنا إبراهيم الصابى أن يلتمس من الأمير معز الدولة الإفراج عن الشيخ القاضى

ابن سكره

[ساخرا]

وهل تظن أن ابن إسحاق الصابى مهتم بحرية سجين من غير الصابئة ؟!

أبو حيان

ابن سكره.. لا تعاود الافتراء على صديقى إبراهيم الصابى!!

ابن الحجاج

[باستخفاف]

ومن يكون إبراهيم الصابى هذا ليجرؤ على مفاتحة الأمير معز الدولة فى أمر الإفراج عن القاضى ؟!

أبو حيان

خلال أيام سيصبح رئيسا لديوان الرسائل لدى الأمير

ابن سكره

لهذا لن يجرؤ صديقك ابن إسحاق على مفاتحة الأمير فى أمر قاضيك المتهم بالعيب فى ذاته الملكية

أبو حيان

[يغمغم مغموما]

لا بديل إذن لمسعى أبى سليمان والسيرافى فى وفد إلى المهلبى

ابن الحجاج

[ساخرا]

المهلبى.. الوزير الشاعر ؟!!

أبو حيان

المهلبى.. يكتب الشعر ؟!

ابن الحجاج

[ينشد ساخرا]

قيل أن : الوزير المهلبى قد قال شعرا

يجمع مع الجهل شمله ويعمه

ثم أخفاه فهو كالهر يخرا

فى زوايا البيوت ثم يطمه

يضحك الثلاثى لفترة.. ثم أبو حيان التوحيدى يتوقف عن الضحك وقد راوده خاطر مفاجئ فيكسو وجهه بالهم والغم

أبو حيان

[يغمغم مهموما]

لعل رسالة يوم السقيفة....

ابن سكره الهاشمى

يوم السقيفة ؟! ماذا تقصد ؟!

أبو حيان

[يفيق من شروده]

لا،لا، فلتنس! فلننسى فلنعد إلى كهف النسيان. [مناديا] يا ساقى! فلنطلب مزيدا من ترياق الهم وصابون الغم! [يعاود النداء] يا ساقى

الساقى يتقدم إلى الثلاثى

الساقى

ساقى حانة «فاتن ومشتهى» تحت أمركم يا حضرات الأفاضل أهلا بشاعرنا ابن الحجاج.. طلباتكم يا أفاضل ؟!

أبو حيان

إلينا يا ساقى فاتن ومشتهى بمزيد من خمرة بابلية معصورة من خد المشمس

ابن سكره

[يكمل]

وقد سبك الدهر تبرها فصفا أصفى من ماء السماء

أبو حيان

[يكمل]

وأصفى من دمعة عاشقة مرهاء

ابن الحجاج

أما أنا يا خليلى.. قد عطشت، وفى الخمر.. رى للحائم العطشان فاسقنى بالكبار..
أما بطاس أو بكاس محرورة أو بجام... أو فلتسقنى من الدنان إلى أن ترانى كبعض تلك الدنان

أبو حيان

ولا تنسى المزة.. مملوح البندق ومقشور الفستق

الساقى يترك ثلاثى الأصدقاء

وهنا يظهر الغلام فاتن ليقدم نمرة أخرى

الغلام

والآن دور الغناء المصحوب بالرقص

يظهر المغنى.... ثم تظهر الراقصة مشتهى

الغلام

ولنكمل متعة حضراتكم سيرقص ولدكم فاتن بمصاحبة الراقصة مشتهى، لنرضى كل الأذواق ونمتع كل الامزجة.

يبدأ عزف الموسيقى وبعدها تبدأ مشتهى رقصها.. وأيضا يبدأ فاتن رقصه ويقف المغنى بينهما مغنيا

المغنى

[يغنى]

كنت صبا بواحد ثم ثنيت
فلى بالجميع وصل وهجر
من كمثلى وعن يمينى شمس
تتجلى وعن شمالى بدر
ذا على خده من المسك سطر
وعلى طرف ذا من الغنج سطر
بت يجرى على من ريق هذين
وكأس شهد ومسك وعنبر
لى من ريق ذا أو مقلة هذا
مع كأسى سكر وسكر وسكر

تصفيق المخمورين وصياحهم

الساقى يعود حاملا طلبات ثلاثى الأصدقاء يضعها أمامهم ويصب لهم الخمر من زجاجة كبيرة فى كؤوسهم

الساقى

مدامة تمرية صافية زففتها طوعا لشاعر [يوجه كلامه لابن الحجاج] ما وقفت له

قط قافية

ابن الحجاج يختطف الزجاجة من يد الساقى ويرفعها على فمه

ابن الحجاج

[منشدا فى نشوة]

اسقنى الخمر التى نزلت فيها على القوم

آية التحريم.

اسقنيها فانى أنا والقس جميعا

نبولها فى الجحيم

ابن سكره

[منشدا]

اسقنى فقد رأيت بعينى

فى قرار الجحيم أين مكانى

أبو حيان

[يصيح فى نشوة]

لا تحبس الكأس عنى لأشربها مشعشة

حتى أموت بها موتا بلا سبب

على المنصة يظهر المغنى وبيده عود

المغنى

حضرات الأفاضل المحترمين ترحيبا بالشعر والشعراء الموجودين معنا الليلة فى حانة فاتن ومشتهى، سأشدو لهم ولكم بشعر لا أذكر الآن شاعره، سأشدو بغزل راق يليق بالشاعرين ابن الحجاج وابن سكره.

ثم يجلس المغنى على كرسى يوضع له على المنصة ويبدأ العزف على العود

أبو حيان

[بغيرة واضحة يعلق ساخرا]

غزل راق! آه لو شم المغنى رائحة شعركما الكنيفى وسمع ألفاظكما الماخورية ؟!!

المغنى

[يشدو مغنيا]

إذا أردت سلوا كان ناصركم

قلبى فهل أنا من قلبى بمعتصر

شـــيخ مخمـــور يجلس قريبا من المنصة يستمع بنشوة للمغنى معلقا من حين لآخر بكلمات مما يغنيه المغنى تمس وجدانه

الشيخ المخمور

[يغمغم بأسى]

ناصركم قلبى

المغنى

وضعت خدى لأدنى من يطيف بكم

حتى احتقرت وما مثلى بمحتقر

الشيخ المخمور

[بأسى من خلال دموعه]

حتى احتقرت

المغنى

فأكثروا أو أقلوا من إساءتكم

الشيخ المخمور

[يقاطع المغنى صائحا بمعاناة]

أقلوا من إساءتكم! أعد يا شادى الغرام

أبو حيان

شيخنا المخمور مغرم صبابة

المغنى

[يعيد ترديد صدر البيت]

فاكثروا أو أقلوا من إساءتكم

فكل ذلك محمول على القدر

الشيخ المخمور

[يغمغم بأسى]

محمول على القدر! [باستنكار] ماذا ؟ محمول على القدر ؟!

فجـــأة يفيق من سكره ويهب واقفا ويشق جيبه كمن جن، ويحولق ويستغفر ويصيح مستغيثا

الشيخ المخمور

[يصيح مستغيثا]

يا قوم أما تسمعون الشاعر الداعر ؟! لا يكفيه أن يمجن حتى يكفر! متى كانت الفضائح والذنوب والعيوب محمولة على القدر ؟!ومتى قدر الله هذه الأشياء وقد نهى عنها ؟!

زبائن الحانة السكارى يفيقون من سكرهم ويحدث هرج ومرج ولغط متداخل المغني يهرب بجلده.. أبو حيان التوحيدى يتقدم إلى الشيخ المخمور ليهدئ من ثورته

أبو حيان

هون عليك يا شيخ، القدر يأتى على كل شىء ويتعلق بكل شىء

الشيخ المخمور

لو قدرها الله كان قد رضى بها! ولو رضى بها لما عاقب عليها

أبو حيان

القدر يجرى على كل شىء وبكل شىء

الشيخ المخمور

لو قدرها الله على عبده وعاقب عليها كان من الظلم الذى يقبح بالمخلوق فكيف بالخالق

أبو حيان

هذا سر الله المكتوم أو العلم الذى يحيط بكل شىء، وكل ما جاز أن يحيط به علم، جاز أن يجرى به قدر، وإذا جاز هذا جاز أن ينشر عنه خبر

الشيخ المخمور

[يزداد جنونا وصياحا]

إنا لله! لعن الله الغزل إذا شيب بالمجانة! ولعن المجانة إذا قرنت بما يقدح فى الديانة

وقد اقترب ابن الحجاج من الشيخ المخمور ليساعد أبا حيان التوحيدى فى تهدئته

ابن الحجاج

يا شيخ.. ما هذا التحارج والتضايق.. والشاعر.. وأنا أكلمك كشاعر.. الشاعر يهزل ويجده يقرب ويبعده.. يصيب ويخطئه.. ولا يؤاخذ بما يؤاخذ به الرجل الديان والعالم ذو البيان

الشيخ المخمور يرفع زجاجة الخمر على فمه دفعة واحدة ثم يعاود الصياح

الشيخ المخمور

[يصيح كالمجنون]

لعن الله الغزل! لعن الله المجانة!

ابن سكره يسحب ابن الحجاج وأبا حيان ويجذبهما للخارج

ابن سكره الهاشمى

[هامسا]

هيا بنا نهرب بجلودنا يبدو أن الشيخ من الحنابلة، فلنهرب قبل وصول فرقة العميان الطرش

أبو حيان

فرقة العميان الطرش ؟!

ابن سكره

بعصى غليظة يأمرون بالمعروف، وبجنازير حديدية ينهون عن المنكر

أبو حيان

إذن فلنهرب.. وبسرعة

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الثالث والخمسون

خارجى **قرب فجر يوم ربيعى**

خارج حانة فاتن ومشتهى ساحة واسعة تتجاور فيها الحانات فارسية وبغدادية، اسم الحانة مكتوب أعلى مدخلها بحروف عربية وفارسية..

ثلاثى الأصدقاء : أبو حيان التوحيدى وابن الحجاج وابن سكره، يظهرون من مدخل الحانة، خارجون منها وقد تعاقدت الأذرع، يترنحون سكرا، ويغنون معا

الثلاثى

[معا يغنون]

يا لها من ليلة ليلاء.. ليلة أقمنا فيها للذات سوقا نبيع العقل فيها بالعقار..

أبو حيان ينفصل عن صديقيه ويرفع بصره ليقرأ أسماء الحانات حانة بعد أخرى

أبو حيان

[يقرأ بصوت عال]

حانة [مستدركا] **ماخور «فاتن ومشتهى»، حان ماخور «تحفه ومرجان» – حانـــ.. ماخور زهرة وقهوة! يوما ما، عندما تجرى الدرا..** [مستدركا] **الدنانير عندما تجرى فى يدى سأتفرغ لارتياد هذه الحانات.. والمواخير.. العامة والخاصة لأحصى عدد المغنيين والمغنيات فى دار السلام والإسلام. يا الله بيوت المتعة فى بغداد أصبحت تفوق فى العدد بيوت الله لك الله يا عراق.**

ثم يواصل استعراض أسماء الحانات

أبو حيان

[يستأنف قراءة الأسماء]

حانـــ.. [مستدركا] **ماخور «حدايق أرجوان»، ماخور «غوانى ومشتاق»، ماخور «اشتياق وحلوب»**

وأخيرا يتوقف أمام حانة فارسية

أبو حيان

[يقرأ]

ماخور ظلام ومشكلة.. تلك هى المشكلة

هنا يندفع من داخل الحانة الفارسية شابان عراقيان مخموران يترنحان إنهما

أبو بكر الخوارزمى

وابن لنكك البصرى

[بقرف واضح معا يغنيان بالفارسية]

كك لكوى برسان تنه بيرون دل اوارى لامران بيه مرهو وسال سال سيل ويل الويل

الشابان يصطدمان بأبى حيان عند خروجهما من مدخل الحانة الفارسية

أبو حيان

[يصيح فى دهشة]

من ؟! الخوارزمى وتابعه ابن لنكك ؟!

الخوارزمى

[يصيح]

أبا حيان ؟!

أبا حيان ؟!

البانسان الأزليان!!

الخوارزمى

ثالثنا البائس العظيم!!

ابن لنكك

رائدنا فى البؤس الأزلى

أبو حيان

ماذا تفعلان فى ماخور فارسى ؟!

الخوارزمى

نفس ما تفعله فى ماخورك البغدادى [ثم يعاود الغناء بالفارسية] **وسال سال سيل ويل الويل**

ابن الحجاج

[هامسا لابن سكره]

فلنترك أبا حيان مع هذا الخوارزمى

ابن سكره

الطيور على أشكالها.....!!

ابن الحجاج يسحب ابن سكره بعيدا

ابن الحجاج

[هامسا]

يشاع أن هذا الخوارزمى عضوا نشيطا فى جماعة حلاجية سرية

يختفى ابن الحجاج ومعه ابن سكره

أبو حيان

بسرعة تعلمتما لغة النظام الجديد

ابن لنكك

هكذا كانت المغنية الفارسية - تغنى

الخوارزمى

من قرفنا نغنى

أبو حيان

من النظام الجديد قرفكما ؟!

ابن لنكك

من بومة زاد - الراقصة الفارسية قرفنا

الخوارزمى

الاسم ساره زاد.. والرسم قرده ترده.. ثومة بومة

ابن لنكك

عجوز مأكولة الوجه - مجدرة

الخوارزمى

شعر رأسها مخضوب منفوش

ابن لنكك

وجهها كالميت المنبوش

الخوارزمى

بنت سبعين فى ثمانين فى ستين فى أربعين فى تسعين

أبو حيان

[مازحا]

باختصار لم تبلغ بعد

ابن لنكك

لها من السحاب ظلمته

الخوارزمى

ومن الأسد نكهته

ابن لنكك

ومن الحمار صوته ونهيقه

الخوارزمى

ومن الجمل أسنانه

ابن لنكك

ومن الثور ضخامة لسانه

الخوارزمى

ومن الدار كنيفها

أبو حيان التوحيدى يتجشأ قرفا

أبو حيان

ولابد أنها قرعاء بظراء سلط الله عليها بغاث الدواب، واللعنة عليكما فلقد طيرتما الخمر من رأسى..

الخوارزمى وابن لنكك وقد أفاقا تماما

الخوارزمى

وقد عدنا إلى وعينا فلنتحدث معك عقلا لعقل

أبو حيان

خيرا يا خوارزمى

الخوارزمى

[هامسا]

الأخ الإلهى الأكبر عاتب عليك بل وغاضب

أبو حيان

عاتب وغاضب دفعة واحدة ؟!

ابن لنكك

ماذا دهاك يا أبا حيان؟! [هامسا] **لم تعد تداوم على الحضور مع الأخوان والخلان؟**

أبو حيان

[متفكرا]

لا المكان ولا الوقت مناسبان للرد على سؤالك يا ابن لنكك

الخوارزمى

إذن فلنلتقى فى مسكنى عصر الغد

أبو حيان

تقصد عصر اليوم! ألا تسمع صياح الديكة.. لقد طلع الفجر.. أفق يا خوارزمى

الخوارزمى

فلتحضر إلى مسكنى عصر اليوم

أبو حيان

عصر اليوم مرتبط بموعد مع إبراهيم الصابى فى جامع الرصافة

ابن لنكك

[بمغزى خاص]

صداقة العاملين فى ديوان رسائل الخليفة طريقه أخرى للتقية ؟!

الخوارزمى

[ساخرا]

أبو حيان البائس العظيم أصبح يسعد بصحبة السادة، ويوما ما قد يخجل من صداقة أمثالنا من البؤساء التعساء

أبو حيان يحاول أن يمسك أعصابه

أبو حيان

[متماسكا لكيلا يثور]

لا تحاولا استفزازى بكلامكما يا أصدقاء البؤس الأزلى بعد أن تنتهى ندوة الشيخ السيرافى فى جامع الرصافة سأمر عليكما فى مسكنك يا خوارزمى

الخوارزمى

شيوخك السيرافى وأمثاله لم يعد لديهم جديد بعد أن هادنوا السلطة الجديدة

أبو حيان

[وقد شرد ذهنه]

والأمل الخلاص - تراه أنت - فى جماعتنا السرية

الخوارزمى

[مستفزا]

الديك شك فى هذه الحقيقة ؟!

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الرابع والخمسين

خارجى **عصر يوم ربيعى**

داخل جامع الرصافة، بغداد القرن الرابع الهجرى

فى أحد أركان ساحة الجامع من الداخل يتصدر أبو سعيد السيرافى جمع من شباب العلم والمعرفة ومن بينهم أبو حيان التوحيدى وصديقه إبراهيم بن إسحاق الصابى، فى الساحة بعض الأشخاص يتحركون فى غموض حول المجتمعين مع أبى سعيد السيرافى؛ بقصد سماع كل ما يقال فى الندوة

أبو سعيد السيرافى

أولادى.. طلاب العلم والمعرفة فليسألنى أى منكم أى سؤال يعن له فى شئون الدنيا والدين

أبو حيان

شيخنا أبا سعيد السيرافى لدى سؤال أخشى أن يثير حساسية لدى بعض الزملاء

أبو سعيد السيرافى

فلتسأل يا أبا حيان، كل الأمور قابلة للسؤال وجميعها موضوع للحوار

أبو حيان

من أين دخلت الآفة على أصحاب المذاهب حتى افترقوا هذا الافتراق وتباينوا هذا التباين فصار الناس أحزابا فى النحل والأديان فهذا نصيرى وهذا...

جمع الطلاب

[الواحد بعد الآخر يتهم الآخر بعصبية متصاعدة]

- **وهذا قطعى** - **وهذا أشعرى**
- **وهذا خارجى** - **وهذا شيعى**
- **وهذا قرمطى** - **وهذا راوندى**
- **وهذا قدرى** - **وهذا جبرى**
- **وهذا ظاهرى** - **وهذا رافضى**

أبو حيان

[يكمل متصاعدا]

وهذا.. وهذا.. وهذا.. فزاد التعصب واللجاج والهوى

أبو سعيد السيرافى

[بهدوء واضح]

لا سبيل إلى اتفاق الناس

أبو حيان

حتى فى الدين الواحد ؟!

أبو سعيد السيرافى

ألا ترى يا أبا حيان أنه لا سبيل إلى أن يكون الناس كلهم طوال القدود أو قصارها أو ضخام الرؤوس أو صغارها أو فصحاء الألسنة أو لكنها أو على مذهب واحد ومقالة واحدة

أبو حيان

ومع ذلك البعض قد أغلقوا باب الاجتهاد وزاد التعصب بينهم وخرجوا إلى التكفير والتفسيق وإباحة الدم والمال ورد الشهادة

أبو سعيد السيرافى

هذا غلو لا يخلو من نفاق ورياء ومرفوض فى صحيح الإسلام

أبو حيان

فتح الله عليك يا شيخنا

أبو سعيد السيرافى يخرج من جيب سترته ورقة؛ ليقرأها لطلابه

أبو سعيد السيرافى

[يقرأ]

إن من نافق بإظهار الدين وتوثب على المسلمين وأكل بالدين أموال المعاهدين كان قريبا من سخط رب العالمين وغضب الله وهو من الضالين

أبو حيان

نعم الفتوى يا شيخنا

أبو سعيد السيرافى

هذه ليست فتواى يا أبا حيان، بل فتوى خليفة المسلمين

أبو حيان

المطيع لله ؟

أبو سعيد السيرافى

نشرها فى منشور وزع على علماء وفقهاء بغداد بعد انتشار أعمال العنف التى تصدر عن الحنابلة من حين لأخر وها أنا بدورى أوزعه عليكم

السيرافى يسلم أبا حيان التوحيدى رزمة من المنشورات ليوزعها بدوره على الطلاب

جمع الطلاب

[الواحد بعد الآخر]

- **الحنابلة يكبسون الدور**
- **يعترضون على البيع والشراء**
- **إنهم يرهبون كل من لا يرى رأيهم**
- **لقد زاد شر الحنابلة**
- **واستفحلت فتنتهم**

أبو حيان

ويقال أن الحنابلة أصبحوا يستظهرون بفرقة من العميان الطرش لتأديب من يخالفهم

أبو سعيد السيرافى

لهذا أصدر المطيع لله خليفة المسلمين هذه الفتوى، والآن فلننتقل إلى سؤال آخر عن موضوع آخر، هل هناك من سؤال يا أولادى ؟!

فترة صمت طويلة تسود.. فالطلاب بعضهم متردد فى السؤال كإبراهيم الصابى والبعض الآخر يفضل تلقى المعرفة بدون أسئلة من جانبه لكسل ذهنى أو ربما تجنبا لأية مشاكل تترتب على سؤاله وربما وربما.....!!! هذا الصمت يستفز أبا حيان التوحيدى فيندفع - كعادته - صائحا فى زملائه

أبو حيان

ما ضمت القبور هذا يا زملاء ؟ لم لا تسألوا

أبو سعيد السيرافى سعيد بحماس.. أبى حيان يضحك..
أبو حيان التوحيدى يشعر بالحرج

أبو حيان

[معتذرا]

معذرة لاندفاعى يا شيخنا أبا سعيد

أبو سعيد السيرافى

لا عليك يا أبا حيان يسعدنى حماسك و....

أبو حيان

[لزملائه]

فلتسألوا يا زملاء لا تكفوا عن السؤال فبالسؤال تفتحون بوابات الاجتهاد التى يحاول الحنابلة السلفيون غلقها بقتل السؤال على ألسنتكم بعصى غليظة وجنازير حديدية فى أيدى عميان طرش، ابن إسحاق أين سؤالك أو أسئلتك التى من أجلها أنت هنا فى جامع الرصافة؟

أبو سعيد السيرافى

ابن إسحاق الصابى.. أهلا بك يا ولدى فى جامع الرصافة فلتسأل يا صابى، ولا تتردد يا ولدى

إبراهيم الصابى

[مترددا]

شيخنا أبا سعيد! سؤالى.. أرجو إلا يثير أية حساسية لدى الزملاء

أبو حيان

إبراهيم، فلتسأل وكفاك ترددا شيخنا السيرافى صدره رحب، فلتسأل ولا تكف عن السؤال

إبراهيم الصابى

[وقد جمع شجاعته يسأل وبدقة يختار ألفاظه]

شيخنا.. الصابئة.. هل يسلم على الصابئة وغيرهم من أهل الذمة ؟!

أبو سعيد السيرافى يفكر فى رد، لفترة أبو حيان التوحيدى مستفزا من السؤال فيندفع كعادته، بتلقائية

أبو حيان

[باندفاع تلقائى]

طبعا يسلم يا ابن إسحاق على أهل الذمة وعلى غير أهل الذمة من البشر، هذا أمر لا يحتاج لسؤال..

ترتفع ضحكات أبى سعيد السيرافى ولكنها ضحكات لا تخلو من ضيق... أبو حيان التوحيدى يشعر بالحرج لاندفاعه

أبو حيان

مـــ.. معذرة يا شيخنا

أبو سعيد السيرافى

[من خلال ضحكاته محذرا]

حاول أن تروض لسان فطرتك الجامحة، لا تندفع هكذا يا أبا حيان

أبو حيان

معذرة يا شيخنا، لقد استفزتنى سذاجة سؤال ابن إسحاق ولا أقول خبث سؤاله.. وكأن ابن إسحاق يشك ولا أقول يشكك فى سماحة الإسلام الصحيح، لا إسلام الحنابلة السلفيين!!

أبو سعيد السيرافى

مرة أخرى يا أبا حيان أنصحك بترويض اندفاعك الفطرى لكى لا تقع فى المحظور. [لإبراهيم الصابى] **فلتعد سؤالك يا ابن إسحاق**

إبراهيم الصابى

هل يسلم على الصابئة وغيرهم من أهل الذمة ؟!

أبو سعيد السيرافى

[متفكرا]

سئل الخليفة عمر بن عبد العزيز سؤالك هذا فقال : «يرد على أهل الذمة» بمعنى أن يسلم عليهم

أبو حيان

[مندفعا يصيح]

ألم أقل لك يا ابن إسحاق سماحة الإسلام سماحة صحيح الإسلام بلا حدود

إبراهيم الصابى

وهل يبدءون بالسلام ؟!

أبو حيان

[بتلقائية فطرية]

ولم لا يبدءون بالسلام ؟! أما زلت تشك فى..

أبو سعيد السيرافى

[غاضبا يقاطعه]

وبعد هالك يا أبا حيان ؟! السؤال موجه لى لا لك كف عن مقاطعتك لى ولسؤال ابن إسحاق. [لإبراهيم] **معذرة يا إبراهيم من فضلك، سؤالك كاملا مرة أخرى**

إبراهيم الصابى

هل يسلم على الصابئة وغيرهم من أهل الذمة ؟ وهل يبدءون بالسلام ؟

أبو سعيد السيرافى

كما سبق أن قلت: سئل الخليفة عمر بن عبد العزيز فقال : «يرد على أهل الذمة» ولا بأس أن يبدءوا بالسلام لقول الله عز وجل : «فاصفح عنهم وقل سلام»

وهنا يصيح واحد من الأشخاص الغامضين المتربصين بالمجتمعين فى الندوة

شخص غامض

الله أكبر والعزة للإسلام

وهـنا تـندفع مـن خلف أعمدة وزوايا وأركان جامع الرصافة جماعة من العميان الطرش يحملون عصى غليظة وجنازير حديدية ينقضون بها على المجتمعين حول أبـا سـعيد السيرافى، ضربات عشوائية تصيب أكثرهم بكسور بما فيهم أبا سعيد السيرافى وأبا حيان التوحيدى

أبو حيان

[متألما يصرخ]

عميان، طرش، بالعصى الغليظة يأمرون بالمعروف، وبجنازير حديدية ينهون عن المنكر، يا لضيعة صحيح الإسلام!!

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الخامس والخمسون

داخلى **ما بعد عصر يوم ربيعى**

فى مسكن أبى بكر الخوارزمى.. مسكن متواضع لا يختلف كثيرا عن مسكن أبى حيان التوحيدى وغيره من فقراء الكتاب، والعلماء، والأدباء والشعراء مما لا يحظون برعاية أمير أو انتجاع وزير وغير ذلك من أحوال أصحاب الأقلام فى القرن الرابع الهجرى. الأوراق فى الحجرة الجرداء والكتب والقليل من الأثاث دون الضرورى فى حالة يرثى لها من الفوضى والتآكل.

أبو بكر الخوارزمى ومعه ابن لنكك البصرى فى انتظار قلق لأبى حيان التوحيدى

الخوارزمى

[بضيق واضح]

ابن التوحيدى لن يحضر كما وعد

ابن لنكك

لعل أمر قهرى

الخوارزمى

[يقاطعه بعصبية]

أبو حيان كعادته يخشى مواجهته بحقيقة حقيقته الحقيقية

ابن لنكك

فلننتظر قليلا - الغائب معه حجته

الخوارزمى

[بغيظ]

ننتظر ونترك الأخ الإلهى الأكبر ينظر ؟!

ابن لنكك

الأخ الإلهى الأكبر، يهمه بشدة حضور الأخ الفاضل الكريم ابن حيان معنا

الخوارزمى

وماذا لو أن [ساخرا] **الأخ الفاضل الكريم كان يتعمد منذ فترة طويلة التهرب من**

حضور مجالس الإخوان ومحافل الخلان

ابن لنكك

كما أنه لم يعد يسعى لجذب أخوة جدد من شباب بغداد للجماعة

الخوارزمى

إذن لا بد من طرد أبا حيان بعد محاكمته كخائن للجماعة

صوت التوحيدى

افتح يا.. يا خوارزمى

ابـن لـنكك البصـرى يتجه ليفتح باب الحجرة يدخل أبو حيان التوحيدى وقد لف ذراعه اليسرى برباط من قماش رخيص وعلقه بشريط حول عنقه مع بقع دم حديثه تلطخ ملابسه

ابن لنكك

ماذا جرى لك يا أبا حيان ؟!!

أبو حيان

[مازحا من خلال آلامه]

فرقة العميان الطرش فى جامع الرصافة

الخوارزمى

[ضاحكا بشماتة]

ضربوك ؟!

أبو حيان

بعصى غليظة أمرونى بالمعروف وبجنازير حديدية عن المنكر نهونى

الخوارزمى

[ساخرا بشماتة]

المنكر أن يستمر أخانا الفاضل الكريم فى حضور الندوات وحلقات الدرس فى بغداد، دار البغى هذه الأيام

أبو حيان

[مازحا]

لقد أمطرونا بعصا وجنازير كأنها أحجارا من سجيل

الخوارزمى

كثيرا ما حذرتك يا أخانا الفاضل الكريم - وبالمعروف - من دار البغى مثلما
بالحب دعوتك أخا بارا رحيما فى دار الأمن والأمان

أبو حيان

[يغمغم بلا حماس]

كهف التقية والاستتار

ابن لنكك

[مصححا]

دار التقية

الخوارزمى

لا مفر من التقية والاستتار طالما الباطل يعلو الحق فى دولة أهل الشر

أبو حيان

التقية والاستتار حزن - كآبة

الخوارزمى

وسيظل الحال هكذا حتى يحين الحين

ابن لنكك

التقية لحفظ العقيدة

أبو حيان

[ساخرا]

ولحفظ الحياة

الخوارزمى

[منشدا]

رب جوهر علم لو أبوح به
لقيل لى : أنت من يعبد الوثنا

ابن لنكك

[يكمل الإنشاد]

ولاستحل رجال مسلمون دمى
يرون أقبح ما يأتون حسنا

أبو حيان

لهذا قبلت دعوة أخانا الفاضل الخير أبى بكر الخوارزمى منذ عامين لأصبح أخا بارا رحيما فى الجماعة، كنت وقتها فى الخامسة عشر من عمرى

الخوارزمى

[ساخرا]

لعلك قبلت دعوتى للانتظام عضوا فى الجماعة؛ لتضمن لنفسك ثلاث وجبات يومية فى مطعم الكهف

أبو حيان

بل انضممت لجماعة إخوان الصفا وخلان الوفا؛ رغبة فى تغيير الأحوال التى ساءت، وأملا فى مستقبل أفضل [وقد شرد ذهنه] وربما كما تقول - على الأقل - لأضمن ثلاث وجبات يومية لصبى يتيم كان مقبلا على شبابه بلا أمل، وبلا مورد لقوته اليومى

الخوارزمى

الهدف الأساسى الأسمى لجماعتنا هو غزو العقول

أبو حيان

[مازحا بمرارة]

وماذا عن البطون ؟!

الخوارزمى

غزو العقول عن طريق الفكر وهكذا يتقوض نظام دولة أهل الشر

أبو حيان

[ساخرا]

يتقوض ؟! هكذا ببساطة ؟!

ابن لنكك

تقويض النظام العقلى للمسلمين تقويض نظام القطيع سيؤدى حتما وبالضرورة إلى ثورة أهل الخير ضد دولة أهل الشر

أبو حيان

[ساخرا]

ثورة ؟! الثورة أصبحت رمادا باحتراق حلاج الأسرار منذ سبعة عشر عاما

الخوارزمى

أبا حيان، أخانا الفاضل الكريم ماذا دهاك ؟! هل كفرت بالتغيير.. بالمستقبل ؟!

ابن لنكك

أكفرت يا أخانا بدولة أهل الخير القادمة لا محالة ؟!

الخوارزمى

[ساخرا]

لتهادن دولة أهل الشر الزائلة لا محالة ؟!

أبو حيان

[بنفاذ صبر يصيح]

الشر قد تناهى فى الزيادة

الخوارزمى

ليس بعد التناهى والزيادة إلا النقصان والاضمحلال

ابن لنكك

دلالات النجوم دائما تبشرنا باقتراب مجىء دولة أهل الخير وإزاحة الغمة عن العباد

الخوارزمى

إن التغيير كائن، حتمى حتى ولو لم يرده الإنسان، حتى ولو لم يعمل لتحقيقه ؟!

أبو حيان

[ساخرا]

إذن فلينام الإنسان فى سابع نومة وليرتفع شخيره إلى سابع سماء

ابن لنكك

تسخر من دلالات النجوم ؟!

الخوارزمى

ومن جميع معتقدات الجماعة يا أخانا الفاضل الكريم ؟

أبو حيان

لا داعى لاتهاماتك الوهمية يا خوارزمى

الخوارزمى

دليلى على صحة اتهاماتى اشتراكك فى احتفالات دولة أهل الشر وسباقاتها فى السباحة و...

أبو حيان

الرحمة يا فرقة العميان الطرش، فلترفعا عن رأسى عصى تكفيركما الغليظة

الخوارزمى

وَعلى أربعتك ركعت لتلتقط دريهمات نجسة من أست قرد دولة الشر

أبو حيان

فلتتوقف يا خوارزمى عن جلدى بجنازير اتهاماتك السخيفة

الخوارزمى

باختصار يا أخانا الفاضل الكريم لقد خنت جماعة إخوان الصفا وكفرت برسائلهم

أبو حيان

[بآلية تخلو من الإيمان]

رسائل أخوان الصفا الأثنى والخمسين حفظتها عن ظهر قلب فى زمن قياسى

الخوارزمى

[بغيظ وحقد]

ولهذا انبهر بك الأخ الإلهى الأكبر ورفعك على سلم الترقى فى الجماعة؛ لتصبح أخانا الفاضل الكريم ونحن مازلنا فى مرتبة...

ابن لنكك

[يكمل]

الأخ الفاضل الخير

الخوارزمى

أنا الذى كنت سببا فى انتظامك فى الجماعة، مازلت ومنذ سنوات مجرد أخ فاضل خير

أبو حيان

[مازحا]

لعلك لم تعمل أزميل جهادك الأكبر جيدا فى حجر عقلك الخام

الخوارزمى

وتسخر أيضا من رموز الجماعة

أبو حيان

كيف لى أن أسخر من رموز جماعة مازلت عضوا فيها ؟

ابن لنكك

ومع ذلك قد كففت منذ مدة طويلة عن حضور مجالس الإخوان ومحافل الخلان كما تعهدت

الخوارزمى

وما سبق أن تعلمته عن إخوانك الإلهيين لم تعد تعلمه لأخوان لك مبتدئين أقل منك عمرا

ابن لنكك

قلوبهم خضراء وعقولهم مازلت صفحة بيضاء ناصعة البياض

أبو حيان

وأحجار عقولهم مازالت خاما لم يعملوا فيها بعد أزاميل جهادهم الأكبر

الخوارزمى

عدت إلى السخرية من رموزنا وشعائرنا

أبو حيان

[بعد تردد]

فلأعترف لكما، لقد مللت حضور حضرة أو لنقل قداس قراءات الإخوة الإلهيين السبعة فى الكتب المصونة والأسرار المخزونة والعلوم المكتومة

الخوارزمى

فلتشهد يا ابن لنكك – أمامك وأمامى – أبو حيان أخانا الفاضل الكريم قد تفوه كفرا صريحا بجماعتنا

أبو حيان

[يصيح بعلانية]

لا تسجد لقرد السوء فى دولته

الخوارزمى

أنت أول الساجدين لقرد دولة أهل الشر وأول المقبلين ليده

ابن لنكك

بدلا من أن تقطع يده الجائرة

أبو حيان

لا، بعد اليوم المستضعفون على الأرض لا ولن يسجدوا لقرد السوء فى دولته، كما يجرى المثل الشعبى

ابن لنكك

عم تتحدث يا أبا حيان ؟!

الخوارزمى

بماذا تخرف وتخطرف يا أخانا الفاضل الكريم ؟!

أبو حيان

هل تذكر أن رسالة «تداعى الحيوانات على الإنسان» ؟!

ابن لنكك

إحدى رسائل إخوان الصفا

أبو حيان

منذ فترة وأنا أعيد صياغتها، أعيد تشكيلها؛ لتصبح محاكاة يحكيها ويحاكها حاكه من الموهوبين فى التقليد والمحاكاة بين إخوان وخلان جماعتنا

الخوارزمى

[ساخرا]

لم تأت بجديد يا أخانا الأديب الرهيب فرسالة تداعى الحيوانات على الإنسان دونا عن بقية رسائل إخوان الصفاء عبارة عن محاورات تجرى فى محكمة يرأسها ملك الجان وحوله قضاة من الجن

أبو حيان

ما كتبته محاكاة لا محاورة أو لنقل محاكا - ورة

ابن لنكك

محاكا - وره ؟!

أبو حيان

المحاكا - ورة شكل أزعم أنه جديد فى الأدب العربى و.....

الخوارزمى

من المؤكد أنك سرقته أو لنقل اقتبسته من اليونانيات المترجمة

أبو حيان

المحاكا - ورة شكل يجمع بين المحاكاة والمحاورة وشكل بديل عن حضرة أو قداس قراءات الأخوة الإلهيين السبعة التى أصبحت يضجرنى حضورها.

الخوارزمى

[باستنكار]

تضجرك يا أخانا الفاضل الكريم ؟!

أبو حيان

ومن المؤكد تضجركما كما تضجر جميع السامعين من الإخوان والخلان فتشرد أذهانهم بعيدا

ابن لنكك

تشرد أذهاننا بالفعل فلأعترف: ذهنى أحيانا يشرد

أبو حيان

أما المحاكا - ورة فيشترك فيها جميع الحضور من الإخوان فى المحفل على جميع مراتبهم، ويشاركون فيها تارة بالمحاكاة لحد الاندماج، وتارة أخرى بالفرجة الإيجابية لحد الانفعال والتفاعل مع ما تسمعه آذانهم وتراه عيون رؤوسهم فضلا عن عيون خيالهم.. وهكذا ندفع السأم والملل عن الإخوان وأيضا نشوقهم إلى الاستزادة مما فى الرسائل

ابن لنكك

وهكذا تصبح الرسائل أعجب من الحكايات وأظرف فى المسامع وأطرف فى

المنافع

أبو حيان

وأبلغ فى المواعظ وأبين فى الخطاب

الخوارزمى

وأغوص فى الأفكار وأحسن فى الاعتبار، [مهللا] عال عال يا أخانا الفاضل الكريم، هذا إنجاز طيب يا أبا حيان

أبو حيان

[مازحا]

طيب ؟! طيب

الخوارزمى

وأنا الذى ظننتك كفرت بالـــ...

ابن لنكك

أخانا الإلهى الأكبر سيسعد بإنجازك هذا يا أبا حيان

أبو حيان

أخشى العكس يا أخانا ابن لنكك

الخوارزمى

بالعكس، ولماذا ؟!

أبو حيان

لقد أجريت تعديلات وتغييرات على النص الأصلى لرسالة تداعى الحيوانات على الإنسان مما قد يعتبره الأخ الأكبر خروجا عن نص مقدس

الخوارزمى

تغييرات ؟! تعديلات ؟!

أبو حيان

جميع الشخصيات جعلتها شخصيات حيوانية بعضها يمثل أهل دولة الشر، البعض الآخر يمثل أهل دولة الخير

ابن لنكك

لعلك تقصد الإمعان فى التقية والاستتار

الخوارزمى

الإمعان فى التقية والاستتار مطلوب، ولكن ماذا عن رئيس المحكمة و....

أبو حيان

حافظت على ملك الجان كرئيس لمحكمة قضاتها من الجن

الخوارزمى

لماذا إذن تتوقع الاعتراض من أخانا الإلهى الأكبر ؟!

أبو حيان

مجرد توقع.. فالأخ الإلهى الأكبر فارسى و.....

الخوارزمى

اطمئن، الإخوة الإلهيين السبعة روح واحدة فى أجساد سبعة لا فرق بين الأخ الفارسى والأخ العربى المسلم

ابن لنكك

ولا بين الأخ العبرانى والأخ المسيحى

الخوارزمى

ولا بين الأخ الهندى والأخ اليونانى

ابن لنكك

ولا بين الأخ الصوفى وبقية الإخوة السبعة

الخوارزمى

جماعة إخوان الصفا - كما تعرف بوتقة انصهرت فيها الجنسيات والألوان وذابت بداخلها المعتقدات والمذاهب فأصبح جميع الإخوان والخلان مزيجا واحدا فى عشرات، مئات وآلاف الأجساد

أبو حيان

[يتنهد فى عدم يقين]

أتمنى ذلك، والآن فلتسبقانى إلى كهف التقية والاستتار لتحضرا حضرة أو قداس القراءات

ابن لنكك

الليلة احتفال بتدشين وتلقين عشرات الإخوة المبتدئين

أبو حيان

[مازحا]

عشرات الجثث فى أكفان بيضاء

ابن لنكك

فى انتظار بعث روحى، ولادة ثانية كإخوان أبرار رحماء

أبو حيان

وأنت طبعا مرشدهم كأخ فاضل خير

ابن لنكك

الخوارزمى وأنا مرشدان الليلة لعدد وفير من شباب بغداد

الخوارزمى

وأخانا الفاضل الكريم كان من المفروض أن يكون المرشد الثالث لإخوة جدد من شباب بغداد

أبو حيان

لا داع للغمز واللمز يا خوارزمى ولا للتفاخر فى أيام الجوع التى يعيشها الشعب العراقى ما أسهل اصطياد إخوة جدد بالمئات بل بالآلاف لضمان ثلاث وجبات يومية.

الخوارزمى

عدت إلى استخفافك برسالة جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا

أبو حيان

إلى اللقاء فى كهف التقية والاستتار

ابن لنكك

وأنت، اين أين ؟!

أبو حيان

سأعود إلى مسكنى لأحضر نص محاكا–ورتنى لا تسجد لقرد السوء فى دولته

[[تلاشى سريع]]

****

الجـــزء الثالـــــث

«بعد مرور عشرين سنة»

المشهد السادس والخمسون

داخلى **صباح صيفى حار**

فى قاعة عرش الأمير معز الدولة – بغداد منتصف القرن ٤ هـ
الأمير معز الدولة فى مجلسه وفى حضرته الوزير أبو محمد المهلبى وثلاثى شيوخ الشيعة وفى المجلس هناك صاحب الشرطة. الأمير معز الدولة فى ذروة غضبه وهياجه ينظر فى أوراق بيده، يقرأ منها بعصبية واضحة.

الأمير معز الدولة

[يقرأ]

لا تسجد لقرد السوء فى دولته، ولا تقبل يده الجائرة بل اقطعها

ثم يوجه كلامه إلى الحضور

الأمير

قرد السوء هذا.. من يكون ؟!.. من المقصود بقرد السوء هذا إن لم يكن

الحضور

[باستنكار واستبشاع]

حاشا لله يا مولانا جلالة الأمير معز الدولة، حاشا لله

الأمير

[يقرأ]

أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه، اعلم أن كل دولة لها وقت محدد، منه تبتدئ وغاية إليها ترتقى وحد إليه تنتهى، فإذا بلغت أقصى غاياتها ومدى نهاياتها تسارع إليها الانحطاط والنقصان وبدا فى أهلها الشؤم والخذلان وهكذا يحين الحين لانتهاء دولة أهل الشر وظهور...

ثم يعود لتوجيه كلامه إلى الحضور

الأمير

دولة الشر هذه، ما المقصود بها إن لم تكن دولتنا ؟

الحضور

دولة الخير والسلام

الأمير

[يكمل سؤاله]

دولة الديلم البويهية ؟!

الحضور

حاشا لله يا مولانا جلالة الأمير معز الدولة

الأمير

خلال الأسابيع القليلة الماضية كنت أفاجأ يوميا برسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء تحت وسادتنا، فى مرحاضنا، مع طعامنا، وأبشع تلك الرسائل تلك التى يسمونها...

يعود الأمير للنظر فى الأوراق فى يده

الأمير

[يقرأ]

محاكا – ورة : لا تسجد لقرد السوء فى دولته

يوجه كلامه للحضور

الأمير

من هؤلاء الإخوان والخلان ؟!

الوزير المهلبى

مـــ.. مولانا جلالة الأمير معز الدولة لا تعكر صفو جلالتكم بإخوان الصفا ولا تقلق سلام جلالتكم بإخوان الوفا.

الأمير

إنهم يطاردونى بتلك البشاعات والبذاءات والتنبؤات حتى فى مناماتى..

الوزير المهلبى

لعلهم قلة من المثقفين الروافض لدولة الخير والسلام دولة جلالتكم

الأمير

ومن يكون هؤلاء القلة الروافض وأين يحكون ؟ وأين يحاكون محاكا - ورتهم البذيئة لا تسجد لقرد السوء فى دولته ؟!

لا أحد يرد من الحضور

الأمير

تكلم يا وزيرنا المهلبى

الوزير المهلبى

مـــ.. مـــ.. مولانا جلالة الأمير، أمور الأمن والأمان بعد إذن جلالتكم يسأل عنها صاحب الشرطة

الأمير

تكلم يا صاحب الشرطة

صاحب الشرطة

مـــ.. مـــ.. مولانا جلالة الأمير، البصاصون والعسس فى دولة الخير والسلام - دولة جلالتكم - عيون يقظة، مفنجلة، لا تنام ليل نهار

الأمير

وماذا عن جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا؟

صاحب الشرطة

جماعة وهمية من المؤكد يا مولانا فأنا أؤكد لجلالتكم فى دولة الخير والسلام - دولة جلالتكم - لا وجود بالمرة لأية جماعات سرية بهذا الاسم أو بغيره

الأمير

[بنفاذ صبر ساخرا]

وماذا عن هذه الرسائل التى تصلنى يوميا حتى فى مرحاضنا يا صاحب الشرطة؟!

صاحب الشرطة

[بارتباك واضح]

مـــ.. مـــ.. مولانا جلالة الأمير فلتسمح لى جلالتكم أن

مـــ.. مـــ.. مولانا جلالة الأمير أنا خادمكم اليقظ دائما

هـــنا يظهـــر إبراهيم بن إسحق الصابى. إنه يحمل رزمة من الرسائل يقدمها إلى الأمير

الصابى

معذرة يا جلالة الأمير رسائل جديدة اكتشفت الآن وجودها مدسوسة بين رسائل جلالتكم على مكتبى

صـــاحب الشـــرطة بســـرعة خاطفة ينقض على الرسائل ويجذبها من يد الصابى بخشونة ودون أن ينظر للرسائل يبدأ فى استجواب الصابى

صاحب الشرطة

قل لى يا – يا ابن إسحاق هذا الخط، أو لنقل هذه الخطوط

الصابى

عن أى خط ؟ وأى خطوط تسألنى يا سيادة صاحب الشرطة ؟!

صاحب الشرطة

الخط والخطوط المنسوخ بها هذه الرسائل، انظر هذا الخط أو هذه الخطوط ألا تذكرك بشخص أو أكثر من شخص خطه مألوف لعينيك ومعروف لك؟

الصـــابى فى ارتباك واضح، ينظر ناحية الأمير ثم الوزير المهلبى مستنجدا الأمير والوزيـــر بالـــرغم مـــن اعتراضهما الداخلى إلا أنهما لا يمانعان فعليا فيما يفعله صـــاحب الشـــرطة مـــع الصابى مما يشجع صاحب الشرطة على الاستمرار فى الاستجواب بأسلوب أعنف

صاحب الشرطة

[ينهر الصابى بحدة]

هه، يا ابن اسحق يا صابى، حاول أن تتذكر، ركز جيدا.. اعصر ذهنك ولا تضطرنى إلى أن أستخدم معك أساليبى الخاصة بعلاج النسيان أو التناسى

الصابى

[باستنكار]

سيادة صاحب الشرطة أنا لا أرى مبررا لاستجوابى بهذه الطريقة المريبة

صاحب الشرطة

[يتصنع الهدوء]

احتراما لحضور حضرة مولانا الأمير، سأطيل حبال الصبر معك يا ابن إسحاق

[ينهره] **عاود النظر إلى هذا الخط**

الصابى

[من خلال دموعه مخنوقة]

هذا الخط، هذه الخطوط غير مألوفة لعينى بالمرة! بعد إذن جلالة الأمير معز الدولة، فليسمح لى بالانصراف

الأمير

[ينفجر ضاحكا]

فلتبق يا إبراهيم، ولا داع لانزعاجك من أسئلة روتينية دائما تصدر من أصحاب الشرطة

ثم يوجه كلامه لصاحب الشرطة

الأمير

اسمع يا صاحب الشرطة خذ هذه الرسائل، وتوجه بها فى الحال إلى وكالة الوراقين واستجوب أصحاب دكاكين الوراقة والنسخ، فهم أدرى بخطوط كافة حملة الأقلام فى العراق، وحتما ستصل إلى كتبة رسائل إخوان الصفا

صاحب الشرطة

يا لها من فكرة يا مولانا جلالة الأمير ويا له من تفكير لا يخطر على بال أعتى أصحاب الشرطة حتى فى بلاد العجم.

الأمير

أسرع يا صاحب الشرطة ولا تعود لنا إلا ومعك قائمة بأسماء كتبة الرسائل

صاحب الشرطة

السمع والطاعة يا مولانا فلتسمح لى جلالتكم بالانصراف

ثلاثى الشيوخ

[الواحد بعد الآخر]

- **مـــ.. مولانا جلالة الأمير معز الدولة**
- **إلى أن يكشف صاحب الشرطة كتبة رسائل إخوان الصفا**

- وإلى أن يقبض عليهم
- وإلى أن يحاكموا بقانون دولة الخير والسلام
- وإلى أن تأمروا جلالتكم بتوسيطهم
- أو خوزقتهم
- واجبنا نحن شيوخ شيعة دولة الخير والسلام
- أن نكشف – بالدعوة – كذب ما تبشر به هذه الرسائل عن قرب زوال دولة الخير والسلام – دولة جلالتكم

الأمير

[ساخرا]

وقرب ظهور دولة الخير والسلام

ثلاثى الشيوخ

أضغاث أحلام الجائع الذى يحلم بالعيش

الأمير

الغريب أن إخوان الصفا وخلان الوفا يدعوننى فى رسائلهم للانقلاب على دولتى

ثلاثى الشيوخ

دولة الخير والسلام ؟!

الأمير

أن انقلب على نفسى وأصبح أخا رحيما بارا فى دولة إخوان الصفا القادمة لا محالة

ثلاثى الشيوخ

- الرد بالدعوة
- والتبشير المضاد
- فى الجوامع والمجامع
- هو الحل الوحيد يا مولانا جلالة الأمير

الأمير

[متفكرا]

الحل الأوحد عندى هو أن نوقظ – فى أعماق شعب العراق – نوقظ واغش الإحساس بالذنب، أن نوقظ زنابير الندم

الوزير المهلبى

مـــ.. مولانا جلالة الأمير بعد إذن جلالتكم أى ذنب ؟ وأى ندم ؟ يقصده مولانا الأمير ؟!

الأمير

الذنب ذنب قتل أجداد شعب العراق للحسين فى كربلاء والندم ندم الأحفاد للتكفير عن فعلة الأجداد الشنعاء إذ يبدو أن واغش الإحساس بالذنب وزنابير الندم نامت كامنة فى أعماق شعب العراق؛ لإهمالنا الطويل فى ممارسة الطقوس والشعائر الشيعية والتى تميز عقيدتنا عن عقيدة الأغلبية من السنة، والتى تعطينا نحن الشيعة هوية متميزة متفردة تفردا فريدا

ثلاثى الشيوخ

[الواحد بعد الآخر]

- بعد إذن مولانا جلالة الأمير، منذ بداية حكم جلالتكم للعراق
- وحتى الآن
- ونحن نحرص على الاحتفال بذكرى مقتل الحسين
- وبأمر جلالتكم كنا نحن شيعة ديلم الفرس أول من يبتدع الاحتفال بعاشوراء هنا فى العراق
- وفى العاشر من كل محرم، نقيم مناحة عاشوراء
- بعد أن نغطى عين الشمس الساطعة بسواد ننشره فى جميع الأرجاء
- فنحيل نهار العراق إلى ظلام ليل دامس
- فتصبح المشاعل والشموع هى شمس عاشوراء
- وننشد أشعار التعازى — ونرتلها ترتيلا
- ويحكى الحكاة — خروج الحسين من مكة إلى الكوفة
- حتى الوصول إلى كربلاء — والحصار عطشا بلا رحمة
- وأخيرا مقتل الحسين
- وجز شمر الجزار الدموى رأس الحسين الكريمة الكريمة
- وأسر حريم بيت الحسين

الأمير

كل ما كان يحدث فى مناحة عاشوراء منذ ابتدعنا الاحتفالية حتى اليوم مجرد أفعال مقلدة بلا إيمان حقيقى.. تقوم بتقليدها أسرة محترفة لهذه المهنة الموروثة أبا عن جد

ثلاثى الشيوخ

- مـــ.. مـــ مولانا - الدموع تنزف بغزارة
- الصدور تنهش حتى النزف - الظهور تجلد بالجنازير حتى النزف
- الرؤوس تشج بالسيوف حتى النزف
- وهكذا يحدث النزف الكبير

الأمير

مجرد أفعال دموية يحاكيها حاكة محترفون بلا روح بلا إيمان ولهذا كانت لا تفعل فعلها السحرى فى نفوس جموع شعب العراق وإن فعلت فمفعولها محدود، سطحى، غير كاف لإيقاظ واغش الإحساس بالذنب وزنابير الندم، مفعولها غير كاف لتعميق الإحساس بالذنب فى النفوس لحد أن تصبح جموع شعب العراق أسيرة لهذا الإحساس بالذنب طوال العام فتقضى ليلها ونهارها تكفر بالندم إلى أن يأتى عاشوراء جديد ليجدد من جديد الإحساس بالذنب والشعور بالندم وهكذا يظل القطيع أسيرا بل سجينا أبديا لذنب أجدادهم

المهلبى

مـــ.. مولانا، وماذا تقترح جلالتكم لتحقيق هذا الأسر الأبدى والعبودية الأزلية ؟!

الأمير

أرى إعادة صياغة أشعار وتراتيل التعازى التى توارثناها أبا عن جد فى شكل محاكا - ورة

ثلاثى الشيوخ

محاكا - ورة ؟!

الأمير

كمحاكا - ورة لا تسجد لقرد السوء فى دولته

المهلبى

مـــ.. مولانا المحاكا – ورة سلاح دولة إخوان الصفا، دولة أهل الشر

الأمير

فلأعترف لكم، بعد أن قرأت محاكا – ورة لا تسجد لقرد السوء فى دولته، شعرت بكره لقرد السوء هذا، وتعاطفت مع ضحاياه، وتمنيت زوال دولته القردية

ثلاثى الشيوخ

مـــ.. مولانا لا داعى لقراءة هذه الآيات الشيطانية

الأمير

إبراهيم، أنت شاعر وكاتب أريدك أن تعيد صياغة ما توارثناه من نصوص التعازى فى شكل محاكا – ورة

الصابى

جلالة الأمير معذرة، فليسمح لى جلالة الأمير أن أعترف لجلالتكم أنا لا أجد فى نفسى القدرة ولا الـــ

الأمير

ولا الإيمان

الصابى

حاشا لله أن أقول ذلك يا جلالة الأمير

الأمير

فلتسلم نصوص التعازى هذه إلى أديب مسلم علوى مؤمن

الصابى

شرط أن يجيد كتابة المحاورة

الأمير

[مصححا]

المحاكا – ورة

الصابى

ويتميز بأسلوب أدبى مؤثر ومثير

الأمير

بعد الانتهاء من كتابة المحاكا - ورة فلتسلم إلى مشرف احتفالات عاشوراء ليدرب مجموعة هواه من الشباب الشيعى المؤمن على محاكاة هذه المحاكا - ورة

الصابى

السمع والطاعة يا جلالة الأمير

الأمير

[يعيش حلم يقظة متصاعد]

وفى العاشر من محرم وعلى إيقاعات الطبول والدفوف، النفوس المذنبة تذرف الدمع دما، والقلوب النادمة تنزف الدم أنهارا.. رائحة الدم الحار تنعش جيوش الواغش وأسراب الزنابير فترقص نشوة أنهار الدم تفيض، تفيض.. طوفان دم يغرق فيه شعب العراق كقطيع نادم، باك، نائح، دام، صامت، خانع خنوع الموتى

هنا تتعالى طبول ودفوف مناحة عاشوراء التى بدأت مع بداية حلم يقظة الأمير مصحوبة بنحيب جماعى متصاعد تتخلله صرخات الندم الهيستيرية

[[تلاشى بطىء]]

* * * * * * * * * * * *

المشهد السابع والخمسون

خارجي . صباح شتوى

ســاحة كبيرة واسعة الأرجاء - بغداد حوالى ٣٢٥ هجرية - وتنتشر فى أرجائها منصـــات خشــبية مختلفة الأبعاد والارتفاعات استعدادا لاحتفالية عاشوراء، وهى تــتكون مــن عدة مناظر. السواد يحيط بل يجثم على أنفاس المشهد، فهناك ستائر ورقــع ســوداء مــن القماش، أطرافها مطرزة بآيات قرآنية، ومعلقة على جوانب المشهد وتهبط متدلية من سماء الساحة بحبال سوداء.

جمهور المتفرجين من عامة بغداد؛ نساء، رجال، شيوخ وصغار يفترشون الأرض المحيطة بالساحة على أقصى جانبى مقدمة منطقة التمثيل، هناك مستويات متدرجة وعليها مقاعد وثيرة لجلوس الحكام وكبار القوم

أقصـــى اليمين درج للأمير معز الدولة يتوسط صفة الأمامى ومعه أولاده الأمراء الثلاثة، وحولهم وخلفهم يجلس بقية رجال الدولة، ونخص بالذكر المطيع لله الخليفة العباســى وحولـــه ثلاثى شيوخ السنة والوزير أبو محمد المهلبى وثلاثى شيوخ الشــيعة وغــيرهم من قواد عسكريين وأصحاب الشرطة وبقية رجال الإمارة من فرس أساسا وترك وعرب نادرا

وعلــى الــدرج المقابل أقصى اليمين يجلس صغار كبار وكبار صغار العاملين فى خدمـــة الدولـــة البويهية من ترك وعرب أساسا وفرس نادرا وعلى الصف الأول يجلس رئيس ديوان الرسائل إبراهيم بن إسحق الصابى.

أقصى الجانب الشمالى يقف الخوارزمى وابن لنكك البصرى يتابعان الاحتفالية ومن حين لآخر نسمع تعليقاتهما

المنظر على الساحة

مـــنظر لمـــيدان حرب تقترب من ذروتها فهناك معسكران؛ الأول معسكر الحسين، وتمثله خيمة كبيرة وعلى جانبيها خيمتان صغيرتان فى صدر الساحة، الخيام لونها أبيض وملطخة بالدماء وترتفع أعلاها أعلام خضراء أطرافها مطرزة بآيات قرآنية،

يحاصـــر هذا المعسكر المهزوم معسكر أعداء الحسين وتمثله خيام سوداء وترتفع أعلاهــا أعـــلام حمراء أطرافها مطرزة بجماجم وسيوف دامية وما إلى ذلك، جند أعداء الحسين يحاصرون المشهد كله وقد شهروا سيوفهم التى تقطر دما.

وخلف جموع المتفرجين من عامة بغداد خارج جانبى وسط الساحة هناك العازفون بطبولهم ودفوفهم وغير ذلك من آلات موسيقية لازمة.

هــذا وصف شبه تفصيلى بارد للمشهد فى حالة سكون وثبات قبل بداية الاحتفالية ولكن دراميا ومسرحيا، تبدأ الاحتفالية من لحظة متوترة ملتهبة تتصاعد تدريجيا إلى ذروة مجــنونة خلال تتابع وقائع الاحتفالية حتى تصل إلى المناحة الهستيرية التى يسيطر عليها الجنون المقدس.

الطــبول والدفوف وبقية الآلات الموسيقية تصور وتعبر عن سلسلة معارك خارج مــنطقة التمثــيل.. مطاردات عنيفة تصحبها صرخات مذعورة لأطفال ونسوة فى معسكر الحسين، مع صليل سيوف فى حالة التحام دموى عنيف متصاعد ومن حين لآخــر نسمع آهة فآهات فرسان يسقطون الواحد بعد الآخر وبانتهاء العراك خارج الساحة يبدأ

المنظر الأول

موكب الأكفان..

ســبع شــهداء فــى أكفانهم، الكفن واسع فضفاضى ناصع البياض، صاحب الكفن ذراعاه مبتورتان ورأسه مقطوعة بوحشية وبدلا منها تتدلى على الصدر أو الظهر رأس آدمــية مصــنوعة من الخشب أو الإسفنج تكسوها صفرة الموت وقد تلطخت بالدمـــاء، ومن صدر أو ظهر أو بطن صاحب الكفن تبرز حربة أو سيف أو مدية، كــل كفن يمشى على قدميه مترنحا وحوله يتحلق ثلاثى نائحات ندابات صارخات راقصـــات رقصة الموت وقد نشرن شعورهن ومزقن مقدمات جلابيبهن السود عن صدورهن النازفة دما مثل خدودهن دما غزيرا بفعل النهش بالأظافر واللطم والندب بـــالأكف علـــى الوجوه الدامية والملطخة بالطين أو النيلة وحول الكفن المترنح فى ســيره هناك أيضا ثلاثى حملة السيوف وقد حلقوا رؤوسهم تماما وتعرت جذوعهم العليا تماما ولفوا أعناقهم بجنازير حديدية ليجلدوا بها ظهورهم وصدورهم.

وموكـــب الأكفـــان يتضمن أيضا حملة المشاعل معلق بها أجراس تجلجل وقناديل وشموع ومجامر ينطلق منها البخور.
يتقاطر موكب الأكفان المترنحة فى سيرها أو لنقل الراقصة فى ترنح ثم ينتشر على أرض الســاحة ثم يتساقط كل كفن فى الوضع الذى استقر فيه على أرض أطراف الســاحة وحول كل كفن تتحلق مجموعته المكونة من ثلاثى النائحات وثلاثى حملة السيوف الجالدون لأنفسهم النائحات وقد تربعن على الأرض تبدأن فى رفع التراب عن الأرض على رؤوسهم ثم تبدأن فى لطم الركبتين بإيقاع منتظم يتماشى مع نفس إيقاع جلد ثلاثى حملة السيوف لظهورهم أو صدورهم بجنازيرهم الحديدية

المنظر الثانى

نفس ميدان الحرب

أمام إحدى خيام أعداء الحسين – قرب مقدمة المسرح على اليمين يجلس أبو حيان التوحيدى وقد بلغ السابعة والثلاثين من عمره – انه يرتدى زى قائد عسكرى أموى فى جيش يزيد بن معاوية – يغلب على الزى اللون الأحمر.
أبــو حــيان التوحيدى يبدو مهموما مغموما – شارد الذهن – بمديه فى يده يخطط خطوطا على رمال ميدان المعركة.
الخوارزمـــى وابن لنكك البصرى من مكانهما أقصى شمال مقدمة منطقة التمثيل – يفاجأن بأبى حيان التوحيدى فى المنظر

الخوارزمى

[هامسا]

ابن لنكك – انظر – هناك

ابن لنكك

أراه.. أبو حيان التوحيدى فى زى قائد أموى لجند يزيد بن معاوية العدو اللدود للحسين

الخوارزمى

[ساخرا]

أخانا الفاضل الكريم عاد للاشتراك فى احتفالات دولة أهل الشر من الفرس الغزاة

ابن لنكك

لقد علمت أن صديقه ابن إسحق الصابى

الخوارزمى

رئيس ديوان رسائل الأمير معز الدولة

ابن لنكك

أسند إليه أن يعيد كتابة نصوص التعازى الشيعة فى شكل محاكا - ورة

الخوارزمى

[ساخرا]

أخانا الفاضل الكريم أبو حيان التوحيدى يصر على خيانة إخوان الصفا

ابن لنكك

لعشرين عاما متوالية وحتى شهور قليلة مضت كان أبو حيان التوحيدى يحكى فى كهف التقية والاستتار ويحاكى دوره كرئيس محكمة الجن

الخوارزمى

[ساخرا]

فى محاكا - ورته التى أسماها لا تسجدوا لقرد السوء فى دولته

ابن لنكك

غريب أمر أبى حيان التوحيدى لديه قدرة عجيبة على الجمع بين النقائض فى نفس الوقت

الخوارزمى

[يغيظ]

والأغرب، إننا عندما سنواجهه بفعلته الشنعاء هذه سيتعلل بأن ما يفعله نوع من التقية والاستتار لحماية جماعة إخوان الصفا من شرور دولة الشر

يـندفع مـن خـارج الساحة ضابط بزى عسكرى أموى يغلب عليه اللون الأحمر الدموى، خلقته بشعة، وصوته خشن أجش لا يقل تنفيرا عن خلقته

الضابط

[يفرحة مهللا]

أبشر يا قائدى ابن سعد! لم يبق من أسرة النبى إلا الحسين

أبو حيان

[بحزن عميق]

أعرف يا شمر، الحسين الآن فى خيمته بين أهله من النسوة، يعانى من سكرات الموت

[إظلام سريع]

****

المنظر الثالث

ما يزال أبو حيان التوحيدى أمام خيمته – ومعه شمر

شمر

إن لم أخذ زينب وأم كلثوم أسيرتين وإن لم أرق بسيفى هذا دم الحسين على الأرض فلن تشبع عينى وقلبى من القتل وإسالة الدماء

أبو حيان

لقد كانت حنجرة الحسين موضع تقبيل النبى، أينبغى التغاضى عن الدين وقطع رأس الحسين ؟!

شمر

أنا قاتل ابن سيد الثقيلين أنا لا أخجل من أم الحسين

أبو حيان

هذه الجرائم جعلت الشمس تكسف، وما زلت يا شمر تريد أن تشفى غليلك من هذا البائس الذى يتيه فى سهل لا يعرف الكرم

شمر

مادام دم الحسين لم يرو ظمأ هذه الأرض الجافة فإن عينى وقلبى لن يرتويا من القتل والمذابح وإن كنت يا ابن سعد لا تملك الشجاعة اللازمة فسأقتل أنا الحسين بنفسى، وبسيفى هذا

يهم الشمر بالتحرك ناحية خيمة الحسين

أبو حيان

انتظر، فليقتل الحسين ذمى لا مسلم

ثم يتوجه إلى حيث يجلس ابن اسحق الصابى على الصف الأول على درج الجانب الشمالى يجذبه بسرعة إلى وسط الساحة

الصابى فى دهشة يقاوم أبا حيان

الصابى

[هامسا]

ماذا تريد منى يا أبا حيان ؟! ما تنوى فعله معى ؟!

أبو حيان

اسمع أيها الصابى، أنت من أهل الذمة، خذ هذا السيف وادخل هذه الخيمة ستجد الحسين ضريح الفراش يحتضر جز رأسه بالسيف وارجع برأسه لأعطيك بزه مكافأة لك

الصابى

أنا أقتل الحسين ؟! هل جننت يا أبا حيان ؟!

أبو حيان

وما يضيرك يا صابى قتل مسلم من غير ملتك ؟

الصابى

كلا، لن أجرؤ أن أقتل بيدى ابن بنت النبى

ثم يهرول الصابى عائدا إلى مكانه لاهث الأنفاس

أبو حيان

جبناء، أشباه النساء، ألا يريد أحد منكم تنفيذ أوامرى

شمر

أنا تحت أمرك يا قائدى ابن سعد، أنا سأقتل الحسين، أنا أتحدى الجن الذى تحمى الحسين، أنا سأقتل الحسين لأن موته وحده هو الذى سيسكن هذه العاصفة التى تزمجر فى قلبى، أنا قادم إليك يا حسين، ما من أحد غيرى سيجز رأسك يا حسين، أنت تعرف، وأنا أعرف، وكلانا يعرف ذلك منذ بدء المعركة، [ساخرا] **أم لعلك ستنكر أنك تعرف يا حسين. نعم سأعرف كيف أظلم بريق نظراتك يا حسين.**

هـــنا يندفع نفر من جموع المتفرجين وقد غلبهم الانفعال الشديد والقلق الفظيع على

مصير الحسين، يحاصرون شمر ويهمون بالفتك به

شمر مذعورا يحاول الهرب من الحصار الغاضب بلا جدوى

شمر

[مذعورا]

وما ذنبى أنا يا أهل بغداد ؟! أبو حيان هو الذى اختارنى لأحاكى دور شمر وبنفسه دربنى ولقننى ما أفعل وما أنطق من كلمات

الجموع

وأين أبا حيان هذا ؟!

شمر

فلتسألوا عنه قائدى ابن سعد

الجموع غاضبة تتجه ناحية ابن سعد.. شمر ينتهز الفرصة ويندفع إلى داخل خيمة الحسين.

الجموع

أين أبا حيان يا ابن سعد ؟!

هنا ينطلق من داخل خيمة الحسين صرخات نسوة ملتاعة ملتاثة؛ فيعود الجميع إلى الخيمة فيفاجأ الجميع برأس الحسين تقطر دما خارج الخيمة مرفوعة على سن سيف شمر الذى يخرج من الخيمة رافعا سيفه وفوق طرفه رأس الحسين.

شمر

[متفاخرا فى سادية]

لقد فصلت رأس الحسين عن جسده

جموع المتفرجين - بخيبة أمل - يعودون كل إلى مكانه كمتفرجين وقد انفجروا فى نحيب متصاعد مع تمزيق ثيابهم ولطم خدودهم ونهش صدورهم

[إظلام سريع]

****

المنظر الرابع

علـــى إيقاعـــات وموسيقى جنازة الشهيد تعزفها الطبول، الدفوف، النايات النائحة يظهر

موكب التابوت

يحملـــه ثلاثى الرواة وقائدهم. التابوت ضخم الحجم متخذا شكل ضريح الحسين فى كـــربلاء، يجلـــله البياض وفوق سطح التابوت تستقر رأس الحسين ملفوفة بحرير قرمـــزى اللـــون يحيط بالتابوت المحمول على الأكتاف.. حملة المشاعل المزودة بأجـــراس مجلجلة وحملة القناديل والشموع والمجامر التى ينطلق منها البخور ذكى الـــرائحة، وهناك أيضا حامل الجريدة بأعلاها علم أو راية الحسين، وطبعا هناك جميع النائحات النادبات - رقصا - لاطمات الخدود، ناهشات الصدور العارية ومن حين لأخر تصرخن

النائحات

يا ويلى

وهناك جميع حملة السيوف يضربون رؤوسهم الحليقة بالسيوف، وبالمدى يطعنون صدورهم العارية، ومن حين لآخر يجأرون فى صوت جماعى نادم

حملة السيوف

يا حسين!

النائحات

يا ويلى

وكل هذا ينظمه إيقاع واحد منتظم ومتصاعد تدريجيا إلى ذروة هيستيرية محمومة إلى حد الجنون المقدس

يطـــوف ثلاثى الرواة وقائدهم بالتابوت على أكتافهم محيط الساحة فى دورة كاملة فتلتهـــب مشاعر جموع المتفرجين فيلطمون خدودهم وينهشون صدورهم العارية، ومـــن حيـــن لآخر يندفع بعض المتفرجين لينضم إلى موكب التابوت فى الطواف ويصبح جزءا من الاحتفال مشاركا مشاركة عضوية فى المناحة الجماعية

الأمير معز الدولة يميل هامسا على من حوله

معز الدولة

[هامسا بارتياح]

ها هو حلم يقظتى يتحقق، شعب العراق قطيع نادم، باك، نائح، دام، صامت خانع

خنوع الموتى

يستمر طواف ثلاثى الرواة وقائدهم بالتابوت إلى أن تكتمل دوره كاملة وأخيرا يضعون التابوت فى بؤرة أو مركز الساحة - التابوت فى بؤرة أو مركز الساحة ويصبح التابوت مركزا أو نصبا أو ضريحا تطوف حوله النائحات النادبات رقصا ومعهن حمله السيوف سبع دورات كاملة مع استمرارهم فى اللطم والنهش وضرب الرؤوس بالسيوف تتداخل مع ذلك كلماتهم الموقعة المنتظمة مع إيقاع اللطم والندب وضرب الرؤوس

أصوات من الجنسين

يا حسين! يا ويلى! يا حسين! يا ويلى!

ترتمى الراوية بجسدها منهارة على التابوت وبين ذراعيها تأخذ الرأس الآدمية الملفوفة بحرير قرمزى اللون وتحتضن الرأس على صدرها ثم ترتكن بظهرها على التابوت ثم تتأمل الرأس وكأنه رضيعها

الطائفات والطائفون - بعد الدورة السابعة حول التابوت - تنهار أجسادهم كحلقة حول التابوت الضريح، ثم يظهر بين جموع المتفرجين بائع يحمل نماذج صغيرة طبق الأصل للتابوت الضريح

بائع نماذج التابوت

[مناديا على بضاعته من خلال دموعه المصنوعة]

تابوت الشهيد يا مؤمن تذكار عاشوراء، تابوت الشهيد.. تذكار مبارك من عاشوراء من يريد شراء تابوت الشهيد، وهبة التأبوت تبدأ من درهم إلى دينار، كل حسب قدرته

على الجانب المقابل يظهر بين جموع المتفرجين بائع أقراص البركة المعجونة من تراب كربلاء ممزوجا بالمسك.

بائع أقراص البركة

[مناديا من خلال دموعه]

أقراص البركة - من تراب كربلاء معجون، وبالمسك مخلوط، أقراص البركة تشفى من الأمراض والأسقام، أقراص البركة.. القرص الواحد وهبته درهم واحد، يا بلاش، للمؤمنين.

الراوية تتأمل الرأس على صدرها العارى ثم يرتفع نواحها صارخة.

الراوية

[تنشد نائحة]

يا عيناى فيضا

واستهلا ولا تغيضا

لم أمرض الشهيد فاسلو

لا ولا كان مريضا

هــنا يعود النواح واللطم للتصاعد من جديد ويعود حملة السيوف لضرب رؤوسهم مع تداخل كلماتهم مع كلماتهن

أصوات من الجنسين

[تتداخل نادبة]

يا حسين! يا ويلى! يا حسين! يا ويلى!

قائد الرواة

من أجل الحسين.. لطمة على الصدر

حملة السيوف

يا حسين

ثنائى الرواة

ولطمة على الصدر من أجل المستضعفين على الأرض

النائحات

يا ويلى

قائد الرواة

من أجل الحسين ضربة سيف على الرأس

حملة السيوف

يا حسين

ثنائى الرواة

وضربة سيف أخرى على الرأس من أجل ضحايا دولة الشر

النائحات

يا ويلى

إبراهيم بن اسحق الصابى من مكانه يبدو عليه القلق والتوتر

الصابى

[هامسا]

أبو حيان ، سيضيع نفسه ويضيعنى معه

قائد الرواة

ضربة على الرأس

ثنائى الرواة

من أجل الحسين

حملة السيوف

يا حسين

النائحات

يا ويلى

قائد الرواة

ضربة أخرى على الرأس

ثنائى الرواة

على رأس قرد دولة السوء

الأمير معز الدولة يبدو عليه الضيق فيميل هامسا على من حوله.

الخوارزمى من مكانه تبدو عليه الفرحة الممزوجة بالدهشة؛ فيميل هامسا لابن لنكك

الخوارزمى

[هامسا]

أبو حيان بذكاء واضح يغمز ويلمز

ابن لنكك

بل يصرح ولا يلمح، ولن يفوت الأمر على خير كما تظن

الخوارزمى

[ساخرا]

الأمير معز الدولة لا يفهم العربية إلا قليلا، فضلا عن ذكاءه المشكوك فيه

ابن لنكك

من مكانى هنا، عينى على الأمير أرصد ردود أفعاله على ما يسمع ومن حين لآخر أراه يميل هامسا لمن حوله وقد اكفهر وجهه

قائد الرواة

[نائحا]

جاء العاشر من محرم فجرح خاطرى

ثنائى الرواة

واعتمل ألم الحسين فى قلوبنا

الراوية وقد استردت قواها المنهكة تقف لتتحرك راقصة كطير ذبيح ورأس الحسين بين يديها تعرضها على جموع المحتفلين والمتفرجين.

الراوية

[تنوح]

الحسين مات والأرض تتابع دورنها

ثنائى الرواة

يا لبلادة الكون

حملة السيوف

يا حسين

النائحات

يا ويلى

ويتصاعد النواح واللطم وضرب الرؤوس تدريجيا

الراوية

الحسين مات والنجوم مازالت تتلألأ

ثنائى الرواة

يا لعمى العالم

حملة السيوف
يا حسين
النائحات
يا ويلى
قائد الرواة
تأوهى يا قبة السماء الزرقاء
الراوية
الحسين مات والنهار يتبع الليل
ثنائى الرواة
يا لبعدك عن المنطق أيها الكون
حملة السيوف
يا حسين
النائحات
يا ويلى
الراوية
الحسين مات والفرات يتابع مجراه
ثنائى الرواة
يا لصمم الطبيعة
حملة السيوف
يا حسين
النائحات
يا ويلى
قائد الرواة
حل الشهر المحرم وجرى دجلة فى أعيننا
ثنائى الرواة
حزنا على الحسين العطش الشفاة

قائد الرواة

الملك الشهيد فى كربلاء

هنا تصل النائحات النادبات رقصا وكذلك حملة السيوف ضاربو الرؤوس والصدور بالسيوف إلى ذروة هيستيرية محمومة إلى حد الجنون المقدس

حملة السيوف

يا حسين

النائحات

يا ويلى

هـنا يظهر ثلاثى جامعى الدموع، كل يحمل زجاجة فى إحدى يديه وباليد الأخرى يمسك بقطعة قطن كبيرة ويمر على النائحات والنائحين لتلقى الدموع المنهمرة من العيون

جامع الدموع [١]

لكى تتطهروا من الذنب الفظيع ابكوا، ابكوا! وإن لم تبكوا فتباكوا

جامع الدموع [٢] ، [٣]

ابكوا، ابكوا، ابكوا

قائد الرواة

يا صاح ما هذا الاضطراب فى حلق العالم ؟! ما هذا النواح ؟! وأى عزاء هذا ؟ وأى مأتم ؟

الراوية

الحسين مات وأنا أواصل الحياة، يا لضياع روحى

ثلاثى جامعى الدموع

ابكوا! ابكوا!

حملة السيوف

يا حسين

النائحات

يا ويلى

ثلاثى جامعى الدموع

[الواحد بعد الآخر]

ابكوا - ابكوا

- من يبكى الحسين - سيد الشهداء

- دمعة واحدة يوم عاشوراء - دمعة واحدة فقط

- كفيلة بغسل ما تقدم من ذنوب - ابكوا - ابكوا

قائد الرواة

الاضطراب شمل جميع ذرات الكون

ثنائى الرواة

وكأن الشمس تشرق من الغرب

قائد الرواة

حتى الحضرة الإلهية التى لا مكان فيها للحزن

ثنائى الرواة

حتى الملائكة جميعهم رؤوسهم من شدة الحزن

ثلاثى جامعى الدموع

ابكوا! ابكوا! لتتطهروا من الذنب العظيم

الراوية

إنه الحسين شمس السماء والأرض، نور المشرقين، ربيب حجر رسول الله

قائد الرواة

آه من اللحظة التى يرفعون فيها كفن آل على من التراب

ثنائى الرواة

النازف دما

الراوية

وكأنه شعلة نار

ثلاثى الرواة وقائد عم

يا ويحنا عندما يخطو شباب آل البيت فى ساحة الحشر بأكفانهم الوردية

وقد وصل المشهد إلى ذروة الجنون المقدس رقصا، نوحا، نهشا، لطما وضربا للرؤوس بالسيوف. ثم تنهار الأجساد المنهكة الواحد بعد الآخر وقد ترتمى الأجساد فى إغماءات، وربما موت بعض المحتفلين من النزيف..

هنا ينتشر جامعوا الدموع بين الأجساد المنهكة أو المغمى عليها أو المحتضرة أو الميتة

جامعو الدموع

- **ها قد وصلتم إلى التطهر الكامل من ذنب الذنوب**
- **قطرة واحدة من دموع عاشوراء**
- **ترد الحياة للمحتضر**
- **إذا صبت فى فمه**
- **زجاجة دموع عاشوراء وهبتها للمؤمن المتطهر نصف دينار**
- **يا بلاش**
- **نصف دينار وهبة زجاجة دموع عاشوراء**

[إظلام بطىء]

****

المنظر الأخير

بعد نوبة الجنون المقدس التى تحققت بنجاح كبير خلال مناحة عاشوراء، تطهرت نفوس الأحفاد المحتفلين بعاشوراء ، تطهرت من الإحساس بذنب لم يقترفوه وإفرغ الأحفاد المحتفلون شعورهم بندم عن جريمة شنعاء ارتكبها الأجداد منذ مئات السنين. باختصار، يعود الوعى إلى الأحفاد المحتفلين فيحرر حملة السيوف أعناقهم من الجنازير الحديدية كما يلقون بالسيوف الدامية جانبا، أما النائحات فيعود إليهن الإحساس بالحياء الأنثوى فتسارعن إلى تغطية صدورهن العارية النازفة بما سبق ومزقته من ثياب تستر الصدور.. ثم يتجمع جميع الأحفاد المحتفلون ومعهم الكثير من عامة بغداد المتفرجين يتجمعون وسط الساحة خلف التابوت، لقد أصبحوا كتلة بشرية متراصة وكأنهم كل فى واحد وبصوت جماعى واحد متوحد يطالبون بالقصاص.

الجموع

[بصوت واحد]

يا رسول الله.. الرأس المقطوع بلا رحمة

رأس حسينك الشهيد

هذا الدم النازف بلا توقف

دم حسينك الشهيد

هذا الجسد المطعون دفين هذا التابوت

جسد حسينك الشهيد

هذا الشهيد المقتول غدرا

هو حسينك الشهيد

لا شعوريا ترفع أيدى الجموع التابوت عن الأرض وتزحف به وكأن التابوت درع مقدس واق يستمدون منه الثبات والإصرار على الزحف البطىء تجاه مقدمة منطقة التمثيل ويواصلون بصوت واحد متصاعد

الجموع

[بصوت واحد]

يا رسول الله

الجوعى، العطشى، العرايا، رعايا دولة الشر

هم حسينك الشهيد

العميان، الصم، البكم لا يتكلمون، رعايا دولة الشر

هم حسينك الشهيد

المعذبون فى سجون قرد دولة الشر

هم حسينك الشهيد

المستضعفون على أرض قرد دولة الشر

هم حسينك الشهيد

ضحايا اليد الجائرة لقرد السوء فى دولته

هم حسينك الشهيد

القلــق المتصاعد إن لم يكن الخوف المتصاعد يبدو على الأمير معز الدولة وعلى من حوله من رجال الدولة

معز الدولة

[هامسا لوزيره]

قرد السوء فى دولته ؟! نفس كلمات محاكا - ورة إخوان الصفاء

الجموع

[بصوت واحد]

يا رسول الله.. يا فاطمة الزهراء.. يا على بن أبى طالب.. القصاص القصاص لحسينك الشهيد.. القصاص القصاص من قرد السوء فى دولة الشر

الأمير معز الدولة وقد تصاعد رعبه وخوفه

الأمير

[يصرخ مذعورا]

يا صاحب الشرطة.. فليوقف جندك وعسكرك هذا الزحف الشرير فليفرقوا هذا القطيع الثائر

هنا يندفع شمر رافعا سيفه الدامى لأعلى ومن خلفه جنده وعسكره.. يقف شمر فى مواجهة الأمير معز الدولة ويرفع سيفه

شمر

أقسم أنا شمر قاتل الحسين ورافع رأسه على سيفى هذا، أقسم بسيفى هذا أن أكون وجندى وعسكرى درعا واقيا لمولانا يزيد بن معاوية

ثم يبدأ شمر ومعه جنده وعسكره فى مطاردة الجموع الزاحفة وتفريقهم بأعمال السيوف فى أجسادهم وأعناقهم بوحشية.

من جميع جوانب الساحة، يتدفق عسكر الديلم الفرس بسيوفهم ويحاصرون الجموع المطاردة ويعملون السيوف فى أجسادهم وأعناقهم

التابوت - وقد تركته الجموع المطاردة وسط الساحة - تتساقط فوقه وأسفله وحوله جثث القتلى وأجساد المحتضرين ممن حاول من الجموع الاحتماء بالتابوت

[إظلام بطىء]

وهكذا تنتهى احتفالية عاشوراء

****

المشهد الثامن والخمسون

داخلى **بعد ظهر صيف حار**

عودة خاطفة إلى قاعة عرش الأمير معز الدولة.. وفى حضرته وزيره أبو محمد المهلبى وصاحب الشرطة.. الجو متوتر إذ أن الأمير فى هياج هيستيرى لا يخلو من خوف وهلع خفيين.

الأمير

القطيع النادم الباكى ماذا دهاه فجأة ؟! القطيع النائح الخانع خنوع الموتى ما الذى أصابه هكذا فجأة بسعار الغضب والخروج عن النص المقدس ؟!

صاحب الشرطة

إنها مؤامرة يا مولانا صاحب الجلالة الأمير

الأمير

أعرف أنها مؤامرة، ومؤامرة خطيرة ولكن أريد أن أعرف المتآمرين وبسرعة

صاحب الشرطة

ومن غيره يا مولانا صاحب الجلالة الأمير

الوزير المهلبى

[ساخرا بخبث]

تعرف المتآمر يا صاحب الشرطة.. ولم تقبض عليه حتى الآن تواطأ معه

صاحب الشرطه

لست أنا المتواطئ مع المتآمر يا وزير أبا محمد فأنا لا أدافع عنه مثلما تدافع أنت عنه دائما

الأمير

من هذا المتآمر الذى يحظى بتواطؤ وزيرى وصاحب الشرطة ؟!

صاحب الشرطة

ومن غيره هذا، ابن إسحق الصابى وصديقه الكاتب الذى أعاد صياغة النصوص

المقدسة للتعازى فخرج عنها لتنتهى هذه النهاية الخبيثة الزاحفة نحو جلالتكم الصارخة : القصاص.. القصاص

الأمير

اقبضوا على الكاتب الخارج عن النصوص المقدسة

صاحب الشرطة

وابن إسحق الذى اختار هذا الكاتب بالذات ليكلفه بالمهمة المقدسة

الأمير

[ساخرا]

ليجعل منها مهمة غير مقدسة اقبضوا على ابن إسحق الصابى وصديقه الكاتب.. وإلقيا بهما تحت أقدام الفيلة.

الوزير المهلبى

بعد إذن مولانا صاحب الجلالة الأمير العجلة فى قتل الصابى وصديقه الكاتب سيحرمنا من معرفة المتآمرين الحقيقيين

صاحب الشرطة

قبل أن تدوس أقدام فيلة مولانا صاحب الجلالة الأمير المتآمرين الصابى وصديقه الكاتب، سأقتلع منهما وبطرقى الخاصة أسماء جميع الروافض المتآمرين

الأمير

من غير جماعة إخوان الصفا المدبرة للمؤامرة ضدنا ؟

الوزير المهلبى

بعد إذن مولانا صاحب الجلالة الأمير أود أن أقول.. إنه ظاهريا لا مؤامرة هناك على الإطلاق

الأمير

لا مؤامرة ؟! وماذا عن القطيع المسعور المحتمى بالتابوت المقدس.. والزاحف فى غضب نحونا مطالبا بالقصاص ؟

صاحب الشرطة

بالقصاص من قرد السوء

الوزير المهلبى

[بخبث]

صاحب الشرطة يود أن يقول أن مولانا صاحب الجلالة الأمير معز الدولة هو..

صاحب الشرطة

[مذعورا يقاطعه]

لا تكمل يا وزير أبا محمد، حاشا لله أن أقول ذلك، أنا، لا أتكلم، أنا لا أرى، أنا لا أسمع

الأمير

من إذن الذى يقصده الكاتب، صديق الصابى بـــ.. بقرد السوء هذا ؟! واليد الجائرة التى كان القطيع المسعور الزاحف نحونا يطالب بقطعها، يد من تكون يا وزير أبا محمد ؟!

الوزير المهلبى

إذا ما استجوب صاحب الشرطة هذا الكاتب

صاحب الشرطة

ومعه ابن اسحق الصابى الذى كلفه بإعادة صياغة نصوص التعازى فخرج عنها، سأعذبهما معا إلى أن يعترفا ويقرا كتابة بمن المقصود بقرد السوء فى دولته

الوزير المهلبى

لن تستخرج منهما إلا أجابة واحدة وحيدة

صاحب الشرطة

الإجابة الحقيقية وإلا فلن أكف عن تعذيبهما حتى يلفظا أنفاسهما الأخيرة، حتى يموتا

الوزير المهلبى

[ساخرا]

يموتا وتموت معهما حقيقة المؤامرة والمتآمرين

الأمير

ماذا تقصد يا أبا محمد بلعبة المحاورة والمداورة مع صاحب الشرطة ؟

الوزير المهلبى

مولانا صاحب الجلالة الأمير، التفسير الظاهرى الوحيد لنهاية احتفالية عاشوراء هو أن المدبر والآمر بقتل الحسين هو يزيد بن معاوية، وإنه المقصود بقرد السوء فى دولته

الأمير

والآن ماذا تقترح يا أبا محمد ؟

الوزير المهلبى

أقترح أن تأذن لى جلالتكم بمعالجة الأمر بطريقتى، بالسياسة والكياسة بالذكاء والدهاء تنكشف لنا حقيقة التنظيم السرى الرفضى الذى دبر هذه المؤامرة، هذه النهاية الشريرة الخارجة عن النص المقدس

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد التاسع والخمسون

داخلى ليل صيفى حار

فى دار ابن إسحق الصابى – أحد الدور فى حى راق من أحياء بغداد منتصف القرن الرابع الهجرى – فى حجرة الطعام – المائدة حافلة بالأطعمة وزجاجات الخمر.

أبو حيان التوحيدى – بنهم وشراهة – يلتهم الطعام ويشرب الخمر

إبن اسحق الصابى – لا يأكل تقريبا – شارد الذهن يتابع أبا حيان

الصابى

أبا حيان! عندما سلمتك النص لتعيد صياغته فى شكل محاكاة – وره – ألم أحذرك؟! ألم أرجوك إن تروض قلمك فى أثناء الكتابة ؟!

أبو حيان

إبراهيم، أنت تعرف.. لسانى وقلمى جوادان جامحان أفشل دائما فى ترويضهما

الصابى

أنت لا تريد أن تروضهما يا أبا حيان ويوما ما سيسقطانك على صخرة كبرك وغرورك فيدق عنقك

أبو حيان

[مازحا]

سامحك الله يا صابى لقد أيقظتنى من ألذ أحلامى

الصابى

ألذ أحلامك ؟!

أبو حيان

حلم التهامى ألذ الأطعمة وشرب أفخر الأشربة على مائدتك

الصابى

[بحرج]

معذرة.. فلتكمل طعامك وشرابك

أبو حيان

كعادتى لسنوات طوال - منذ تعارفنا كصديقين - وأنا أحضر لدارك بدعوة منك أو بدعوة منى لدارك والليلة عندما جاء رسولك لمسكنى يدعونى للعشاء هرولت بلا تردد

الصابى

أبا حيان أهلا بك ومرحبا فى دارى فى أى وقت تشاء.. شرط أن تلجم لسانك المفلوت على الأقل فى أثناء وجودك فى دارى

أبو حيان وقد عاد إلى التهام الطعام والشراب

أبو حيان

اتفقنا يا صديقى، ولكن أنت لم تقرب الطعام أمامك فلتآكلنى يا صابى.. فلتأكل معى، فلتشجعنى على الأكل، فلتفتح شهيتى

الصابى

لا أشعر برغبة فى الأكل

أبو حيان

إبراهيم.. هل ورطتك معى ؟

الصابى

بخروجك عن النص المقدس لاحتفالية عاشوراء

التوحيدى

تخشى أن يأمر الأمير بالقبض علينا ؟!

الصابى

لقد أمر بالفعل بالقبض علينا و...

أبو حيان

إذن فلأتخم معدتى بزاد يكفى لسجن قد يطول سنوات

الصابى

[يكمل]

وإلقاءنا تحت أقدام الفيلة

أبو حيان

[مذعورا]

حقا ما تقول يا صابى ؟!

الصابى

لولا.. تدخل الوزير المهلبى

أبو حيان

[ساخرا رغما عنه]

الوزير الشاعر ؟

الصابى

الوزير العربى

أبو حيان

[ساخرا]

الوزير العربى خادم سيده الغازى العجمى

الصابى

[بحدة]

كفاك يا أبا حيان فلتطهر رأسك من تلك الأفكار الغريبة عن الوزير المهلبى.. الذى لولاه.. لما هدأ الأمير معز الدولة ولما تراجع عن إلقاءنا تحت أقدام الفيلة.

أبو حيان

حمدا لله، وشكرا للوزير العربى أبى محمد المهلبى

الصابى

الشكر لا يكفى

أبو حيان

[مازحا]

فليكن الشكر والحمد والعرفان والامتنان وكل ما هو..أن

الصابى

الوزير المهلبى كلفنى أن أدعوك لانتجاعه

أبو حيان

أنا أنتجع المهلبى؟!

الصابى

وتحضر مجلسه الأدبى الذى يعقده ليلتين فى الأسبوع

أبو حيان

[بمزاح لا يخلو من كبر وغرور حقيقى]

لابد وأن المهلبى قد سمع أو لعله قد قرأ مؤلفاتى فأراد أن يثرى مجلسه الأدبى بأديب أريب مثل أبى حيان التوحيدى

الصابى

ربما، هل تنوى حقا أن تستجيب لهذه الدعوة ؟! هل حقا ستنتجع الوزير المهلبى؟!

أبو حيان

لم لا ؟! [هامسا] بينى وبينك انتجاع وزير أو أمير هو خلاصى الوحيد من ضيق ذات اليد.. فأنا كما تعرف لا أجيد أية حرفة سوى الكتابة وأمقت العمل بأية حرفة وخاصة حرفة الشؤم حرفة النسخ والوراقة.

الصابى

وماذا عن رأيك السابق فى الوزير المهلبى كخادم لسيده الغازى العجمى وخائن لعروبته و..

أبو حيان

إبراهيم، لن أخيب أمل الوزير المهلبى، فمادام قد طلبنى بالاسم إذن فهو فى حاجة إلى من يثقفه، بمن يوجهه، بمن يعيده إلى أصوله العربية.. وهذه رسالتى كأديب.

الصابى

أبا حيان، ولكن

أبو حيان

إبراهيم، ماذا دهاك ألا تريدنى أن أنتجع الوزير ؟!

الصابى

لا، نعم أريد، ولكن

أبو حيان

[مازحا]

يبدو أنك تحسدنى على هذه المنزلة الجديدة

الصابى

أحسدك ؟!.. أنا ؟!

أبو حيان

إذن فأنت تشعر أن دعوة الوزير المهلبى لانتجاعه فخ منصوب لصديقك أبى حيان

الصابى

فخ، لا، لا

أبو حيان

[مازحا]

أم لعلك دعوتنى لطعامك تمهيدا لتسليمى للمهلبى مقابل ثلاثين من فضة

الصابى

أبا حيان، ما هذه الخيالات المريضة؟

أبو حيان

إذن هيا بنا إلى مجلس الوزير المهلبى

الصابى

أبا حيان، أخشى عليك من لسانك المفلوت

أبو حيان

لا، اطمئن، مازلت أحتفظ بتعويذتى السحرية

الصابى

أبا حيان، إذن مساء الغد توجه إلى قصر الوزير المهلبى فى موعد مجلسه الأدبى

أبو حيان

ألا نذهب سويا ؟!

الصابى

لا، لا، أنا سأكون مشغولا برسائل الأمير

أبو حيان

[مازحا]

فليكن! بمفردى سأتوجه لمجلس الوزير المهلبى لأعيد تثقيفه وأعيده إلى صوابه وإلى جذوره العربية

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الستون

داخلى **ليل صيفى حار**

قاعة المجلس الأدبى فى قصر الوزير المهلبى يتوسط المجلس الأدبى بلا أدباء أو شعراء أو علماء، فقط هناك، من الشبان

الوزير

أبو حيان التوحيدى فى طريقه الليلة إلى مجلسنا الأدبى، وأنتم هنا كما سبق واتفقت معكم ثلاثة من...

الثلاثى

[بآلية يكملون]

الأدباء والشعراء المبتدئين

الوزير

من شباب البصرة فى زيارة خاطفة

الثلاثى

لبغداد دار السلام والأدب والشعر

الوزير

ولقد التمستم منا

الثلاثى

بإلحاح شديد التمسنا من مولانا الوزير أن يسمح لنا بحضور مجلسه الأدبى الليلة

الوزير

ومن حسن طالعكم

الثلاثى

تصادف حضور أديب بغداد الأريب أبو حيان التوحيدى لمجلس مولانا الوزير ولأول مرة

الوزير

وبالنيابة عنكم سأتوجه بالسؤال تلو السؤال ليرد عليه أبو حيان التوحيدى

ودوركم الليلة...

الثلاثى

- بعيوننا المفتوحة نتابع باهتمام شديد أبا حيان وهو يتكلم

- بأذننا المنتصبة نصغى بتركيز عميق لأبى حيان وهو يتكلم

- بأفواهنا الفاغرة كالبلهاء نندهش لحد الانبهار لما نسمع من أبى حيان التوحيدى وهو يتكلم

الوزير

وهكذا يتسلل تدريجيا إلى نفسه شعور طارئ مريض بالعظمة ليخفى شعورا أصيلا بالضعة لضعة منبته وأصله.

الثلاثى

فتنتفخ أوداجه كديك رومى وينفش ريشه كالطاووس

الوزير

ويفتح فمه متكلما كمعلم

الثلاثى

ليعلمنا

الوزير

[ساخرا]

ويعلمنى

الثلاثى

وليثقفنا

الوزير

[ساخرا]

ويثقفنى! وهكذا ينفلت لسان أبى حيان المفلوت ليتكلم.. بتلقائية يتكلم بلا حساب يتكلم! بصراحة يتكلم! بجرأة هى الحمق! بعينه يتكلم

ينفجر الوزير ضاحكا لبراعة خطته والثلاثى بآلية يردد ضحكات الوزير هنا يظهر الحاجب قادما من الباب الخارجى

الحاجب

بعد إذن مولانا الوزير، بباب مولانا من يدعى

الثلاثى

[بآلية يكمل]

أبو حيان التوحيدى

الحاجب

ويزعم أن مولانا الوزير

الثلاثى

[بآليه يكمل]

فى انتظاره الليلة

الوزير

[ضاحكا]

فى انتظاره على أحر من الجمر.. فليدخل فى الحال

ينصرف الحاجب ويعود ومعه أبو حيان التوحيدى يحاول أن يخطو خطوات واثقة ليخفى اضطرابه وارتباكه

الوزير يهب واقفا ليرحب به

الوزير

[مرحبا]

أديبنا العربى، العراقى الأصيل أبو حيان التوحيدى فى مجلسنا يا أهلا ومرحبا

يزداد ارتباك أبى حيان، ينظر لثلاثى الشبان باحثا

أبو حيان

معذرة، حضرة الوزير يبدو أنى قد أخطأت الليلة المحددة لمجلسكم الأدبى، أو ربما حضرت مبكرا أو متأخرا ربما

الوزير

لا، تفضل، بل حضرت فى الليلة المحددة، وفى الموعد الصحيح، تفضل بالجلوس، لا هنا عن يمينى يا أبا حيان، اجلس

يجلس أبو حيان عن يمين الوزير - دون أن يفارقه الاضطراب - يعاود النظر إلى ثلاثى الشبان كمن يبحث عن أشخاص بعينهم.
الوزير يراقبه ويستشعر ما يدور بداخله

الوزير

أبا حيان، الشبان الثلاثة أدباء وشعراء مبتدئين من البصرة، ولقد التمسوا منى السماح لهم بحضور مجلسنا الأدبى الليلة.. ولقد كان من حسن طالعهم حضورك ولأول مره إلى مجلسنا.. أهلا ومرحبا.

أبو حيان

[يغمغم بكلمات مضطربة]

الوزير

[للثلاثى]

طبعا، أديب بغداد الأريب أبو حيان التوحيدى فى غن عن التعريف فهو علم

الثلاثى

علم على رأسه نار

الوزير

[للحاجب]

جهزوا لنا العشاء مباشرة بعد انتهاء مجلسنا الأدبى، عشاء يليق بأديبنا أبى حيان التوحيدى

الحاجب

السمع والطاعة يا مولانا الأمير

الوزير

أبا حيان.. لقد سمعت عنك الكثير من صديقك ابن إسحق الصابى ولذلك تاقت نفسى إلى حضورك للمجالسة والتأنيس وطلبت من الصابى أن يدعوك لانتجاعنا

أبو حيان

وها أنا ألبى دعوة حضرة الوزير فى الحال، وبلا تردد

الوزير

أبا حيان، أود أن أعرف، أن أتعلم، أن أتثقف على يديك

أبو حيان

عفوا حضرة الوزير

الوزير

وهؤلاء الأدباء المبتدئين تؤرقهم بعض الأمور وكلفونى أن أسألك بعض الأسئلة - وأود أن تجبنى على ما أسأل باسترسال وسكون بال، بملء فمك وجم خاطرك وحاضر علمك.. وطبعا أنت لست فى حاجة لأن أطلب منك أن تدع جانبا تفنن البغداديين فى الالتواء وعدم المصارحة بعد أن عرفت الكثير عن شجاعتك وجرأتك.. وجسارتك منذ صباك إن لم يكن منذ طفولتك.

أبو حيان

بارك الله فى حضرة الوزير

الوزير

[ضاحكا]

لقد ذكرنى صديقك الصابى بذلك السباح الشاب أبى حيان

الوزير يوجه كلامه للثلاثى

الوزير

منذ عشرين عامًا - وأثناء الاحتفال بالنيروز - مازلت أذكر أبا حيان - الشاب الفائز بجائزة السباحة - وهو يصرخ تجاه الأمير معز الدولة معترضا على عدم حصوله على الجائزة المالية للفوز فى سباق السباحة، لجرأته وجسارته حصل على جائزته صرة من الدنانير المعزية

أبو حيان

بعد إذن حضرة الوزير، كانت بعض دراهم معزية

الوزير

المهم حصولك على جائزتك لجسارتك ولجرأتك

أبو حيان

كان طيش شباب يا حضرة الوزير

الوزير

والآن يا أبا حيان، كن على بصيرة، إنى سأستدل مما أسمعه منك فى جوابك عما أسألك عنه على صدقك وخلافه، وعلى تحريفك وقرافة. هذا ما أطلبه منك، فلتعرض أنت مطلبك

أبو حيان

[بعد تردد]

حضرة الوزير كل شيء أريد أن أجاب إليه يكون ناصرى على ما يراد منى، فإنى أن منعته نكلت، وإن نكلت قل إفصاحى عما أطالب به

الوزير

قل عافاك الله – ما بدا لك فأنت مجاب إليه مادمت ضامنا لبلوغ إرادتنا منك وإصابة غرضنا

أبو حيان

فليؤذن لى فى كاف المخاطبة وتاه المواجهة

تبدو الدهشة والاستنكار الخفى على وجه الوزير

الثلاثى يردد هذا الاستنكار بسرعة وقد فتحوا عيونهم وانتصبت آذانهم وفغروا أفواههم كالبلهاء

الثلاثى

[باستنكار بل باستبشاع]

كاف المخاطبة. وتاه المواجهة ؟!

أبو حيان يضطرب قليلا؛ لصمت الوزير والاستنكار الثلاثى

الوزير يفيق من شرود الصدمة

الوزير

[ضاحكا]

كاف المخاطبة وتاه المواجهة! ولم لا ؟! لك ذلك يا أبا حيان، وأنت الآن مأذون لمخاطبتى بالكاف ومواجهتى بالتاه

أبو حيان

[بارتياح]

بارك الله فى الوزير هكذا أتخلص من مزاحمة الكناية ومضايقة التعريض وأركب جدد القول من غير تقية ولا تحاشى ولا محاوبة ولا انحياش

الوزير

والآن، هؤلاء الأدباء الشبان فى أثناء وجودهم فى وكالة الوراقين دس مجهول هذه الأوراق بين أوراقهم

الوزيـــر يمـــد يده للثلاثى، الثلاثى بآلية يخرج كل منهم أوراقا من عبه ويقدمها ليد الوزير

الوزير بدوره يقدمها ليد أبى حيان.

أبو حيان يتفحص الأوراق؛ فيبدو عليه الارتباك الواضح ولكنه يحاول التماسك

أبو حيان

هذه الأوراق كثيرا ما تدس فى أوراق الوراقين فى وكالة الوراقين، إنها رسائل لجماعة سريه تسمى نفسها إخوان الصفا وخلان الوفا

الوزير

وماذا تعرف عن إخوان الصفا وخلان الوفا ؟!

أبو حيان

كل ما أعرفه عنهم أنهم جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة

الوزير

هذا كل ما تعرفه ؟!

أبو حيان

يقال – والله أعلم ورسوله – أن هذه العصابة قد تألفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة فوضعوا بينهم مذهبا زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله والمصير إلى جنته

الوزير

وهل تعرف أشخاص كتبة هذه الرسائل ؟!

أبو حيان

لقد كتموا أسماءهم وبثوا رسائلهم فى الوراقين على أمل تلقينها للناس

الوزير

وهل قرأت أنت هذه الرسائل ؟!

أبو حيان

[بعد ارتباك]

أكثر من مرة فى أثناء وجودى فى وكالة الوراقين، أبحث عن أصل كتاب بعينه بعد خروجى من الوكالة أفاجأ ببعض هذه الرسائل مدسوسة بين دفتى الكتاب وكان من الطبيعى أن أقرأ ما أجده حبا للاستطلاع وهكذا قرأت الرسائل

الوزير

وما رأيك فى الآراء والمعتقدات الواردة فى رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا؟

أبو حيان

هذه الرسائل مبثوثة من كل فن نتفا بلا إشباع ولا كفاية وبها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات وقد غرق الصواب فيها لغلبة الخطأ عليها

الوزير

بالرغم من رأيك هذا فى الرسائل، فمن الواضح أنك شديد التأثر بآرائهم بل أنك تستخدم نفس ألفاظهم

أبو حيان

[بارتباك خفى]

معذرة! ماذا يقصد حضرة الوزير ؟!

الوزير

أقصد نصوص تعازى عاشوراء عندما أعدت صياغتها قد صغتها فى شكل ما يسميه أحد كتبة إخوان الصفا المحا - كا - وره بل أنك قد استخدمت ألفاظهم كدولة الشر، وقرد السوء فى دولته و........

أبو حيان

أنا لا أنكر التأثير والتأثر وهذا أمر طبيعى جائز ووارد لدى الكتاب والأدباء والشعراء وطبعا يعرف ذلك ثلاثى أدباء البصرة ولقد وجدت أنها أفضل ألفاظ أنعت بها قتلة الحسين الشهيد.

الوزير

وقرد السوء فى دولته ؟

أبو حيان

صفة ونعت يليق بيزيد بن معاوية الذى طلب رأس الحسين

الوزير

[مازحا]

فقدمتها له مقابل ولاية الرى

أبو حيان

معذرة حضرة الوزير ابن سعيد، لا أنا هو الذى قدم رأس الحسين مقابل ولاية الرى

وقد خاب أمل الوزير فى استكشاف أعماق أبى حيان التوحيدى يصيح بغيظ مكتوم

الوزير

[يصيح بغيظ]

جهزوا عشاء يليق بأديب بغداد الأريب أبى حيان التوحيدى

أبو حيان

حضرة الوزير، هناك أمر يحيرنى

الوزير

ما الذى يحيرك يا أبا حيان ؟!

أبو حيان

خلو مجلس الوزير المهلبى من نجومه، القاضى التنوخى ريحانة الندماء، ابن قريعة تاريخ الظرفاء وأبو فرج الأصبهانى الشاعر كم كنت مشتاقا للقائهم الليلة

الوزير

[باقتضاب]

الليلة القادمة ستجد فى مجلسنا الأدبى ضالتك يا أبا حيان والآن هيا بنا إلى العشاء

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الواحد والستون

داخلى منتصف ليل صيفى حار

نفس قاعة المجلس الأدبى فى قصر الوزير المهلبى.. الوزير فى هياج وغضب ومعه ثلاثى الشبان

الوزير

أبو حيان التلقائى، الصريح، الجرىء، فجأة يبلع لسانه المفلوت ويتحصن داخل كهف التقية والاستتار وهذا يؤكد تورطه مع جماعه سريه، ولا سبيل إلى كشف حقيقته إلا بوثائق صريحة وبخط يده، والآن جاء دوركم الحقيقى خلال أربع وعشرين ساعة أريد الحصول على كل مخطوطات مؤلفاته

الثلاثى

فلنقتحم مسكنه، ونقبض عليه ومعه جميع مؤلفاته

الوزير

أريدكم أن تتسللوا إلى مسكنه فى أثناء وجوده بالخارج

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الثاني والستون

داخلى **ليل اليوم التالى**

نفس قاعة المجلس الأدبى فى قصر الوزير المهلبى، الوزير يتصدر المجلس وحوله سداسى شيوخ الشيعة والسنة وهناك أيضا أبو حيان التوحيدى

الوزير

[بنفاذ صبر]

شيوخنا الأفاضل – شيعة وسنة – لقد طال حوارنا، واستطال لجاجنا منذ عشرين عامًا وبتكليف من مولانا جلالة الأمير معز الدولة وأنا أجلس معكم نفس الجلسة كل ثلاثة شهور، وأظل استمع – بصبر أيوب – لوجهة نظر كل من الجانبين حول حقيقة ما جرى يوم السقيفة وللآن لم نصل إلى حقيقة نهائية، والليلة من حسن الطالع معنا أديب بغداد – بل أديب العراق – بل أديب العروبة – أديبنا العربى الأريب أبو حيان التوحيدى ولعله يفيدنا حضوره فى هذه المسألة الشائكة، المعقدة التى تؤرقنا جميعا

أبو حيان

[متفكرا]

رحم الله شيخنا القاضى أبو حامد بن بشر المرورذى

الوزير

وما علاقة القاضى أبو حامد – رحمة الله عليه – بمسألة فقهية كمسألة حقيقة ما جرى يوم السقيفة ؟!

أبو حيان

منذ أكثر من عشرين عاما مضت، عندما كانت وكالة الوراقين ساحة حية زاخرة بالمجالس الأدبية والمنتديات الحافلة بالمناظرات والمحاورات، فى أحد الأيام الجميلة الماضية، وقعت فى يدى رسالة كان قد كتبها شيخنا القاضى أبو حامد وتركها لشيخى أبو سليمان المنطقى لينسخها له، خلسة امتدت يدى إلى مخطوطة الرسالة وقد جذبنى عنوانها، رسالة حقيقة ما جرى يوم السقيفة، وظللت أقرأ

الرسالة طوال الليل حتى فرغت منها و..

الوزير

أية رسالة تقصد يا أبا حيان ؟!

أبو حيان

رسالة حقيقة ما جرى يوم السقيفة

الوزير

وما حقيقة ما جرى يا أبا حيان

أبو حيان

حضرة الوزير المهلبى على حد علمى - يعلم حق العلم حقيقة ما جرى

الوزير

أنا ؟!

أبو حيان

هذا ما قاله شيخنا القاضى أبو حامد المروروذى

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الثالث والستون

داخلى **ليل ربيعى**

فى مسكن القاضى الشيخ أبو حامد المرورروذى - منذ أكثر من عشرين عاما - أبو حامد فى الأربعين من عمره يتصدر مجلس من طلاب العلم من الشباب.

أبو حامد

هل فيكم من يحفظ لرسالة أبى بكر الصديق إلى على بن أبى طالب وجواب على له ومبايعته إياه عقيب تلك الرسالة

الحضور

لا والله يا شيخنا القاضى أبا حامد

أبو حامد

الرسالة والله من درر الحقائق المصونة ومخبأت الصناديق فى الخزائن المحوطة ومنذ حفظتها عن أبى الذى حفظها عن جده، ما جرأت أن أرويها إلا للمهلبى فى وزارته

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الرابع والستون

داخلى **ليل ربيعى**

منذ أكثر من عشرين عامًا فى حجرة مكتب الوزير المهلبى، وكان وقتها فى الثلاثين من عمره

الوزير المهلبى

شيخنا أبا حامد لقد قرأت رسالة أبى بكر الصديق إلى على بن أبى طالب، والله لا أعرف فى الأرض رسالة أعقل منها ولا أبين، وإنها لتدل على علم وحلم وفصاحة وفقاهة فى دين ودهاء وبعد غور وشدة غوص، شيخنا أبا حامد فلتسمح لى أن أنسخها بخط يدى فى خلوة ثم أعيد المخطوطة لك

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الخامس والستون

داخلى **ليل ربيعى**

عودة سريعة إلى مسكن القاضى الشيخ أبى حامد المرورذى

واحد من الحضور

شيخنا القاضى أبو حامد لو أتممت المائة علينا برواية الرسالة سمعناها ورويناها عنك

صوت المهلبى

[غاضبا يكمل]

فنحن أوعى لها من الوزير المهلبى وأوجب ذماما لك

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد السادس والستون

داخلى **ليل صيفى حار**

عودة خاطفة إلى مجلس الوزير المهلبى وحوله سداسى شيوخ الشيعة والسنة، ومعهم أبو حيان التوحيدى.

الوزير المهلبى يقلب الرسالة بين يديه ثم يقرأ إحدى فقراتها بعصبية

الوزير

[يقرأ بعصبية]

فنحن أوعى لها من المهلبى وأوجب ذماما لك

ثم يوجه كلامه لأبى حيان التوحيدى

الوزير

وها أنت يا أبا حيان تعيد رواية شيخك القاضى أبى حامد المرووذى عن حقيقة ما جرى يوم السقيفة وتسميها رسالة يوم السقيفة

ثم يمد يده بالرسالة لأبى حيان.

أبو حيان يتطلع إلى الرسالة بدهشة ممزوجة بالذعر والرعب

أبو حيان

[بصوت مرتعش]

هذه رسالة.. بخط يدى بعد إذن حضرة الوزير، كيف وصلت ليد حضرة الوزير؟!

الوزير يتجاهل الرد على تساؤله

الوزير

[ساخرا بحدة]

حضرة الوزير العربى خائن عروبته كما كنت تصيح منذ سنوات أمام جمع خفير فى وكالة الوراقين ؟!

أبو حيان

سيدى حضرة الوزير فلتعذر طيش شباب قد مضى بلا رجعة

الوزير يمد يده ناحية واحد من ثلاثى شيوخ السنة ليأخذ منه أوراقا يتفحصها

الوزير

لا، لم يمض طيشك بعد يا أبا حيان، فها أنت تبعث من جديد الأفكار الهدامة لحلاج الأسرار

سداسى الشيوخ

الزنديق المارق

الوزير

وها هى رسالتك عما كان يسميه حلاجك المارق الحج النظرى وتسميه أنت: الحج العقلى، إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعى

أبو حيان

[بصوت مرتعش]

مولانا حضرة سعادة الوزير أبا محمد، أنا، أنا..

الوزير يعيد تسليم الرسالة إلى ثلاثى شيوخ السنة

الوزير

فليتفضل شيوخ السنة الأفاضل بقراءة بعض ما جاء فى رسالة أبى حيان الحلاج عن الحج العقلى

ثلاثى شيوخ السنة

[الواحد بعد الأخر يقرأ]

- **إن الإنسان إذا أراد الحج الشرعى**
- **ولم يمكنه ذلك**
- **أفرد فى داره مكانا**
- **لا يلحقه بشىء من النجاسة ولا يدخله أحد**

أبو حيان التوحيدى يشرد ذهنه تماما وكمن يعيش حلم يقظة

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد السابع والستون

داخلي **فجر صباح ربيعي**

الحجـــرة الجـــرداء لأبى حيان التوحيدى – فى بغداد حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى – وقد اتسمت بالتنظيم والنظافة الشديدة، فى وسط الحجرة الفسيحة أقيم ما يمـــثل رمـــزيا الكعـــبة المشـــرفة وحولها يطوف نفر من الحجاج بقيادة أبى حيان التوحيدى وقد ارتدى جميعهم ملابس الإحرام ناصعة البياض، إنهم يقومون بشعائر ومناســـك الطواف المعروفة وقد ارتفعت الأكف الضارعة وفتحت الأفواه المبتهلة الداعية بدعاء الطواف دون سماع الأصوات.

خـــلال ذلـــك يسمع أصوات ثلاثى شيوخ السنة يواصلون القراءة فى رسالة الحج العقلى.

أصوات

ثلاثى الشيوخ السنة

– فإذا حضرت أيام الحج – طاف حوله

– طوافه حول البيت الحرام – فإذا انقضى ذلك

– وقضى من المناسك – ما يقضى بمكة مثله

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الثامن والستون

خارجي **صباح يوم ربيعى**

خارج مسكن أبى حيان التوحيدى فى صورته الحلمية، وقد دهنت جدرانه الخارجية بلـــون ناصـــع البـــياض، ورسمت عليه الرسوم الدينية الشعبية التى يرسمها عادة الحجاج على الجدران الخارجية لبيوتهم.

أمام الدار، هناك عدد من الأيتام الفقراء المعدمين، وقد فرش أمامهم سماط حافل بما تيسر من الأطعمة يأكلونها بنهم وشراهة الجوعى.

المشهد تصاحبه أغنية من أغانى العودة من الحج.

أصوات

ثلاثى شيوخ السنة

[يواصلون القراءة]

- جمع الحاج العقلى ثلاثين يتيما - ومد لهم سماطا

- عليه ما تيسر من الطعام - فإذا فرغوا من الأكل

- غسل أياديهم

أبـــو حيان التوحيدى يمسك بإبريق من النحاس الأصفر، على ذراعه فوطه كبيرة ويقف أعلى طشت من النحاس كبير؛ ليصب الماء من الإبريق على يدى كل يتيم قد انتهى من أكله، ثم يقدم له الفوطة يجفف بها يديه.

يتوالى ضيوف الرحمن الواحد بعد الآخر لغسل وتجفيف أياديهم.

ثـــم يظهر بعض الصبية يحملون على أياديهم أقمصة بيضاء بعدد اليتامى وأحدهم يحمـــل طـــبقا من الخوص فوقه صرر بداخلها دراهم بعدد اليتامى ويقوم أبو حيان بإلباس القميص لكل يتيم بعد آخر ثم يقدم له صرة بها الدراهم.

فى أثناء ذلك مازلنا نسمع أصوات ثلاثى شيوخ السنة.

أصوات

ثلاثى شيوخ السنة

[يواصلون القراءة]

- **ثم يكسو كل يتيم بقميص**
- **ويدفع إليه بصرة بها سبعة دراهم**
- **فإذا فعل ذلك**
- **له مقام الحج**

[[تلاشي سريع]]

****

المشهد التاسع والستون

داخلى **ليل صيفى حار**

عودة خاطفة إلى مجلس الوزير المهلبى، وقد تصدر المجلس وحوله سداسى شيوخ الشيعة والسنة، وأبو حيان التوحيدى منفردا فى شبه محاكمة.

ثلاثى شيوخ السنه

[يواصلون القراءة]

- **إن أعمال القلوب**
- **فوق فرائض السنة**

الوزير

[مناديا]

إلىِ بمحرقة أوراق الكفر؛ لأحرق بنفسى رسائل هذا الزنديق، الكافر، الملحد

أبو حيان

سيدى – مولانا حضرة الوزير – أنا مسلم موحد بالله ورسوله، ولا أستحق تكفيركم لى.

هـــنا يظهـــر الخدم يحملون بين أياديهم موقدا كبيرا به نار مشتعلة، يضعونه أمام الوزيـــر؛ فيـــبدأ فى حرق أوراق الرسالتين الحج العقلى ورسالة يوم السقيفة ورقة ورقة متلذذا بذلك.

الوزير

اسمع أيها الزنديق المارق فرصة أخيرة أمامك فقط حتى فجر الليلة، بعد أذان الفجر، لا أود أن أسمع أنك مازلت تحت سماء بغداد، ولا تحت سماء العراق كله.

أبو حيان

[تخنقه الدموع]

سيدى حضرة مولانا الوزير – أنا لا أطيق البعد عن تراب العراق.

الوزير

إما البعد عن تراب العراق وإما الدفن تحت تراب العراق

أبو حيان

التمس المغفرة والسماح

سداسى الشيوخ

- لا مغفرة لكافر - ملحد

- زنديق - حلاجى مارق

أبو حيان

الأمر لله من قبل ومن بعد

أبو حيان يأخذ طريقه للخارج مترنحا يوشك على الانهيار

الوزير يستوقفه

الوزير

أبا حيان كان من الممكن أن أنفذ فيك أمر مولانا جلالة الأمير معز الدولة؛ فألقى بك تحت أقدام فيلة جلالته وهو عقاب عادل تستحقه بجدارة لولا أن أبو محمد المهلبى الوزير العربى قد أخذته الرحمة بأديب عربى مفلوت اللسان، لا يستحق أية رحمة، بل يستحق الحرق حيا كالحلاج

أبو حيان يواصل طريقه للخارج مترنحا.

[[تلاشى بطىء]]

****

المشهد السبعون

مشهد مركب من مشهدين متزامنين

داخلى

مشهد تراثى

فى الحجرة الجرداء لأبى حيان التوحيدى بغداد حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى

أبو حيان

فـــى السابعة والثلاثين من عمره، إنه يمسك بكـــيس بـــال من الخيش يجمع فيه أغراضه القلـــيلة وأهمهـــا الأوراق والأقلام والأحبار وبعـــض مخطوطات مؤلفاته يتحرك مترنحا مـــن مكان إلى مكان شارد الذهن، ومن حين لآخر نسمع صوته الداخلى

ما بعد منتصف ليل صيفى حار

مشهد معاصر

فـــى قطـــاع حجرة المكتب للكاتب المعاصر الدويـــرى – فـــى القاهرة قرب نهاية القرن العشرين

الدويرى

الخالق الناطق التوحيدى فى شيخوخته، نفس ملابـــس ومكياج التوحيدى، إنه يجلس خلف مكتـــبه مســـتغرقا فى الكتابة وأمامه الملف المتضـــخم للمســـر   يناريو الذى أوشك أن ينـــتهى مـــنه حول التوحيدى من حين لآخر نسمع صوت الدويرى الداخلى

صوت الدويرى

إلى أجيال مستقبل أفضل أهدى

رؤيتى الدرامية هذه كشهادة

تســـتنكر نفـــى المبدعين فى أوطانهم

بالـــتجاهل المتعمد لإبداعاتهم مع سبق

الإصرار والترصد كما تدين قتلة الإبداع

الأصيل فى كل زمان ومكان

توقيع

رأفت الدويرى

بعد فترة تفكير الدويرى يشطب بالقلم

صوت الدويرى

صوت أبى حيان

منذ مولدى وحتى اليوم وأنا أعيش غريبا فى وطنى

صوت أبى حيان

إلى أين يا أبا حيان ؟!

فلأنضم إلى مجموعة صوفية اعتادت كل حج أن تحج إلى مكة سيرا على الأقدام

يتحرك أبو حيان إلى مكان نومه

صوت أبى حيان

فلآخذ قسطا من النوم قبل الفجر فلأستعد لرحلة طويلة عبر صحراء حارقة وعلى قدمية شبه الحافية يستلقى نائما ويرتفع شخيره

فليكن الإهداء بتوقيع رأفت التوحيدى

الدويرى يكتب التعديل

الدويرى يستأنف الكتابة

صوت الدويرى

«التوحيدى غريب فى وطنه» فليكن هذا عنوان للمسرحية الأولى من الثنائية الدرامية أوراق العمر تحترق

الدويرى يكتب

صوت الدويرى

التوحيدى من غربة إلى غربة

فليكن هذا عنوان المسرحية الثانية من أوراق العمر تحترق

يتجه الدويرى ليستلقى على السرير السفرى

فلألحق بالتوحيدى من غربة إلى غربة
يرتفع شخير الدويرى تدريجيا

[[تلاشى بطىء]]

****

المشهد والواحد والسبعون

خارجى **ظهر يوم صيفى حار**

علـــى شط نهر دجلة - بغداد، حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى - نفس مشهد المدخـــل الكابوســـى، أبـــو حـــيان التوحيدى - فى السابعة والثلاثين من عمره - مصلوب ومقيد فوق شجرة عجوز جرداء تساقطت أوراقها، ذراعاه مبتورتان تماما وتنزفان بغزارة.

تحت الشجرة الصليب، أكوام عالية من الحطب والبوص وفوقها مؤلفات أبى حيان التوحيدى وهناك بعض الجنود. على بعد من الشجرة الصليب، يقف الدويرى شبيه التوحيدى فى شيخوخته إنه قلق ومتوتر

وهـــناك سداسى الشيوخ [شيعة وسنة] تبدو على وجوههم الشماتة الواضحة من أبى حيان التوحيدى المصلوب وقد أمسك كل منهم مشعلا مشتعلا.

الوزيـــر المهلـــبى بملابس صاحب الشرطة بدوره يمسك بمشعل مشتعل.. يزحف سداسى الشيوخ بقيادة الوزير المهلبى ويحيطون بأبى حيان التوحيدى المصلوب.

الوزير المهلبى

والآن، تنفيذا لرغبة جموع المؤمنين من شيعة وسنة، وبناء على فتوى شيوخنا الأفاضل شيعة وسنة

سداسى الشيوخ

[بصوت واحد]

- **دمه فى رقابنا**
- **أحرقه - أحرقه**
- **أحرق الزنديق الكافر**
- **أحرق أبا حيان الحلاج**

الوزير المهلبى

وبعد أن وافق على الفتوى واعتمدها مولانا جلالة الأمير معز الدولة ها أنا أحرق الزنديق المارق أبا حيان الحلاج

تشـــتعل ألســـنة النـــيران فى الأوراق والكتب ثم تتصاعد لتمسك بجسد أبى حيان التوحيدى.

هــنا يــندفع الدويرى - شبيه التوحيدى فى شيخوخته - يندفع فى النيران محاولا تخليص أبا حيان

الدويرى

[صارخا]

لا، لا تحرقوا أبا حيان قبل أن أنتهى من أوراق العمر تحترق.. لا، لا تحرقوه

هنا تشتعل النيران فى أبى حيان والدويرى

[[تلاشى سريع]]

****

المشهد الثانى والسبعون

[مشهد مزدوج مركب من مشهدين متزامنين]

داخلى — قرب فجر يوم صيفى حار

المشهد التاريخى

عودة خاطفة إلى مسكن التوحيدى ببغداد

أبو حيان يهب من كابوسه صارخا

المشهد المعاصر

عودة خاطفة إلى قطاع حجرة مكتب الدويرى

الدويرى بملابسه المعاصرة يهب من كابوسه صارخا

الاثنان ما بين اليقظة والنوم يحاول كل منهما إطفاء جسده من النيران ومعا يصرخان بصرخات متداخلة

التوحيدى والدويرى

[معا فى أصوات متداخلة]

لا، لا، لا أريد أن أحترق.. لا، لا تحرقونى قبل أن أحج إلى مكة.. لا تحرقونى قبل أن أنهى أوراق العمر تحترق.. لا.. لا أريد أن أموت حرقا.. لا، لا تحرقونى

التوحيدى، وقد أفاق تماما، وأنفاسه لاهثة ينظر حوله ويتمتم بكلمات ثم يهب بنشاط واضح باحثا عن الكيس الذى جمع فيه أغراضه القليلة ثم ينظر من نافذة غرفته.

صوت أبى حيان

أوشك الفجر على الطلوع فلأترك العراق
كلها وإلا كان مصيرى الحرق أو الدهس
تحت أقدام الفيلة

ثم يتجه إلى باب حجرته ومعه كيسه المنتفخ مهرولا هاربا دون أن ينظر وراءه

الدويرى، وقد أفاق تماما، أنفاسه لاهثة، ينظر حوله ويتمتم بكلمات غامضة

الدويرى يعود إلى سريره ويعد نفسه للنوم

صوت الدويرى

فلألحـــق بالتوحـــيدى؛ فقد يهرب منى قبل أن أنتهى من أوراق العمر تحترق، فلألحق به من غربة إلى غربة.

[[تلاشى سريع]]

****

مشهد الختام
ختام كابوسى

داخلى **ليل شتوى**

فراغ منطقة التمثيل مظلم تماما، صفحة سوداء تدريجيا وبمصاحبة

المؤثرات الصوتية المناسبة

تظهـــر فـــى بؤرة الصفحة السوداء – أو لنقل بؤرة الشاشة المظلمة تماما – تظهر ألسنة نيران تلتهم كومة كتب.

وباضاءة المشهد كاملا

نكتشـــف أن كومة الكتب المشتعلة فوق سطح المكتب العصرى داخل حجرة مكتب الكاتب المعاصر الدويرى.. تماما كما فى المدخل الكابوسى.

كومة الكتب المشتعلة فوق سطح المكتب من حين لآخر تهتز بشده مصحوبة بـــ

صرخات مخنوقة

لرجل يعيش كابوسا جحيميًا مع ارتفاع وتوحش.

المؤثرات الصوتية للاحتراق.

من فوق أرفف المكتبة خلف المكتب تتساقط متقافزة كتب سبعة، الواحد بعد الآخر، وكأنها تتقافز إلى الأرض هربا من حريق ثم تهب قافزة عن الأرض على هيئة.

سبع بنات وأولاد

يـــرتدون أغلفة كتب عصرية مشتعلة – المحترقون أولاد وبنات – يلفون قفزا حول المكتب وقد انطلقت صرخاتهم مستنجدة.

المحترقون

[يصرخون]

نحترق – نحترق نحترق نحترق

مـــن قلـــب كومة الكتب المحترقة فوق سطح المكتب تقفز رأس الدويرى الكاتب المعاصـــر وقد طال شعر رأسه وذقنه وتوحش يهب الدويرى واقفا خلف مكتبه، إنـــه يـــرتدى نفـــس الـــزى الصوفى البالى لأبى حيان التوحيدى. باختصار، يبدو الدويـــرى شـــبيها لدرجة كبيرة بأبى حيان التوحيدى فى شيخوخته، حتى ملامحه اقتربت لدرجة كبيرة من ملامح التوحيدى.

الدويــرى شــبيه التوحيدى يقف خلف مكتبه وكالمجنون يحاول إنقاذ كومة الكتب المحترقة فوق سطح المكتب كتابا بعد كتاب.

الدويرى

[صارخا فى ألم]

أوراق العمر تحترق

المحترقون

نحترق، نحترق

الدويرى

الواغش، المحقق كفر النهدات

المحترقون

نحترق، نحترق

الدويرى

قطة بسبع.. ت.. أرواح

المحترقون

نحترق

الدويرى

ولادة متعسرة التلات ورقات

المحترقون

نحترق، نحترق

الدويرى

متعلق من عرقوبه

المحترقون

نحترق

الدويرى

بدائع البهلوان فى وقائع الأزمان

المحترقون

نحترق، نحترق

الدويرى

طقوس الجفاف خيول النيل

المحترقون

نحترق، نحترق، نحترق، نحترق

الدويرى

خيول الخيال

المحترقون

نحترق، النجدة! نحترق، النجدة!

الدويرى

أولاد عقل المبدع يحترقون!! بنات قلب المبدع تحترق!!

المحترقون

نحترق، النجدة! نحترق، النجدة!

الدويرى

أى ظلام ظلام ذلك الذى يحرق خيول خيال المبدع ؟!

المحترقون

مشعلوا الحرائق يحرقوننا النجدة، نحترق، النجدة

الدويرى

إنهم يقتلون الجياد، أليس كذلك ؟! أى حاقد حقود ذلك الذى يقتل خيول خيال المبدع ؟!

المحترقون

من لا خيال لهم يتجاهلوننا عمدا حتى الاحتراق النجدة! النجدة

الدويرى

من ذا الذى يحرق المبدع حيا

المحترقون

قتلة الإبداع من كل زمان فى كل مكان، النجدة! نحترق! النجدة! نحترق! نحترق!

[[تلاشى سريع]]

****

[هنا تنتهى المسر ينـاريو الأول
من الثنـائية الدرامية
أوراق العمر تحترق]





صدر من هذه السلسلة:

1 انفجار جمجمة «رواية» .... إدريس على

2 البشموري «رواية روايات» ....سلوى بكر

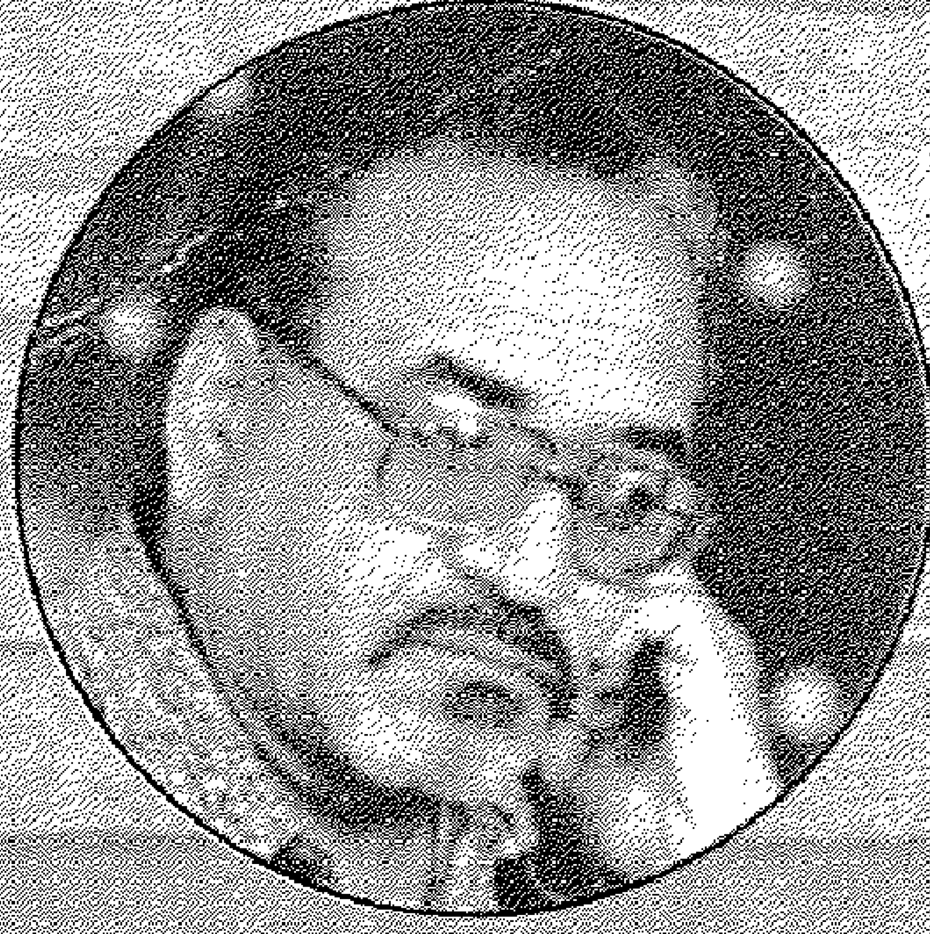
3 ظل عائشة «رواية» .... محمود حنفى

4 ليلة السهرودى الأخيرة «مسرحية / غنوصوغرافيا» .... فريد أبو سعدة

5 أوراق العمر تحترق «المسر - يناريو الأول» .... رأفت الدويرى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

هذا الكاتب



رأفت الدويرى

• مواليد ٨ أبريل ١٩٣٧ قرية الدوير أسيوط.
• ليسانس فى الأدب الإنجليزى سنة ١٩٥٩ آداب عين شمس.
• بدأ حياته مدرسا للغة الإنجليزية ثم مساعد مخرج وأخيرا مخرجاً مسرحياً بمسرح الطليعة.
• أهم المسرحيات التى أخرجها:
– هنرى الرابع.
– موتسات.
– جويا.
• فضلا عن إخراجه لمسرحيات من تأليفه:
– ولادة متعسرة.
– الثلاث ورقات.
– متعلق من عرقوبه.
• ومن مؤلفاته أيضاً:
– الواغش.
– المحقق.
– قطة بسبع – ت – رواح (وقد حصلت على جائز الدولة التشجيعية ١٩٨٣، ووسام العلوم والفنون من الدرجة الرابعة ١٩٨٣).
– شكسبير ملكاً.
– الفهلوان الوهمان.
– خيول النيل.
– خيول الخيال.
– طقوس الجفاف.
• ألف خلال ثلاث سنوات التفرغ:
– أوراق العمر تحترق:
أ– التوحيدى غريب فى وطنه.
ب– التوحيدى من غربة إلى غربة.
– رسائل غرام ناسفة.
– قرابين شيطانية.

• أبو حيان التوحيدى شخصية ثرية – إنسانياً ودرامياً – تحفل بالكثير من التعقيدات والتناقضات، كما أن دراما الحياة الطويلة التى عاشها تحوى عالماً حافلاً بالشخصيات والمواقف الدرامية التى يصعب الاختيار من بينها دون التضحية بثراء هذا العالم.

• فقد عاش التوحيدى فى القرن الرابع الهجرى بإنجازاته الفكرية والثقافية، وصراعاته السياسية والاجتماعية والدينية والمذهبية العنيفة التى تصل إلى حد الدموية.

• ولهذه الأسباب عندما بدأت التناول الدرامى لهذه الشخصية الفنية المركبة، وجدت أن مسرحية (أومسر – يناريو) واحدة مهما طالت ليست كافية لاستيعاب عالم التوحيدى الصاخب فى ثرائه، وليست منصفة لشخصيته الفنية المركبة ولا مشبعة للقارئ أو المتفرج.

• ولهذا رأيت ضرورة كتابة ثنائية درامية بعنوان: أوراق العمر تحترق بطلها أبو حيان التوحيدى، وهذه الثنائية الدرامية مع اتصالها العضوى إلا أن كل مسرحية (أومسر – يناريو) منها يمثل عرضاً درامياً مستقلاً بذاته، وهذا الكتاب التوحيدى غريب فى وطنه يمثل الجزء الأول منها.

رأفت الدويرى

